

المستطرف [جزء 1 - صفحة 368]

عدى بأهله وولده ولحق بالشام وخلف
أخته سفانة فأسرتها خيل رسول الله فلما
أتى بها إلى النبي قالت يا محمد هلك
الوالد وغاب الرافد فإن رأيت أن تخلي
عني ولا تشمت بي أحياء العرب فإن أبي
كان سيد قومه يفك العاني ويقتل الجاني
ويحفظ الجار ويحمي الذمار ويفرج عن
المكروب ويطعم الطعام ويفشي السلام
ويحمل الكل ويعين على نوائب الدهر وما
أتاه أحد في حاجة فردّه خائباً أنا بنت حاتم
الطائي فقال لها النبي يا جارية هذه
صفات المؤمنين حقاً لو كان أبوك مسلماً
لترحمنا عليه خلوا عنها فإن أباهما كان
يحب مكارم الأخلاق وقال فيها ارحموا
عزيزاً ذلياً وغنياً افتقر وعالماً ضاع بين
جهال فأطلقها ومن عليها فأستأذنته في
الدعاء له فأذن لها وقال لأصحابه اسمعوا
وعوا فقالت أصاب الله ببرك موافقه ولا
جعل لك إلى لئيم حاجة ولا سلب نعمة عن
كريم قوم إلا وجعلك سبباً في ردها عليه
فلما أطلقها رجعت إلى قومها فأنت أخاها
عديا وهو بدومة الجندل فقالت له يا أخي

أنت هذا الرجل قبل أن تعلقك حباله فاني
قد رأيت هديا ورأيا سيغلب أهل الغلبة
رأيت خصالا تعجبني رأيتك يحب الفقير
ويفك الأسير ويرحم الصغير ويعرف قدر
الكبير وما رأيت أجود ولا أكرم منه وإني
أرى أن تلحق به فإن يك نبيا فللسابق
فضله وإن يك ملكا فلن يذل في عز اليمن
فقدم عدي إلى النبي فألقي له وسادة
محشوة ليفا وجلس النبي على الأرض
فأسلم عدي بن حاتم وأسلمت أخته
سفانة بنت حاتم المتقدم ذكرها وكانت
من أجود نساء العرب وكان أبوها يعطيها
الضريبة من إبله فتهبها وتعطيها الناس
فقال لها أبوها يا بنية إن الكريمين إذا
اجتمعا في المال أتلفاه فأما أن أعطى
وتمسكى وأما أن أمسك وتعطى فانه لا
يبقى على هذا شيء فقالت له منك
تعلمت مكارم الأخلاق قال ابن الأعرابي
كان حاتم الطائي من شعراء الجاهلية
وكان جوادا يشبه جوده شعره ويصدق
قوله فعله وكان حيثما نزل عرف منزله
وكان مظفرا إذا قاتل غلب وإذا سئل وهب

وإذا سابق سبق وإذا أسر أطلق وكان إذا
أهل رجب الذي كانت تعظمه مضر في
الجاهلية نحر كل يوم عشرا من الابل
وأطعم الناس واجتمعوا اليه وكان قد
تزوج ماوية بنت عفير وكانت تلومه على
إتلاف المال فلا يلتفت لقولها وكان لها
ابن عم يقال له مالك فقال لها يوما ما
تصنعين بحاتم فوالله لئن وجد مالا ليتلفنه
وإن لم يجد ليتكلفن ولئن مات ليثركن
أولادا عالة على قومك فقالت ماوية
صدقته إنه كذلك

وكانت النساء يطلقن الرجال في الجاهلية
وكان طلاقهن أن يكن في بيوت من شعر
فإن كان باب البيت من قبل المشرق
حولته إلى المغرب وإن كان من قبل
المغرب حولته إلى المشرق وإن كان من
قبل اليمن حولته إلى الشام وإن كان من
قبل الشام حولته إلى اليمن فإذا رأى
الرجل ذلك علم إنها طلقته فلم يأتها ثم
قال لها ابن عمها طلقي حاتما وأنا
أتزوجك وأنا خير لك منه وأكثر مالا وأنا
أمسك عليك وعلى ولدك فلم يزل بها حتى
طلقته فأتاها حاتم وقد حولت باب الخباء
فقال حاتم لولده يا عدي ما ترى ما فعلت

أَمْكَ فَقَالَ قَدْ رَأَيْتَ ذَلِكَ قَالَ فَأَخَذَ ابْنَهُ
وَهَبَطَ بَطْنِ وَادٍ فَنَزَلَ فِيهِ فَجَاءَهُ قَوْمٌ
فَنَزَلُوا عَلَى بَابِ الْخَبَاءِ كَمَا كَانُوا يَنْزِلُونَ
وَكَانَ عَدْتُهُمْ خَمْسِينَ فَارْسًا فَصَاقَتْ بِهِمْ
مَأْوِيَةَ ذُرْعَا وَقَالَتْ لَجَارِيتِهَا اذْهَبِي إِلَى ابْنِ
عَمِّي مَالِكٍ وَقُولِي لَهُ إِنَّ أَصْيَافًا لِحَاتِمٍ قَدْ
نَزَلُوا بَنَاءَ وَهُمْ خَمْسُونَ رَجُلًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْنَا
بَشِيرًا نَقْرِبُهُمْ وَلَبَنٍ نَسْقِيهِمْ وَقَالَتْ لَهَا
انْظُرِي إِلَى جَبِينِهِ وَفَمِهِ فَإِنْ شَافَهُكَ
بِالْمَعْرُوفِ فَأَقْبِلِي مِنْهُ وَإِنْ ضَرَبَ بِلَحِيَّتِهِ
عَلَى زُورِهِ وَلَطَمَ رَأْسَهُ فَأَقْبِلِي وَدَعِيهِ
فَلَمَّا أَتَتْهُ وَجَدَتْهُ مَتَوَسِّدًا وَطَبَا مِنْ لَبَنٍ
فَأَيْقَظَتْهُ وَأَبْلَغَتْهُ الرِّسَالَةَ وَقَالَتْ لَهُ إِنَّمَا
هِيَ اللَّيْلَةُ حَتَّى يَعْلَمَ النَّاسُ مَكَانَ حَاتِمٍ
فَلَطَمَ رَأْسَهُ بِيَدِهِ وَضَرَبَ بِلَحِيَّتِهِ وَقَالَ
أَقْرِئِيهَا السَّلَامَ وَقُولِي لَهَا هَذَا الَّذِي أَمَرْتُكَ
أَنْ تَطْلُقِي حَاتِمًا لِأَجَلِهِ وَمَا عِنْدِي لَبَنٍ
يَكْفِي أَصْيَافَ حَاتِمٍ

المستطرف [جزء 1 - صفحة 370]

فَرَجَعَتِ الْجَارِيَةُ فَأَخْبَرَتْهَا بِمَا رَأَتْ وَبِمَا
قَالَ لَهَا فَقَالَتْ لَهَا اذْهَبِي إِلَى حَاتِمٍ
وَقُولِي لَهُ إِنَّ أَصْيَافَكَ قَدْ نَزَلُوا بَنَاءَ اللَّيْلَةَ

ولم يعلموا مكانك فارسل إلينا بناقة
نقريهم ولبن نسقيهم فأنت الجارية حاتما
فصاحت به فقالت لبيك قريبا دعوت
فأخبرته بما جاءت بسببه فقال لها حبا
وكرامة ثم قام إلى الإبل فأطلق اثنتين
من عقالهما وصاح بهما حتى أتيا الخباء ثم
ضرب عراقبيهما فطلفت ماوية تصيح هذا
الذي طلقتك بسببه نترك أولادنا وليس
لهم شيء فقال لها ويحك يا ماوية الذي
خلقهم وخلق الخلق متكفل بأرزاقهم
وكان إذا اشتد البرد وغلب الشتاء أمر
غلمانہ بنار فيوقدونہا في بقاع الأرض
لينظر إليها من ضل عن الطريق ليلا
فيقصدہا ولم يكن حاتم يمسك شيئا ما
عدا فرسه وسلاحه فانه كان لا يجود بهما
ثم جاد بفرسه في سنة مجدية
حكى أن ملكان ابن اخي ماوية قال قلت
لها يوما ياعمة حدثيني ببعض عجائب حاتم
وبعض مكارم أخلاقه فقالت يا ابن أخي
أعجب ما رأيت منه أصابت الناس سنة
أذهب الخف والظلف وقد أخذني وإياه
الجوع وأسهرنا فأخذت سفانة وأخذ عديا
وجعلنا نعللہما حتى ناما فأقبل علي
يحدثني ويعللني بالحديث حتى أنام
فرفقت به لما به من الجوع فأمسكت عن

كلامه لينام فقال لي أنمت فلم اجبه
فسكت ونظر في فناء الخباء فإذا شيء قد
أقبل فرفع رأسه فإذا امرأة فقال ما هذا
فقلت يا أبا عدي أتيتك من عند صبية
يتعاونون كالكلاب أو كالذئاب جوعا فقال
لها احضري صبيانك فوالله لأشبعنهم
فقامت سريعة لأولادها فرفعت رأسي
وقلت له يا حاتم بماذا تشبع أطفالها
فوالله ما نام صبيانك من الجوع إلا
بالتعليل فقال والله لأشبعنك وأشبعن
صبيانك وصبيانها فلما جاءت المرأة نهض
قائما وأخذ المدينة بيده وعمد إلى فرسه
فذبحه ثم أجم نارا ودفع إليها شفرة وقال
قطعي واشوي وكلي واطعمي صبيانك
فأكلت المرأة وأشعبت صبيانها فأيقظت
أولادي وأكلت وأطعمتهم

المستطرف [جزء 1 - صفحة 371]

فقال والله إن هذا لهو اللؤم تأكلون وأهل
الحي حالهم مثل حالكم ثم أتى الحي بيتا
بيتا يقول لهم انهضوا بالنار فاجتمعوا
حول الفرس وتقنع حاتم بكسائه وجلس
ناحية فوالله ما أصبحوا وعلى وجه الأرض

منها قليل ولا كثير إلا العظم والحافر ولا
والله ما ذاقها حاتم وإنه لأشدهم جوعا
وأخباره كثيرة مشهورة ومن شعره
أماوى إن المال غاد ورائح ... ويبقى من)
وقد علم الأقوام (المال الأحاديث والذكر
(لو أن حاتما ... أراد ثراء المال كان له وفر
وأغار قوم على طيء فركب حاتم فرسه
وأخذ رمحه ونادى في جيشه وأهل
عشيرته ولقي القوم فهزمهم وتبعهم
فقال له كبيرهم يا حاتم هب لى رمحك
فرمى به إليه فقيل لحاتم عرضت نفسك
للهلاك ولو عطف عليك لقتلك فقال قد
علمت ذلك ولكن ما جواب من يقول هب
لي ولما مات عظم على طيء موته
فادعى أخوه أنه يخلفه فقالت له أمة
هيهات شتان والله ما بين خلقتكما
وضعته فبقي والله سبعة أيام لا يرضع
حتى ألقت إحدى ثديي طفلا من الجيران
وكنت أنت ترضع ثديا ويدك على الآخر
فأني لك ذلك قال الشاعر
يعيش الندى ما عاش حاتم طيء ... وإن)
(مات قامت للسقاء مآتم
وكانت العرب تسمى الكلب داعي الضمير
ومتمم النعم ومشيد الذكر لما يجلب من
الأضياف بنباحة والضمير الغريب وكانوا إذا

اشتد البرد وهبت الرياح ولم تشب النيران
فرقوا الكلاب حوالى الحي وربطوها إلى
العمد لتستوحش فتنبح فتهدى بالضلال
وتأتي الأضياف على نباحها والحكايات في
ذكر الأجواد والكرماء والأسخياء وأهل
المعروف وما كانوا عليه من السخاء
والكرم أكثر من أن تحصر وأشهر من من
أن تذكر ففي مثل هذه المناقب
فليتنافس المتنافسون ولمثلها فليعمل
العاملون فإن فيها عز الدنيا وشرف
الآخرة وحسن الصيت وخلود جميل الذكر
فإننا لم نجد شيئاً يبقى على ممر الدهر إلا
الذكر حسنا كان أو قبيحا وقد قال الشاعر

المستطرف [جزء 1 - صفحة 372]

ولا شيء يدوم فكن حديثاً ... جميل الذكر
(فالدنيا حديث)

فانتهاز فرصة العمر ومساعدة الدنيا ونفوذ
الأمر وقدم لنفسك كما قدموا تذكر
بالصالحات كما ذكروا وادخر نفسك في
القيامه كما ادخروا واعلم أن المأكول
للبدن والموهوب للمعاد والمتروك للعدو
فاختر أي الثلاث شئت وصلى الله على

سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

المستطرف [جزء 1 - صفحة 373]

الباب الرابع والثلاثون في البخل والشح
وذكر البخلاء وأخبارهم وما جاء عنهم
قال الله تعالى (الذين يبخلون ويأمرون
الناس بالبخل ويكتمون ما أتاهم الله من
فضله) الآية وقال رسول الله إياكم
والشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم
وعنه أنه قال البخل جامع لمساوىء
القلوب وهو زمام يقاد به إلى كل سوء
وقالت أم البنين أخت عمر بن عبد العزيز
رضي الله تعالى عنهما إن البخل لو كان
قميصا كما لبسته أو كان طريقا ما سلكته
وقيل بخلاء العرب أربعة الحطيئة وحميد
الأرقط وأبو الأسود الدؤلى وخالد بن
صفوان فأما الحطيئة فمر به إنسان وهو
على باب داره ويده عصا فقال أنا ضيف
فأشار إلى العصا وقال لكعاب الضيفان
أعدتها وأما حميد الأرقط فكان هجاء
للضيفان فحاشا عليهم نزل به مرة أضياف
فأطعمهم تمرا وهجاهم وذكر أنهم أكلوه
بنواه وأما أبو الأسود فتصدق على سائل

بتمره فقال له جعل الله نصيبك من الجنة
مثلها وكان يقول لو أطعنا المساكين في
اموالنا كنا أسوأ حالا منهم وأما خالد بن
صفوان فكان يقول للدرهم إذا دخل عليه
يا عيار كم تعير وكم تطوف وتطير لأطيلن
حبسك ثم يطرحه في الصندوق ويقفل
عليه وقيل له لم لا تنفق ومالك عريض
فقال الدهر أعرض منه وأنشد بعضهم
وهبني جمعت المال ثم خزنته ... وحانت
(وفاتي هل أزد به عمرا
إذا خزن المال البخيل فإنه ... سيورته)
(غما ويعقبه وزرا)

المستطرف [جزء 1 - صفحة 374]

واستأذن حنظلة عل صديق له بخيل فقيل
هو محموم فقال كلوا بين يديه حتى يعرق
وكتب سهل بن هرون كتابا في مدح البخل
وأهداه إلى الحسن بن سهل فوقع على
ظهره قد جعلنا ثوابك عليه ما أمرت به فيه
وقال ابن أبي فتن
ذريني وإتلافي لمالي فإنني ... أحب من
(الأخلاق ما هو أجمل
وإن أحق الناس باللوم شاعر ... يلوم)

(على البخل الرجال ويبخل
وكان عمر بن يزيد الأسدي بخيلا جدا أصابه
القولنج في بطنه فحقنه الطبيب بدهن
كثير فانحل ما في بطنه في الطست
فقال لغلامه اجمع الدهن الذي نزل من
الحقنه وأسرج به وكان المنصور شديد
البخل جدا مر به مسلم الحادي في طريقه
إلى الحج فحدا له يوما بقول الشاعر
أغرب بين الحاجبين نوره ... يزينه حياؤه)

(وخيره
ومسكه يشوبه كافوره ... إذا تغدي رفعت)
(ستوره)

فطرب حتى ضرب برجله المحمل ثم قال
يا ربيع أعطه نصف درهم فقال مسلم
نصف درهم يا أمير المؤمنين والله لقد
حدوت لهشام فأمر لي بثلاثين ألف درهم
فقال تأخذ من بيت مال المسلمين ثلاثين
ألف درهم يا ربيع وكل به من يستخلص
منه هذا المال قال الربيع فما زلت أمشي
بينهما وأروضه حتى شرط مسلم على
نفسه أن يحدو له في ذهابه وإيابه بغير

مؤنة
وكان أبو العتاهية ومروان بن أبي حفصة
بخيلين يضرب ببخلهما المثل قال مروان
ما فرحت بشيء أشد مما فرحت بمائة

ألف درهم وهبها لي المهدى فوزنتها
فرجحت درهما فاشترت به لحما واشترى
يوما لحما بدرهم فلما وضعه في القدر
دعاه صديقه فرد اللحم على القصاب
ينقصان دانقين فجعل القصاب ينادى الى
اللحم ويقول

المستطرف [جزء 1 - صفحة 375]

هذا لحم مروان واجتاز يوما بأعرابية
فأضافته فقال إن وهب لي أمير المؤمنين
مائة ألف درهم وهبت لك درهما فوهبه
سبعين ألف درهم فوهبها أربعة دوانق
ومن الموصوفين بالبخل أهل مرو يقال
إن عادتهم إذا ترافقوا في سفر أن
يشترى كل واحد منهم قطعة لحم ويشكها
في خيط ويجمعون اللحم كله في قدر
ويمسك كل واحد منهم طرف خيطه فإذا
استوى جر كل منهم خيطه وأكل لحمه
وتقاسما المرق وقيل لبخيل من أشجع
من الناس قال من سمع وقع أضراس
الناس على طعامه ولم تنشق مرارته
وقيل لبعضهم أما يكسوك محمد بن يحيى
فقال والله لو كان له بيت مملوء إبراء وجاء

يعقوب ومعه الأنبياء شفعاء والملائكة
ضمناء يستعير منه إبرة ليخيط به قميص
يوسف الذي قد من دبر ما أعاره إياها
فكيف يكسوني وقد نظم ذلك من قال
لو أن دارك أنبت لك واحتشت ... ابرا
(يضيق بها فناء المنزل

وأناك يوسف يستعيرك ابرة ... ليخيط قد
وكان المتنبي بخيلا جدا (قميصه لم تفعل
مدحه انسان بقصيدة فقال له كم أملت
منا على مدحك قال عشرة دنانير قال له
والله لو ندفت قطن الارض بقوس السماء
على جباه الملائكة ما دفعت لك دانقا وقال
دعبل كنا عند سهل بن هرون فلن نبرح
حتى كاد بموت من الجوع فقال ويلك يا
فلام اتنا غداءنا فأتى بقصعة فيها ديك
مطبوخ تحته تريد قليل فتأمل الديك فرآه
بغير رأس فقال لغلامه وأين الرأس فقال
رمىته فقال والله اني لاكره من يرمي
برجله فكيف برأسه ويحك أما علمت أن
الرأس رئيس الاعضاء ومنه يصيح الديك
ولولا صوته ما أريد وفيه فرقه الذي يتبرك
به وعينه التي يضرب بها المثل فيقال
شراب كعين الديك ودماغه عجيب لوجع
الكلية ولم نر عظما أهش تحت الاسنان
من عظم رأسه وهبك ظننت أني لا اكله

أما قلت عنده من يأكله أنظر في أي مكان
رمىته فأني به فقال والله لا أدري أين

المستطرف [جزء 1 - صفحة 376]

رمىته فقال ولكني أنا اعرف أين رميته
رمىته في بطنك الله حسبك وقيل من
الناس من يبخل بالطعام ويجود بالمال
وبالعكس قال بعضهم في أبي دلف
أبو دلف يضيع ألف ألف ... ويضرب
(بالحسام على الرغيف
دلف لمطبخه قنار ... ولكن دونه سل
(السيوف

واشتكى رجل مروزي صدره من سعال
فوصفوا له سويق اللوز فاستثقل النفقة
ورأى الصبر على الوجع أخف عليه من
الدواء فبينما هو يماطل الأيام ويدافع
الآلام إذ أتاه بعض أصدقائه فوصف له ماء
النخالة وقال إنه يجلو الصدر فأمر بالنخالة
فطبخت له وشرب من مائها فجلا صدره
ووجده يعصم فلما حضر غداؤه أمر به
فرفع إلى العشاء وقال لامراته اطبخي
لأهل بيتنا النخالة فاني وجدت ماءها يعصم
ويجلو الصدور فقالت لقد جمع لك الله

بهذه النخالة بين دواء وغذاء فالحمد لله
على هذه النعمة

وعن خاقان بن صبح قال دخلت على رجل
من أهل خراسان ليلاً فأتانا بمسرجة فيها
فتيلة في غاية الرقة وقد علق فيها عوداً
بخيط فقلت له ما بال هذا العود مربوطاً
قال قد شرب الدهن وإذا ضاع ولم نحفظه
احتجنا إلى غيره فلا نجد إلا عوداً عطشاناً
ونخشى أن يشرب الدهن قال فبينما أنا
أتعجب وأسأل الله العافية إذ دخل علينا
شيخ من أهل مرو فنظر إلى العود فقال
الرجل يا فلان لقد فررت من شيء
ووقعت فيما هو شر منه أما علمت أن
الريح والشمس يأخذان من سائر الأشياء
وينشفان هذا العود لم لا اتخذت مكان هذا
العود ابرة من حديد فان الحديد أملس وهو
مع ذلك غير نشاف والعود أيضاً ربما يتعلق
به شعرة من قطن الفتيلة فينقصها فقال
له الرجل الخراساني أرشدك الله ونفع بك
فلقد كنت في ذلك من الميسرفين وقال
الهيثم ابن عدي نزل على أبي حفصة
الشاعر رجل من اليمامة فأخلى له

المنزل ثم هرب مخافة أن يلزمه قراه في
هذه الليلة فخرج الضيف واشترى ما احتاج
إليه ثم رجع وكتب إليه
يا أيها الخارج من بيته ... وهاربا من شدة
(الخوف

قد جاء بزاد له ... فارجع وكن ضيفا على
(الضيف

واشترى رجل من البخلاء دارا وانتقل إليها
فوقف ببابه سائل فقال له فتح الله عليك
ثم وقف ثان فقال له مثل ذلك ثم وقف
ثالث فقال له مثل ذلك ثم التفت إلى ابنته
فقال لها ما أكثر السؤال في هذا المكان
قالت يا أبت ما دمت مستمسكا لهم بهذه
الكلمة فما تبال كثروا أم قلوا وألأم اللئام
وأبخلهم حميد الأرقط الذي يقال له هجاء
الأضياف وهو القائل في ضيف له يصف
أكله بهذا البيت من قصيدة له
بين لقمته الأولى إذا انحدرت ... وبين
(أخرى تليها قيد أظفور
وقال فيه أيضا

تجهز كفاه ويحدر حلقه ... إلى الزور ما
(ضمت عليه الأنامل

وأكل أعرابي مع أبي الأسود رطبا فأكثر
ومد أبو الأسود يده إلى رطبة ليأخذها

فسبقه الاعرابي إليها فسقطت منه في
التراب فأخذها أبو الأسود وقال لا أدعها
للسيطان يأكلها فقال الاعرابي والله ولا
لجبريل وميكائيل لو نزل من السماء ما
تركها وقال اعرابي لتزيل نزل به نزلت
بواد غير ممطور ورجل بك غير مسرور
فأقم بعدم أو أو ارحل بندم وللحمدوني
أبا زرارة يوما ... لحاجبه وفي يده)
(الحسام

وضع الخوان ولاح شخص ... لاختطفن)
(رأسك والسلام
فقال سوى أبيك فذاك شيخ ... بغيض)
(ليس يردعه الكلام
فقام وقال من حنق إليه ... ببیت لم يرد)
(فيه القيام
أبى وابننا أبى والكلب عندي ... بمنزلة إذا)
(حضر الطعام

المستطرف [جزء 1 - صفحة 378]

وقال له ابن لي يا ابن كلب ... على خبزي)
(أصادر أو أضام
إذا حضر الطعام فلا حقوق ... علي)
(لوالدي ولا ذمام

فما في الأرض أقبح من خوان ... عليه)
(الخبز يحضره الزحام
فأين هذا من القائل
بخيل يرى في الجود عار وإنما ... يرى)
(المرء عارا أن يرضن ويبخلا
إذ المرء أثرى ثم لم يرج نفعه ... صديق)
(فلاقتة المنية أولا
وقال آخر
وأمره بالبخل قلت لها اقصري ... فليس)
(إليه ما حيت سبيل
أرى الناس اخوان الكريم وما أرى ...)
(بخيلا له في العالمين خليل
وقالوا إذا سألت لئىما شيئا فعاجله ولا
تدعه يفكر فانه كلما فكر ازداد بعدا وقال
ربعي الهمذاني
جمعت صنوف المال من كل وجهة ... وما)
(نلتها إلا بكف كريم
وإني لأرجو أن أموت وتنقضي ... حياتي)
(وما عندي يد للئيم
وأنشد الجاحظ لأبي الشمقمق
ممن تعلمت هذا أن لا تجود بشيء ... أما)
(مررت بعبده لعبد حاتم طي
ومما قالته الشعراء في البخلاء وطعامهم
فمن أهجى ما قيل فيهم بيت جرير في
بنى تغلب

والتغليبي إذا تنحنح للقرى ... حك استه)
(وتمثل الأمثالا
وله أيضا فيهم
قوم إذا أكلوا أخفوا كلامهم ...)
(واستوثقوا من رتاج الباب والدار
قوم إذا استنبح الضيفان كلبهم ... قالوا)
(لأمهم بولي على النار

المستطرف [جزء 1 - صفحة 379]

فتمنع البول شحا أن تجود به ... وما تبول)
(لهم إلا بمقدار
والخبز كالعنبر الهندي عندهم ... والقمح)
(خمسون إردبا بدينار
فأين هؤلاء من الذي قال فيه الشاعر
أبلج بين حاجبيه نوره ... إذا تغدى رفعت)
(ستوره
وقال بعضهم في بخيل
أتانا بخيل بخبز له ... كمثل الدراهم في)
(رفته
إذا ما تنفس حول الخوان ... تطاير في)
(البيت من حفته
وقال آخر
تراهم خشية الأضياف خرسا ... يقيمون)

(الصلاة بلا أذان
وقال آخر وقد بات عند بخيل
فبتنا كأنا بينهم أهل مأتم ... على ميت)
(مستودع بطن ملحد
يحدث بعضا بعضنا بمصابه ... ويأمر بعضا
بعضنا بالتجلد
وقال آخر
وجيرة لا ترى في الناس مثلهم ... يكون)
(لهم عيد وافطار
أن يوقدوا يوسعونا من دخانهم ... وليس)
(يبلغنا ما تطبخ النار
وقال آخر وأجاد
فصدق إيمانه إن قال مجتهدا ... لا)
(والرغيف فذاك البر من قسمه
فان هممت به فاعبث بخبزته ... فان)
(موقعها من لحمه ودمه
قد كان يعجبني لو أن غيرته ... على)
(جرادقة كانت على حرمه
وقال آخر
ذهب الكرام فلا كرام ... وبقي العناريط)
(اللئام

(من لا يقيل ولا ينيل ... ولا يشم له طعام)
وقال آخر

(من كعب أعينا أخاكما ... على دهره إن)
الكريم معين

(ولا تبخلا بخل ابن قرعة إنه ... مخافة أن)
يرجى نداء حزين

(إذا جئته في حاجة سد بابه ... فلم تلقه إلا)
وأنت كمين

(وقال آخر
له يوم ندى ويوم ... يسل السيف فيه من)
القرباب

(جنوده فعلى قحاب ... سيفه فعلى)
الكلاب

(وقال آخر

(زففت إلى نبهان من صفو فكرتي ...)

(عروسا غدا بطن الكتاب لها صدرا

(فقبلها عشرا وهام بحبها ... فلما ذكرت)
المهر طلقها عشرا

(وقال آخر

(لو عبر البحر بأمواجه ... في ليلة مظلمة)
باردة

(وكفه مملوءة خردلا ... ما سقطت من)
كفه واحدة

(وقال آخر

(يا قائما في داره قاعدا ... من غير معنى)

(لا ولا فائدة
قد مات أضيافك من جوعهم ... فاقراً)
(عليهم سورة المائدة
وقال آخر
نوالك دونه شوك القتاد ... وخبزك كالثريا)
(في البعاد
فلو أبصرت ضيفا في منام ... لحرمت)
(الرقاد إلى العباد)

المستطرف [جزء 1 - صفحة 381]

وقال آخر
تعجبني لخبر زل من يده ... فالكوكب)
(النحس يسقي الأرض أحيانا
وقال ابن أبي حازم
وقالوا قد مدحت فتى كريما ... فقلت)
(وكيف لي بفتى كريم
بلوت ومر بي خمسون حولا ... وحسبك)
(بالمجرب من عليم
فلا احد يعد ليوم خير ... ولا أحد يجود على)
(عديم)
ومن رؤساء أهل البخل
محمد بن الجهم وهو الذي قال وددت لو
أن عشرة من الفقهاء وعشرة من الخطباء

وعشرة من الشعراء وعشرة من الأدباء
تواطؤوا على ذمي واستسهلوا شتمي حتى
ينتشر ذلك في الآفاق فلا يمتد إلى أمل
أمل ولا يبسط نحوى رجاء راج وقال له
اصحابه يوما أنا نخشى أن نقعد عندك فوق
مقدار شهوتك فلو جعلت لنا علامة تعرفت
بها وقت استئقالك لمجالستنا فقال علامة
ذلك أن أقول يا غلام هات الغداء وقال
عمر بن ميمون مررت ببعض طرق الكوفة
فإذا أنا برجل يخاصم جارا له فقلت ما
بالكما فقال أحدهما أن صديق لي زارني
فاشتهى رأسا فاشتريته وتغذينا واخذت
عظامه فوضعتها على باب داري أتجمل بها
فجاء هذا فأخذها ووضعها على باب داره
يوهم الناس أنه هو الذي اشترى الرأس
قال رجل من البخلاء لاولاده اشثروا لي
لحما فاشثروه فأمر بطبخه فلما استوى
أكله جميعه حتى لم يبقى في يده إلا
عظمة وعيون اولاده ترمقه فقال ما
أعطى أحد منكم هذه العظمة حتى يحسن
وصف أكلها فقال ولده الأكبر أمشمشها يا
أبت وأمصها حتى لا أدع للذر فيها مقيلا
قال

المستطرف [جزء 1 - صفحة 382]

لست بصاحبها فقال الأوسط ألوکها يا
أبت وألحسها حتى لا يدري أحد لعام هي
أم لعامين قال لست بصاحبها فقال
الأصغر يا أبت أمصها ثم أدقها وأسفها
سفا قال أنت صاحبها وهي لك زادك الله
معرفة وحزما ووقف اعرابي علي باب أبي
الأسود وهو يتغدى فسلم فرد عليه ثم
أقبل على الأكل ولم يعزم عليه فقال له
الاعرابي أما اني قد مررت بأهلك قال
كذلك كان طريقك قال وأمرتك حبلی قال
كذلك كان عهدي بها قال قد ولدت قال
كان لابد لها أن تلد قال ولدت غلامين قال
كذلك كانت أمها قال مات أحدهما قال ما
كانت على ارضاع اثنين قال ثم مات الآخر
قال ما كان ليبقى بعد موت أخيه وقال
ماتت الأم قال حزنا على ولديها قال ما
أطيب طعامك قال لأجل ذلك أكلته وحدي
ووالله لاذقنه يا اعرابي وقيل خرج اعرابي
قد ولاه الحجاج بعض النواحي فأقام بها
مدة طويلة فلما كان في بعض الأيام ورد
عليه اعرابي من حيه فقدم إليه الطعام
وكان إذ ذاك جائعا فسأله عن أهله وقال
ما حال ابني عمير قال على ما تحب قد ملأ

الأرض والحي رجالا ونساء قال فما فعلت
أم عمير قال صالحة أيضا قال فما حال
الدار قال عامرة باهلها قال وكلبنا ايقاع
قال قد ملأ الحي نبحا قال فما حال جملي
زريق قال على ما يسرك قال فالتفت إلى
خادمة وقال ارفع الطعام فرفعه ولم
يشبع الاعرابي ثم أقبل عليه يسأله وقال
يا مبارك الناصية أعد علي ما ذكرت قال
سل عما بدا لك قال فما حال كلبني ايقاع
قال مات قال وما الذي أماته قال اختنق
بعظمه من عظام جملك زريق فمات قال
أومات جملي زريق قال نعم قال وما الذي
أماته قال كثرة نقل الماء إلى قبر أم عمير
قال أو ماتت أم عمير قال نعم قال وما
الذي أماتها قال كثرة بكائها على عمير
قال أو مات عمير قال نعم قال وما الذي
أماته قال سقطت عليه الدار قال أو
سقطت الدار قال نعم قال فقام له
بالعصا ضاربا فولى من بين يديه هاربا
وحكى بعضهم قال كنت في سفر فضلت
عن الطريق فرأيت

بيتا في الفلاة فأتيته فاذا به اعرابية فلما
رأني قالت من تكون قلت ضيف قالت
اهلا ومرحبا بالضيف انزل على الراح
والسعة قال فنزلت فقدمت لي طعاما
فأكلت وماء فشربت فبينما أنا على ذلك إذ
أقبل صاحب البيت فقال من هذا فقالت
ضيف فقال لا أهلا ولا مرحبا ما لنا
وللضيف فلما سمعت كلامه ركبت من
ساعتي وسرت فلما كان من الغد رأيت
بيتا في الفلاة فقصدته فاذا فيه اعرابية
فلما رأني قالت من تكون قلت ضيف
قالت لا أهلا ولا مرحبا بالضيف ما لنا
وللضيف فبينما هي تكلمني إذ أقبل
صاحب البيت فلما رأياني قال من هذا قالت
ضيف قال مرحبا وأهلا بالضيف ثم أتى
بطعام حسن فأكلت وماء فشربت
فتذكرت ما مر بي بالأمس فتبسمت فقال
مم تبسمك فقصصت عليه ما اتفق لي مع
تلك الاعرابية وبعلمها وما سمعت منه ومن
زوجته فقال لا تعجب إن تلك الاعرابية
التي رأيته هي أختي وإن بعلمها أخو
امرأتي هذه فغلب على كل طبع أهله
وحكايات هؤلاء وأمثالهم كثيرة وأخبارهم
ونوادرهم شهيرة وفيما ذكرته كفاية
وأسأل الله تعالى التوفيق والهداية انه

على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير ولا حول
ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وصلى الله
على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

المستطرف [جزء 1 - صفحة 384]

الباب الخامس والثلاثون
في الطعام وأدابه والضيافة وآداب
المضيف وأخبار الأكلة وما جاء عنهم
وغير ذلك
أما إباحة الطيب من المطاعم
فقد قال الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا
كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا الله
إن كنتم إياه تعبدون) وقال تعالى (
يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم
الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين)
وقال تعالى (قل من حرم زينة الله التي
أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي
للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم
القيامة) وقال رسول الله محرم الحلال
كمحلل الحرام وقال عليه الصلاة والسلام
إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده
في مأكله ومشربه وكان الحسن رضي
الله تعالى عنه يقول ليس في اتخاذ

الطعام سرف وسئل الفضيل عمن يترك
الطيبات من اللحم والخبيص للزهد فقال
ما للزهد وأكل الخبيص ليتك تأكل وتتقي
الله إن الله لا يكره أن تأكل الحلال إذا
اتقيت الحرام انظر كيف برك بوالديك
وصلتك للرحم وكيف عطفك على الجار
وكيف رحمتك للمسلمين وكيف كظملك
للغيظ وكيف عفوك عمن ظلمك وكيف
إحسانك إلى من أساء إليك وكيف صبرك
واحتمالك للأذى أنت إلى أحكام هذا أحوج
من ترك الخبيص

المستطرف [جزء 1 - صفحة 385]

وأما نعوت الأطعمة وما جاء في فيها
فقد نقل عن الرشيد انه سأل أبا الحرث
عن الفالودج واللوزينج أيهما أطيب فقال
يا أمير المؤمنين لا أقضي على غائب
فأحضرهما إليه فجعل يأكل من هذا لقمة
ومن هذا لقمة ثم قال يا أمير المؤمنين
كلما أردت أن أقضي لأحدهما أتى الآخر
بحجته واختلف الرشيد وأم جعفر في
الفالودج واللوزينج أيهما أطيب فحضر أبو
يوسف القاضي فسأله الرشيد عن ذلك

فقال يا أمير المؤمنين لا يقضى على
غائب فأحضرهما فأكل حتى اكتفى فقال
له الرشيد احكم قال قد اصطلاح الخصمان
يا أمير المؤمنين فضحك الرشيد وأمر له
بألف دينار فبلغ ذلك زبيدة فأمرت له بألف
دينار الا دينار وسمع الحسن البصري رجلا
يعيب الفالوج فقال لباب البر بلعاب
النحل بخالص السمن ما أظن عاقلا يعيبه
وقال الأصمعي أول من صنع الفالوج عبد
الله بن جدعان وأتى اعرابي بفالوج
فأكل منه لقمة فقليل له هل تعرف هذا
فقال هذا وحياتك الصراط المستقيم
وكان أحب الطعام إلى رسول الله اللحم
وعن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه أن
رسول الله سيد طعام أهل الدنيا وأهل
الجنة اللحم وكان هو سيد الطعام في
الدنيا والآخرة وهو يزيد في السمع ولو
سألت ربي أن يطعمنيه كل يوم لفعل
وكان الدباء ويقول يا عائشة إذا طبختي
قدر فاكثروا فيها من الدباء فانها تشد
القلب الحزين وهي شجرة أخي يونس
وعنه قال عليكم بالقرع فانه يشد الفؤاد
ويزيد في الدماغ وعليكم بالعدس فانه
يرق القلب ويغزر الدمعة وعن أبي رافع
قال كان أبو هريرة رضي الله تعالى عنه

يقول أكل التمر أمان من القولنج وشرب
العسل على الريق أمان من الفالج وأكل
السفرجل يحسن الولد وأكل الرمان يصلح
الكبد والزبيب يشد العصب ويذهب بالنصب
والوصب والكرفس يقوي المعدة ويطيب
النكهة وأطيب اللحم الكتف وكان يديم
أكل الهريسة وكان يأكل على سماط
معاوية ويصلي خلف علي ويجلس وحده
فسئل عن ذلك فقال

المستطرف [جزء 1 - صفحة 386]

طعام معاوية ادسم والصلاة خلف علي
أفضل وهو أعلم والجلوس وحدي لي
أسلم وسميت المتوكلية بالمتوكل
والمأمونية بالمأمون وقال الحسن ابن
سهل يوما علي مائدة المأمون الأرزيدي
في العمر فسأله المأمون عن ذلك فقال
يا أمير المؤمنين ان طب الهند صحيح وهم
يقولون ان الأرزيدي منافات حسنة ومن
رأى منا ما حسنا كان في نهارين
فاستحسن قوله ووصله وقال أبو صفوان
الأرزي الأبيض بالسمن والسكر ليس من
طعام أهل الدنيا وقيل لأبي الحرث

ما تقول في الفالوذة قال وددت لو أنها
وملك الموت اعتلجا في صدري والله لو أن
موسى لقي فرعون بالفالوذة لآمن
ولكنه لقيه بعصا وكانت العرب لا تعرف
الألوان إنما طعامهم اللحم يطبخ بالماء
والملاح حتى كان زمن معاوية رضي الله
عنه فاتخذ الألوان ويقال للمرقعة المسخنة
بنت نارين وكان بعض المترفهيين يقول
جنبوا مائدتي بنت نارين وقالوا كل طعام
أعيد عليه التسخين مرتين فهو فاسد
وقيل إذا ألقى اللحم في العسل ثم أخرج
بعد شهر طريا فانه لا يتغير ويقال
للسكباج سيد المرق وشيخ الأطعمة وزين
الموائد ويقال إذا طبخت اللحم بالخل فقد
ألقيت عن معدتك ثلث المؤنة ويقال للخبز
ابن حبة قال بعضهم

في حبة القلب مني ... زرعت حب ابن
وعن ابن عباس رضي الله تعالى (حبه
عنهما رفعه أكرموا الخبز قالوا وما كرامته
يا رسول الله قال لا ينتظر به الادم إذا
وجدتم الخبز فكلوه حتى تؤثوا بغيره وفي
الحديث من داوم على اللحم أربعين يوما
قسا قلبه ومن تركه أربعين يوما ساء
خلقه وقيل المائدة التي أنزلت على بنى
اسرائيل كان عليها كل القبول إلا الكراث

وسمكة عند رأسها خل وعند ذنبها ملح
وسبعة أرغفة على كل واحد زيتون وحب
رمان ودخل ابن قزعة يوما على عز الدولة
وبين يديه طبق فيه موز فتأخر عن
استدعائه فقال ما بال مولانا ليس
يدعوني إلى الفوز بأكل الموز فقال صفه
حتى اطعمك منه فقال ما الذي أصف من
حسن لونه فيه سبائك ذهبية كأنها

المستطرف [جزء 1 - صفحة 387]

حشيت زبدا وعسلا أطيب الثمر كأنه مخ
الشحم سهل المقشر لين المكسر عذب
المطعم بين الطعوم سلس في الحلقوم
ثم مد يده وأكل وسمع رجلا يذم الزبد
فقال له ما الذي ذممت منه سواد لونه أم
بشاعة طعمه أم صعوبة مدخله أم خشونة
لملمسه وقيل له ما تقول في الباذنجان
فقال اذئاب المحاجم وبطون العقارب
وبزور الزقوم قيل له أنه يحشى باللحم
فيكون طيبا فقال لو حشي بالتقوى
والمغفرة ما أفلح وصنع الحجاج وليمة
واحتفل فيها ثم قال لراذان هل عمل
كسرى مثلها فاستغفاه فأقسم عليه

فقال أولم عبد عند كسرى فأقام على
رؤوس الناس ألف وصيفة في يد كل واحد
أبريق من ذهب فقال الحجاج أف والله ما
تركت فارس لمن بعدها من الملوك شرفا
وأهدى رجل إلى آخر فالودجة زنخة وكتب
إليه اني اخترت لعملها السكر السوسي
والعسل المارداني والزعفران
والأصبهاني فأجابه والله العظيم ما عملت
إلا قبل أن توجد أصبهان وقبل أن تفتح
السوس وقبل أن يوحى ربك إلى النحل
وقيل أن أبا جهم بن عطية كان عينا لأبي
مسلم الخولاني على المنصور فأحس
المنصور بذلك فطاوله الحديث يوما حتى
عطش فاستسقى فدعا له بقدر من
سويق اللوز فيه السم فناوله إياه فشرب
منه فما بلغ داره حتى مات فقيل في ذلك
تجنب سويق اللوز لا تقرينه ... فشرب)
(سويق اللوز أردى أبا جهم
وقال أبو طالب المأموني
فما حملت كف أمرىء متطعما ... ألد)
(وأشهى من أصابع زينب
وأصابع زينب ضرب من الحلوى يعمل
ببغداد يشبه أصابع النساء المنقوشة
ودخل السائب على علي رضي الله تعالى
عنه في يوم شات فناوله قدحا فيه عسل

وسمن ولبن فأباه فقال أما انك لو شربته
لم تزل دفئا شبعان سائر يومك وعن نافع
بن أبي نعيم قال كان أبو طالب يعطي
علينا قدحا من اللبن يصبه على اللات
فكان علي يشرب اللبن ويبول على اللات

المستطرف [جزء 1 - صفحة 388]

وأما الزهد في المآكل
فقد زهد فيه كثير من الأخيار مع القدرة
عليه ومنهم من لا يقدر عليه قالت عائشة
رضي الله تعالى عنها والذي بعث محمد ما
كان لنا منخل ولا أكل رسول منخولا منذ
بعثه الله تعالى إلى أن قبض قيل فكيف
كنتم تأكلون الشعير قالت كنا نقول أف
أف وعن جابر رضي الله عنه تعالى رفعة
نعم الأدب الخل وكفى بالمرء سرفا أن
يسخط ما قرب إليه وقال عمر رضي الله
تعالى عنه ما اجتمع عند رسول الله إلا أكل
أحدهما وتصدق بالآخر وقالت عائشة رضي
الله تعالى ما كان يجتمع لوانان في لقمة
في فم رسول الله كان لحما لم يكن خبزا
وان كان خبزا لم يكن لحما وعن النبي قال
يا علي ابدأ بالملح واختم به فان فيه شفاء

من سبعين داء وروي أن نبيا من الأنبياء
عليهم الصلاة والسلام شكّا إلى الله
الضعف فأمره أن يطبخ اللحم باللبن فان
القوة فيهما وسنذكر فضل الزهد في
المأكل والمشرب في باب مدح الفقراء
إن شاء الله تعالى
وأما ما جاء في آداب الأكل
فقد قال رسول الله قال عند مطعنة
ومشربه بسم الله خير الأسماء بسم الله
رب الأرض والسماء لم يضره ما أكل وما
شرب وكان وضع بين يديه الطعام قال
بسم الله اللهم بارك لنا فيما رزقنا وعليك
حلقه وقال أكل طعاما فقال الحمد لله
الذي أطعمني هذا ورزقنيه من غير حول
مني ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه ومن
لبس ثوبا فقال الحمد لله الذي كساني هذا
ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة غفر له
ما تقدم من ذنبه وقالت عائشة رضي الله
تعالى عنها قال رسول الله إذا أكل أحدكم
فليذكر اسم الله تعالى فان نسي في أوله
فليقل بسم الله أوله وآخره وفي حديث
ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال
رسول الله إذا أكل أحدكم فليأكل بيمينه
وإذا شرب فليشرب بيمينه فان الشيطان
يأكل بشماله ويشرب وقال في السوق

دناءة وعن أنس

المستطرف [جزء 1 - صفحة 389]

رضي الله تعالى عنه أن النبي عن الشرب
قائما قال فسألناه عن الأكل قائما فقال
هو شر من الشرب وأوصى رجل من خدم
الملوك ابنه فقال إذا أكلت فضم شفئك
ولا تلتفتن يمينا ولا شمالا ولا تلقمن
بسكين ولا تجلس فوق من هو أشرف منك
وأرفع منزلة ولا تبصق في الأماكن
النظيفة ومن هذا ما رواه الزهري أن
النبي عن النفخ في الطعام والشراب
وقال علي رضي الله تعالى عنه نهى
رسول الله يؤكل الطعام حارا وفي
الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله تعالى
عنه قال ما عاب النبي طعاما قط إن
اشتراه أكله ولا تركه وقال عمر بن هبيرة
عليكم بمباكرة الغذاء فان مباكرته تطيب
النكهة وتعين على المروءة وقيل وما
إعانتة على المروءة قال أن لا تتوق نفسك
إلى طعام غيرك وعن النبي من أكل من
سقط المائدة عاش في سعة وعوفي في
ولده وولد ولده من الحمق وعنه سقط

شيئا من الطعام فأكله حرم الله جلده
على النار وكان الحرث بن كلدة يقول إذا
تغدى أحدكم فليتم على غدائه وإذا تعشى
فليخط أربعين خطوة وقيل خير الغداء
بواكره وخير العشاء سوافره وعن ابن
عباس رضي الله تعالى عنهما قال نهى
رسول الله أن يتبع الرجل بصره لقمة أخيه
وقال الحجاج لأعرابي يوما على سماطه
أرفق بنفسك فقال وأنت يا حجاج اغضض
من بصرك وقال معاوية لرجل على مائدته
خذ الشعرة من لقمتك فقال وإنك
تراعيني مراعاة من يرى الشعرة في
لقمتي لا أكلت لك طعاما أبدا ووضع
معاوية بين يدي الحسن بن علي رضي الله
تعالى عنهما دجاجة ففكها فقال معاوية
هل بينك وبين أمها عداوة فقال الحسن
فهل بينك وبين أمها قرابة أراد معاوية أن
الحسن يوقر مجلسه كما توقر مجالس
الملوك والحسن أعلم منه بالآداب
والرسوم المستحسنة رضي الله تعالى
عنهما وأحضر أعرابي على مائدة بعض
الخلفاء فقدم جدي مشوي فجعل
الأعرابي يسرع في أكله منه فقال له
الخليفة أراك تأكله بحرد كأن أمه نطحتك
فقال أراك تشفق عليه كأن أمه أرضعتك

المستطرف [جزء 1 - صفحة 390]

وأما ما جاء في كثرة الأكل
فقد روي عن حذيفة رضي الله تعالى عنه
عن النبي قل طعامه صح بطنه وصفا قلبه
ومن كثر طعامه سقم بطنه وقسا قلبه
وعنه لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام
والشراب فإن القلب كالزراع إذا كثر عليه
الماء مات وقال زين الله رجلا بزينة أفضل
من عفاف بطنه وقال عمرو بن عبيد ما
رأيت الحسن ضاحكا إلا مرة واحدة قال
رجل من جلسائه ما أذاني طعام قط فقال
له آخر أنت لو كانت في معدتك الحجارة
لطحنتها وقال علي كرم الله وجهه البطنة
تذهب الفتنة وقال ابن المقفع كانت
ملوك الأعاجم إذا رأَت الرجل نهما شرها
أخرجوه من طبقة الجد إلى باب الهزل
ومن باب التعظيم إلى باب الاحتقار
وتقول العرب أقلل طعاما تحمد مناما
وكانت العرب تعير بعضها بكثرة الأكل
وأنشدوا
بأكال كأكل العبد ... ولا بنوام كنوم الفهد)

وانشد الأصمعي لرجل من بني فهد
إذا لم أزر إلا لأكل أكلة ... فلا رفعت كفي)
إلي طعامي
فما أكله إن نلتها بغنيمة ... ولا جوعة ان)
جعتها بغرام
وقالت عائشة رضي الله تعالى عنها أرارد
رسول الله أن يشتري غلاما فألقى بين
يديه تمرا فأكل فأكثر فقال إن كثرة الأكل
شؤم وقالوا الوحدة خير من الجليس
السوء والجليس السوء خير من الأكيل
السوء وشكا أبو العيناء إلى صديق له سوء
الحال فقال اشكر فان الله قد رزقك
الاسلام والعافية قال أجل ولكن بينهما
جوع يقلقل الكبد ودعت أبا الحرث حبيبة
له فحادثته ساعة فجاع فطلب الأكل
فقالت له أما في وجهي ما يشغلك عن
الأكل قال

المستطرف [جزء 1 - صفحة 391]

جعلت فداءك لو أن جميلا وبثينة قعدا
ساعة لا يأكلان لبصق كل منهما في وجه
صاحبه وافترقا
وأما أخبار الأكلة

فقد قيل إن وهب بن جرير سأل ميسرة
البراش عن أعجب ما أكل فقال أكلت مائة
رغيف بمكوك بلح ومر ميسرة المذكور
يوما يقوم وهو راكب حمارا فدعوه
للضيافة فذبحوا له حماره وطبخوه
وقدموه له فأكله فلما أصبح طلب حماره
ليركبه فقيل له هو في بطنك وقال
المعتمر بن سليمان قلت لهلال المازني
ما أكلة بلغتني عنك قال جعت مرة ومعني
بعير لي فنحرته وشويته واكلته ولم أبق
منه إلا شيئا يسيرا حملته على ظهري فلما
كان الليل أردت أن أجامع أمة لي فلم أقدر
أن أصل إليها فقالت كيف تصل إلي وبيننا
جمل فقلت له كم تكفيك هذه الأكلة فقال
أربعة أيام وقال الأصمعي أن سليمان بن
عبد الملك كان شرها نهما وكان من شره
أنه إذا أتى بالسفود وعليه الدجاج السمين
المشوي لا يصبر إلى أن يبرد ولا أن يؤتي
بمنديل فيأخذ بكمه فيأكل واحدة واحدة
حتى يأتي عليها فقال الرشيد ويحك يا
أصمعي ما أعلمك بأخبار الناس إني
عرضت على جباب سليمان فرأيت فيها
أثار الدهن فظننته طيبا حتى حدثني ثم
أمر لي بحبة منها فكنت إذا لبستها أقول
هذه حبة سليمان ابن عبد الملك

وقال الشمردل وكيل عمرو بن العاص
قدم سليمان بن عبد الملك الطائف فدخل
هو وعمر بن عبد العزيز إلى وقال يا
شمردل ما عندك ما تطعمني قلت عندي
جدي كأعظم ما يكون سمنا قال عجل به
فأتيته به كأنه عكة سمن فجعل يأكل منه
ولا يدعو عمر حتى إذا لم يبق منه إلا فحدا
قال هلم يا أبا جعفر فقال إني صائم
فاكله ثم قال يا شمردل ويلك أما عندك
شيء قلت ست

المستطرف [جزء 1 - صفحة 392]

دحاجات كأنهن أفخاد نعام فأتيته بهن
فأتى عليهن ثم قال يا شمردل أما عندك
شيء قلت سويق كأنه قراضة الذهب
فأتيته به فعبه حتى أتى عليه ثم قال يا
غلام أفرغت من غذائنا قال نعم قال ما
هو قال نيف وثلاثون قدرا قال أنتي بقدر
قدر فأتاه بها ومعه الرقاق فأكل من كل
قدر ثلثه ثم مسح يده واستلقى على
فراشه وأذن للناس فدخلوا وصف الخوان
فقعد وأكل مع الناس وكان هلال بن
الأسعر يضع القمع على فيه ويصب اللبن

أو النبيذ وكان غليظا عتلا وقال أعرابي
لرجل رآه سميئا أرى عليك قطيفة من
نسج أضراسك وقال المحمر الاعرابي
كانت لي بنت تجلس على المائدة فتبرز
كفا كأنها صلغة في ذراع كأنه جمارة فلا
تقع عينها على لقمة نفيسة إلا خصتني
بها فكبرت وزوجتها وصرت أجلس على
المائدة مع ابن لي فيبرز كفا كأنها كرنافة
فوالله لن تسبق عيني إلى لقمة طيبة إلا
سبقت يده إليها وقال مسلم بن قتيبة
عددت للحجاج أربعة وثمانين رغيفا مع كل
رغيف سمكة ويقال فلان يحاكي حوت
يونس في جودة الألتقام وعصا موسى
في سرعة الالتهام

وقيل لأبي مرة أي الطعام أحب إليك قال
لحم سمين وخبز سميد أضرب فيه ضرب
ولي السوء في مال اليتيم وقال صدقة بن
عبيد المازني أو لم لي أبي لما تزوجت
فعمل عشر جفان ثريد من جزور فكان
أول من جاءنا هلال المازني فقدمنا له
جفنة مترعة فأكلها ثم أخرى فأكلها حتى
أتى على الجميع ثم أتى بقربة مملوءة من
النبيذ فوضع طرفها في شذقة وفرغها
في جوفه ثم قام فخرج واستانفنا عمل
الطعام وكان عبید بن زياد يأكل في كل

يوم خمس أكلات فخرج يوما يريد الكوفة
فقال له رجل من بني شيبان الغداء أصلح
الله أمير الأمير فنزل فذبح له عشرين
طائرا من الأوز فأكلها ثم قدم الطعام
فأكل ثم أتى بزنبيلين في أحدهما تين
وفي الآخر بيض فجعل يأكل من هذا تينة
ومن هذا بيضة حتى أتى على ذلك جميعه
ثم رجع جائع وكان ميسرة البراش يأكل
الكبش العظيم ومائة رغيف فذكر ذلك
للمهدي فقال دعوت يوما بالفيل وأمرت
فألقي إليه رغيف فأكل تسعة وتسعين
وألقي إليه تمام المائة فلم يأكله
وحدث الشيخ نبيه الجوهري أنه سمع
الشيخ الإمام عز الدين ابن عبد السلام
يقول إن معاوية ابن أبي سفيان كان يأكل
في كل يوم مائة رطل بالدمشقي ولا
يشبع ونزل رجل بصومعة راهب فقدم إليه
الراهب أربعة أرغفة وذهب ليحضر إليه
العدس فحمله وجاء فوجده قد أكل الخبز
فذهب فأتى بخبز فوجده قد أكل العدس
ففعل ذلك عشر مرات فسأله الراهب أين
مقصدك قال إلى الأردن قال لماذا قال
بلغني أن بها طبيا حاذقا أسأله عما يصلح
معدتي فاني قليل الشهوة للطعام فقال
له الراهب إن لي إليك حاجة قال وهي قال

إذا ذهبت وأصلحت معدتك فلا تجعل
رجوعك علي
وأما المهازلة على طعام
فقد روي عن يحيى بن عبد الرحمن رضي
الله تعالى عنه قال قالت عائشة رضي الله
عنها كان عندي رسول الله فصنعت حريرة
فجئت به فقلت لسودة كلي فقالت لا أحبه
فقلت والله لتأكلين أو لطنخن وجهك
فقالت ما أنا بذائقة فأخذت من الصحيفة
شيئا فلطخت به وجهها ورسول الله
جالس بيني وبينها فتناولت من الصحيفة
شيئا فلطخت به وجهي وجعل رسول الله
يضحك واشترى غدر يوما عياله السمك
ولطخوا يده فلما انتبه قال

المستطرف [جزء 1 - صفحة 393]

خمس أكلات فخرج يوما يريد الكوفة فقال
له رجل من بني شيبان الغداء أصلح الله
الأمير فنزل فذبح له عشرين طائرا من
الأوز فأكلها ثم قدم الطعام فأكل ثم أتى
بزنبيلين في أحدهما تين وفي الآخر بيض
فجعل يأكل من هذا تينة ومن هذا بيضة
حتى أتى على ذلك جميعه ثم رجع وهو

جائع وكان ميسرة البراش يأكل الكبش
العظيم ومائة رغيف فذكر ذلك للمهدي
فقال دعوت يوما بالفيل وأمرت فألقي
إليه رغيف فأكل تسعة وتسعين وألقي
إليه تمام المائة فلم يأكله

وحدث الشيخ نبيه الدين الجوهري أنه سمع
الشيخ الإمام عز الدين ابن عبد السلام
يقول إن معاوية ابن أبي سفيان كان يأكل
في كل يوم مائة رطل بالدمشقي ولا
يشبع ونزل رجل بصومعة راهب فقدم إليه
الراهب أربعة أرغفة وذهب ليحضر إليه
العدس فحمله وجاء فوجده قد أكل الخبز
فذهب فأتى بخبز فوجده قد أكل العدس
ففعل معه ذلك عشر مرات فسأله الراهب
أين مقصدك قال إلى الأردن قال لماذا
قال بلغني أن بها طبيبا حاذقا أسأله عما
يصلح معدتي فاني قليل الشهوة للطعام
فقال له الراهب إن لي إليك حاجة قال
هي قال إذا ذهبت وأصلحت معدتك فلا
تجعل رجوعك علي

وأما المهازلة على الطعام

فقد روي عن يحيى بن عبد الرحمن رضي
الله تعالى عنه قال قالت عائشة رضي الله
عنها كان عندي رسول الله فصنعت حريرة
فجئت به فقلت لسودة كلي فقالت لا أحبه

فقلت والله لتأكلين أو لألطخن وجهك
فقالت ما أنا بذائغته فأخذت من الصحيفة
شيئا فلطخت به وجهها ورسول الله
جالس بيني وبينها فتناولت من الصحيفة
شيئا فلطخت به وجهي وجعل رسول الله
يضحك واشترى غندر يوما سمكا وقال
لأهله أصلحوه ونام فأكل عياله السمك
ولطخوا يده فلما انتبه قال

المستطرف [جزء 1 - صفحة 394]

قدموا إلي السمك قالوا قد أكلت قال لا
قالوا شم يدك ففعل فقال صدقتم ولكن
ما شبعتم ودخل الحمدوني على رجل
وعنده أقوام بين أيديهم أطباق الحلوى ولا
يمدون أيديهم فقال لقد ذكرتموني ضيف
إبراهيم وقول الله تعالى (فلما رأى
أيديهم لا تصل إليه نكرهم وأوجس منهم
خيفة) ثم قال كلوا رحمكم الله فضحكوا
وأكلوا والحكايات في ذلك كثيرة
وأما الضيافة وأطعام الطعام
فقد قال الله تعالى (هل أتاك حديث
ضيف إبراهيم المكرمين) وقال رسول
الله كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم

ضيفه ولا يؤذ جاره وقال أكل وذو عنين
ينظر إليه ولم يواسه ابتلي بداء لا دواء له
وقال الحسن كنا نسمع أن احدى مواجب
الرحمة إطعام الأخ المسلم الجائع وقيل
لإبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام بم
اتخذك الله خليلا قال بثلاث ما خirt بين
شيئين إلا اخترت الذي لله على غيره ولا
اهتممت بما تكفل لي به ولا تغديت ولا
تعشيت إلا مع ضيف ويقولون ما خلا
مضيف الخليل عليه الصلاة والسلام إلى
يومنا هذا ليلة واحدة من ضيف وكان
الزهري إذا لم يأكل أحد من أصحابه من
طعامه حلف لا يحدثه عشرة أيام وقالوا
المائدة مرزوقة أي من كان مضيفا وسع
الله عليه وقالوا أول من سن القرى
إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام وأول
من ثرد الثريد وهشمه هاشم وأول من
أفطر جيرانه على طعامه في الاسلام عند
الله ابن عباس رضي الله تعالى عنهما
وهو أول من وضع موائده على الطريق
وكان إذا خرج من بيته طعام لا يعود منه
شيء فإن لم يجد من يأكله تركه على
الطريق وقيل لبعض الكرماء كيف اكتسبت
امتسب مكارم الأخلاق والتأدب مع
الأضياف فقال كانت الأسفار تحوجني إلى

أن أفد على الناس فما استحسنته من
أخلاقهم اتبعته وما استقبحته أجنبته

المستطرف [جزء 1 - صفحة 395]

وأما آداب المضيف
فهو أن يخدم أضيافه ويظهر لهم الغنى
وبسط الوجه فقد قيل البشاشة في الوجه
خير من القرى قالوا فكيف بمن يأتي بها
وهو ضاحك وقد ضمن الشيخ شمس الدين
البيدوي رحمة الله هذا الكلام بأبيات فقال
إذا المرء وافى منزلا منك قاصدا ... قراك
(وأرمته لديك المسالك
فكن باسماء في وجهه متهللا ... وقل)
(مرحبا أهلا ويوم مبارك
وقدم له ما تستطيع من القرى ... عجولا)
(ولا تبخل بما هو هالك
فقد قيل بيت سالف متقدم ... تداوله زيد)
(وعمرو ومالك
بشاشة وجه المرء خير من القرى ...)
(فكيف بمن يأتي به وهو ضاحك
وقالت العرب تمام الضيافة الطلاقة عند
أول وهلة وإطالة الحديث عند المؤكلة
وقال حاتم الطائي

سلي الطارق المعتر يا أم مالك ... إذا ما
(أتاني بين ناري ومجزري
أبسط وجهي إنه أول القرى ... وأبذل
(معروف في له دون منكري
وقال آخر في عبد الله بن جعفر
إنك يا ابن جعفر خير فتى ... وخيرهم
(لطارق إذا أتى
ولله در القائل
الله يعلم انه ما سرني ... شيء كطارقة
(الضيوف النزل
ما زلت بالترحيب حتى خلتي ... ضيفا له
(والضيف رب المنزل
أخذه من قول الشاعر
يا ضيفنا لو زرتنا لوجدتنا ... نحن الضيوف
(وأنت رب المنزل
وما أحسن ما قال سيف الدولة بن حمدان
منزلنا رحب لمن زاره ... نحن سواء فيه
(والطارق

المستطرف [جزء 1 - صفحة 396]

وكل ما فيه حلال له ... إلا الذي حرمه
(الخالق
وقال الأصمعي سألت عينه بن وهب

الدارمي عن مكارم الأخلاق فقال أو ما
سمعت قول عاصم بن وائل
وإنا لنقري الضيف قبل نزوله ... ونشبعه)
(بالبشر من وجه ضاحك
وقال بعض الكرام
أضاحك ضيفي قبل أن أنزل رحله ...)
(ويخصب عندي والمحل جديب
وما الخصب للأضياف أن تكثر القرى ...)
(ولكنما وجه الكريم خصيب
وقال آخر
عودت نفسي إذا ما الضيف نبهني ...)
(عقر العشار على عسر وإيسار
ومن آداب الضيف أن يتفقد دابة ضيفه
ويكرمها قبل إكرام الضيف
قال الشاعر
مطية الضيف عندي تلو صاحبها ... لن)
(يأمن الضيف حتى تكرم الفرسا
وقال علي ابن الحسين رضي الله تعالى
عنهما من تمام المروءة خدمة الرجل
ضيفه كما خدمهم أبونا إبراهيم الخليل
صلوات الله وسلامه عليه بنفسه وأهله أما
سمعت قول الله عز وجل (وامراته قائمة
(ومن آداب المضيف أن يحدث أضيافه بما
تميل إليه نفوسهم ولا ينام قبلهم ولا
يشكو الزمان بحضورهم ويبش عند

قدومهم ويتألم عند وداعهم وأن لا يحدث
بما يروعههم به كما حكى بعضهم قال
استدعاني اسحاق بن إبراهيم الظاهري
إلى أكل هريسة في بكرة نهار فدخلت لنا
الهريسة فأكلنا فإذا شعرة قد جاءت على
لقمة غفل عنها طباخ فاستدعى خامه
فأسر إليه شيئاً لم نعلمه فعاد الخادم
ومعه صينية مغطاة فكشف عن الصينية
فإذا يد الطباخ مقطوعة تختلج فتكدر علينا
عيشنا وقمنا من عنده ونحن لا نعقل
فيجب على المضيف أن يراعي خواطر
أضيافه كيفما أمكن ولا يغضب على أحد

المستطرف [جزء 1 - صفحة 397]

بحضورهم ولا ينغص عيشهم بما يكرهونه
ولا يعبس بوجهه ولا يظهر نكدا ولا ينهر
أحدا ولا يشتمه بحضرتهم بل يدخل على
قلوبهم السرور بكل ما أمكن
كما حكى عن بعض الكرام أنه دعا جماعة
من أصحابه إلى بستانه وعمل لهم سماطاً
وكان له ولد جميل الطلعة فكان الولد في
أول النهار يخدم القوم ويأنسون به ففي
آخر النهار صعد إلى السطح فسقط فمات

لوقته فحلف أبوه على أمه بالطلاق الثلاث
أن لا تصرخ ولا تبكي إلى أن تصبح فلما
كان الليل سأل أضيافه عن ولده فقال هو
نائم فلما أصبحوا وأرادوا الخروج قال لهم
إن رايتم إن نصلى على ولدي فإنه بالأمس
سقط من على السطح فمات لساعته
فقالوا له لم لا أخبرتنا حين سألناك فقال
ما ينبغي لعاقل أن ينغص على أضيافه في
التذاذهم ولا يكدر عليهم في عيشهم
فتعجبوا من صبره وتجلده ومكارم أخلاقه
ثم صلوا على الغلام وحضروا دفنه وبكوا
عليه وانصرفوا وعلى المضيف أن يأمر
غلمانه بحفظ نعال أضيافه وتفقد
غلمانهم بما يكفيهم ويسهل حجابهم وقت
الطعام ولا يمنع واردا وقيل لبعض الأمراء
الكرام لا بأس بالحجاب لئلا يدخل من لا
يعرفه الأمير ويحترز عن العدو فقال إن
عدوا يأكل طعامنا ولا ينخدع لا يمكنه الله
منا الأليق بالكريم الرئيس أن يمنع حاجبه
من الوقوف ببابه عند حضور الطعام فإنه
ذلك أول الشناعة عليه وعليه أن يسهر مع
أضيافه ويؤانسهم بلذيق المحادثة وغريب
الحكايات وأن يستميل قلوبهم بالبذل لهم
من غرائب الظرف إن كان من أهل ذلك
وأن يرى أضيافه مكان الخلاء فقد قيل عن

ملك الهند أنه قال إذا ضافك أحد فأره
الكنيف فإني ابتليت به مرة فوضعتة في
قلنسوتي وقالوا لا بأس أن يدخل دار أخيه
يستطعم للصدقة الوكيدة
وقد قصد النبي والشيخان منزل الهيثم بن
التيهان وأبي أيوب الأنصاري وكذلك كانت
عادة السلف رضي الله تعالى عنهم وكان

المستطرف [جزء 1 - صفحة 398]

لعون بن عبد الله المسعودي ثلاثمائة
وستون صديقا فكان يدور عليهم في
السنة ولا بأس أن يدخل الرجل بيت
صديقه فيأكل وهو غائب فقد دخل رسول
الله دار بريرة رضي الله عنها فأكل
طعامها وهي غائبة وكان الحسن رضي
الله عنه يوما عند يقال فجعل يأخذ من
هذه الجونة تينة ومن هذه فستقة فيأكلها
فقال له هشام ما بدا لك يا أبا سعيد في
الورع فقال له يا لكع اتل علي آية الأكل
فتلا (ولا على أنفسكم أن تأكلوا من
بيوتكم) إلى قوله أو صديقكم فقال
الصديق من استروحت إليه النفس
واطمان إليه القلب وعلى المضيف الكريم

أن لا يتأخر عن أضيافه ولا يمنعه عن ذلك
قلة ما في يده بل يحضر إليهم ما وجد فقد
جاء عن أنس وغيره من الصحابة رضي الله
عنهم أنهم كانوا يقدمون الكسرة اليابسة
وحشف التمر ويقولون ما ندري أيهما
أعظم وزرا الذي يحتقر ما قدم إليه أو
الذي يحتقر ما عنده أن يقدمه وعن أنس
رضي الله عنه عن النبي من أقم أخاه
لقمة حلوة صرف الله عنه مرارة الموقف
حكى عن الإمام الشافعي رضي الله عنه
أنه كان نازلا عند الزعفراني ببغداد فكان
الزعفراني يكتب في كل يوم رقعة بما
يطبخ من الألوان ويدفعها إلى الجارية
فأخذها الشافعي منها يوما وألحق فيها
لونا آخر فعرف الزعفراني ذلك فأعتق
الجارية سرورا بذلك وكانت سنة السلف
رضي الله عنهم أن يقدموا جملة الألوان
دفعة ليأكل كل شخص ما يشتهي ومن
السنة أن يشيع المضيف الضيف إلى باب
الدار وعلى المضيف إذا قدم الطعام إلى
أضيافه أن لا ينتظر من يحضر من عشيرته
فقد قيل ثلاثة تصني سراج لا يضيء
ورسول بطيء ومائدة ينتظر لها من يجيء
ونزل الإمام الشافعي رضي الله عنه
بالإمام مالك رضي الله عنه فصب بنفسه

الماء على يديه وقال له لا يرعك ما رأيت
مني فخدام الضيف على المضيف فرض

المستطرف [جزء 1 - صفحة 399]

أعرض طعامك وأبذله لمن أكلا ... واحلف
(على من أبى واشكر لمن فعلا
ولا تكن سابري العرض محتشما ... من)
(القليل فلست الدهر محتفلا
ومن البلاء من يعزم على الضيف فيعتذر
له فيمسك عنه بمجرد الاعتذار كأنه تخلص
من ورطة وقيل لبعض البخلاء ما الفرج
بعد الشدة قال أن يعتذر الضيف بالصوم
ومن البخلاء من يعجبه طعامه ويصف
زبادية ويشتهي أن تبقى على حالها
ومنهم من يحضر طعامه فإذا رآه ضيوفه
أمر بأن يرفع منها أطيبها وأشهاها إلى
النفوس ويعتذر أن في أصحابه من يحضر
بالغداة عنده
وحكى عن البخلاء أنه استأذن عليه ضيف
وبين يديه خبز وزبدية فيها عسل نحل
فرفع الخبز وأراد أن يرفع العسل فدخل
الضيف من قبل أن يرفعه فظن البخيل أن
ضيفه لا يأكل العسل بلا خبز فقال له ترى

أن تأكل عسلا بلا خبز قال نعم وجعل يلحق
العسل لعقة بعد لعقة فقال له البخيل
مهلا يا أخي والله أنه يحرق القلب قال
نعم صدقت ولكنه قلبك

وحكى عن بعضهم أنه قال غلب علي
الجوع مرة فقلت أمضي إلى دار فلان
لأتغدي عنده فجئت إلى باب بيته فوجدت
غلامه فقلت له أين سيدك فقال والله لا
قلت لك عليه إلا أن أعطيني كسرة قال
فرجعت هاربا ومن البخل تقديم الشيء
اليسير وتفحيمه

وحكى عن بعض البخلاء أنه حلف يوما على
صديقه وأحضر له خبزا وجبنا وقال له لا
تستقل الجبن فإن الرطل منه بثلاثة
دراهم فقال له ضيفه أنا أجعله بدرهم
ونصف قال وكيف ذلك قال أكل لقمة
جبن ولقمة بلا جبن فأين هؤلاء من الذي
يقول

قالت أما ترحل تبغي الغنى ... قلت فمن
(الطارق المعتم
قالت فهل عندك شيء له ... قلت نعم)
(جهد الفتى المعدم

فكم وحق الله من ليلة ... قد أطعم
(الضيف ولم أطعم
إن الغني بالنفس يا هذه ... ليس الغني)
(بالمال والدرهم
وقال بعض البخلاء
سرى نحونا يبغى القرى طاوي الحشى ...)
(لقد علمت فيه الظنون الكواذب
فبات له منا إلى الصبح شاتم ... يعدد)
(تطفيل الضيوف وضارب
فستان ما بين القولين
وأما آداب الضيف
فهو أن يبادر إلى موافقه المضيف في
أمر منها أكل الطعام ولا يعتذر بشبع بل
يأكل كيف أمكن فقد حكى أنه ورد على
بعض الأعراب ضيف فدخل به إلى بيته
وقدم له الطعام فقال الضيف لست بجائع
وإنما أحتاج إلى مكان أبيت فيه فقال
الأعرابي إذا كان هذا فكن ضيف غيري
فاني لا أرى أن تمدحني في البلاد
وتهجونني فيما بينى وبينك
وحكى عن بعض التجار قال استدعاني أبو
حفص محمد بن القاسم الكرخي لأعرض
عليه قماشاً من تجارتي فبينما أنا بين يديه
وإذا بأطباق الفاكهة قد حضرت فقامت من

مجلسه فقال يا فلان ما هذا الخلق العامي
اجلس فجلست وتحققت كرمه وجعلت
أكل الكمثرأة في لقمة والتفاحة في لقمة
ثم قدم الطعام وكنت جائعا فأكلت جيدا ثم
انصرفت فلم أشعر في اليوم الثاني إلا
وقد جاءني غلامه ببغلة فاستدعاني إليه
فقال يا فلان إني قليل الأكل بطيء
الهضم ولقد طابت لي مؤاكلتك بالأمس
فأريد أن لا تنقطع بعدها عني قال فكنت
متى انقطعت حضر غلامه في طلبي
فحصل له بقربي منه مال كثير وجاء
عريض

المستطرف [جزء 1 - صفحة 401]

ومن آداب الضيف أيضا أن لا يسأل صاحب
المنزل عن شيء من داره سوى القبلة
وموضع قضاء الحاجة وأن لا يتطلع إلى
ناحية الحريم وأن لا يخالفه إذا جلس في
مكان وأكرمه به وأن لا يمتنع من غسل
يديه وإذا رأى صاحب المنزل قد تحرك
بحركة فلا يمنعه منها فقد نقل في بعض
المجاميع أن بعض الكرماء كان عريدا على
أضيافه سيء الخلق بهم فبلغ ذلك بعض

الأذكاء فقال الذي يظهر لي من هذا
الرجل أنه كريم الأخلاق وما اظن سوء
أخلاقه إلا لسوء أدب الأضياف ولا بد أن
أتطفل عليه لأرى حقيقة أمره قال
فقصدته وسلمت عليه فقال هل لك أن
تكون ضيفي قلت نعم فسار بين يدي إلى
أن جاء إلى باب داره فأذن لي فدخلت
فأجلسني في صدر مجلسه فجلست حيث
أجلسني وأعطاني مسندا فاستندت إليه
فأخرج لي شطرنجا وقال أتتقن شيئا قلت
نعم فلعبت معه فلما حضر الطعام جعل
يقدم لي ما استطابه وأنا أكل فلما فرغنا
قدم طستا وإبريقا وأراد أن يسكب الماء
على يدي فلم أمنعه من ذلك وأراد الخروج
من بين يدي بعد أن قدم نعلي فلم أرده
عن ذلك فلما أراد الرجوع قلت يا سيدي
أنشدك الله إلا فرجت عني كربة قال وما
هي فأخبرته الخبر فقال والله ما يحوجني
لذلك إلا سوء أدبهم يصل الضيف إلى داري
فأجلسه في الصدر فيأبى ذلك ثم أقدم
إليه الطعام فلا أتخفه بشيء مستظرف إلا
رده علي ثم أريد أن أصب الماء على يديه
عند الغسل فيحلف بالطلاق الثلاث ما
تفعل ثم أريد أن أشيعه فلا يمكنني من
ذلك فأقول في نفسي لا يحكم الإنسان

على نفسه حتى في بيته فعند ذلك أشتمه
وألعه وأضر به وفي معنى ذلك يقول
بعضهم
ينبغي للضيف أن يعترض ... إن كان ذا
(حزم وطبع لطيف
للإنسان في بيته ... شاء أن ينصف أو أن
(يحيف
ومما يعاب على الضيف أمور منها كثرة
الأكل المفرط إلا أن يكون بدويا فانها
عادته ومنها أن يتتبع طريق الشرهين كمن
يتخذ

المستطرف [جزء 1 - صفحة 402]

معه خريطة مشمعة يقلب فيها الزبادي
والأمراق والحلوى وغير ذلك ومنها أن
يأخذ معه ولده الصغير ويعلمه أن يبكي
وقت الانصراف من الطعام ليعطى على
اسم ولده الصغير ومنها قبح المؤكلة وقد
عد فيها عيوب كثيرة فمنها المتشاوف
والعداد والجراف والرشاف والنفاض
والقراض والبهات واللتات والعوام
والقسام والمخلل والمزبد والمرنخ
والمرشش والمفتش والمنشف والملب

والصباغ والنفاخ والحامي والمجنح
والشطرنجي والمهندس والمتمني
والفضولي

فأما المتشاوف فهو الذي يستحكم جوعه
قبل فراغ الطعام فلا تراه إلا متطلعا
لناحية الباب يظن أن ما دخل هو الطعام
وأما العداد فهو الذي يستغرق في عد
الزبادي ويعد على أصابعه ويشير إليها
وينسى نفسه والجراف هو الذي يجعل
اللحم في جانب الزبدية ويجرف بها الى
الجانب الآخر والرشاف هو الذي يجعل
اللقمة في فيه ويرتشفها فيسمع لها حين
البلغ حس لا يخفى على جلسائه وهو يلتذ
بذلك والنفاض هو الذي يجعل اللقمة في
فيه وينفض أصابعه في الزبدية والقراض
هو الذي يقرض اللقمة بأطراف أسنانه
حتى يهذبها ويضعها في الطعام بعد ذلك
والبهات هو الذي يبهت في وجوه الأكلين
حتى يبهتهم ويأخذ اللحم من بين أيديهم
واللتات هو الذي يلت اللقمة بأطراف
أصابعه قبل وضعها في الطعام والعوام
هو الذي يميل ذراعيه يمينه ويسرة لأخذ
الزبادي والقسام هو الذي يأكل نصف
اللقمة ويعيد باقيها في الطعام من فيه
والمخلل هو الذي يخلل أسنانه بأظفاره

والمزبد هو الذي يحمل معه الطعام
والمرنخ هو الذي يرنخ اللقمة في الأمرار
فلا يبلغ الأولى حتى تلين الثانية
والمرشش هو الذي يفسخ الدجاج بغير
خبرة فيرش على مؤاكلية والمفتش هو
الذي يفتش علباللحم بأصابعه والمنشف
هو الذي ينشف يديه من الدهن باللقم ثم
يأكلها والملبب هو الذي يملأ الطعام لبابا
والصباغ هو الذي ينقل الطعام من زبدية
إلى زبدية ليبرده والنفاخ هو الذي ينفخ
في الطعام والحامي هو الذي يجعل اللحم
بين يديه فيحميه من مؤاكلية والمجنح هو
الذي يزاحم مؤاكلية بجناحيه حتى يفسخ
له في المجلس فلا يشق عليه

المستطرف [جزء 1 - صفحة 403]

الأكل والشطرنجي هو الذي يرفع زبدية
ويضع زبدية أخرى مكانها والمهندس هو
الذي يقول لمن يضع الزبادي ضع هذه هنا
وهذه وهنا حتى يأتي قدامه ما يحب
والمتمني هو الذي يقول ليتني لم يكن
معي من يأكل والفضولي هو الذي يقول
لصاحب المنزل عند فراغ الطعام إن كان

قد بقي عندك في القدور شيء فاطعم
الناس فان فيهم من لم يأكل
ومن الأضياف من يلذ له حديث إلا وقت
غسل يديه فيبقى الغلام واقفا والابريق
في يده والناس ينتظرونه ومنهم من
يغسل يديه بالاشنان مرة واحدة فإذا
اجتمع الوسخ والزفر تسوك بهما ومنهم
يدخل الدار فيبتدىء بالهندسة أولا فيقول
كان ينبغي أن يكون باب المجلس من ههنا
والإيوان كان ينبغي أن يكون من ههنا
وينتقل من الهندسة إلى ترتيب المجلس
فينقل الفاكهة من موضعها إلى موضع
آخر وإن كان قد استحکم جوعه استعفى
من الطعام وذهل عن بقية الأضياف وشدة
جوعهم ومنهم من يخرج فيطوف على
اصدقاء صاحب الدعوة فيتألم عن
انقطاعهم ويستوحش من غيبتهم
ويسلطهم على عرض صاحبهم
ولقد حكى عن مغن غير محيد أنه لم يبطل
ولا ليلة واحدة وما ذاك إلا أنه كان إذا سئل
أين كنت قال كنت عند الناس وإذا قيل له
أين أكلت قال أكلت في بطني وإذا قيل له
أين شربت قال شربت في فمي ومنهم
من يفهم عن صاحب الدعوة أنه يقول
لغلامه اشتر كذا فيقول والله العظيم أو

الطلاق الثلاث يلزمه ما يشتري شيئاً
فأذوقه فيعجز صاحب المنزل ويخجله إذا
لم يكن في بيته شيء موجود وليت شعري
إذا كان لا يأكل فلأي شيء حضر ومنهم
من يرى صاحب البيت قد أسر إلى صديقه
شيئاً فيقول ما الذي قال المولى لصاحبنا
وهو لا يريد أن يعلمه ومنهم من يستعجل
صاحب المنزل بالأكل ويشكو الجوع ويظن
أن ذلك بسط مكارم أخلاق وإنما ذلك يكون
في بيته لا في بيوت الناس ومنهم من
يقول لصاحب الدعوة من يغني لنا

المستطرف [جزء 1 - صفحة 404]

فيقول فلان فيقول له غلطت لم لا دعوت
فلانا ومنهم من يسأل صاحب البيت كيف
قوته في النكاح فيقول له أنا رجل كبير قد
ضعفت قوتي وشهوتي أو يقول مالي قوة
طائلة في ذلك فيقول أنا والله كلما مر
علي عام تزايدت شهوتي وكثر لهذا الفن
تشوفي ويعلن بذلك حتى تسمعه صاحبة
البيت ومنهم من يشكو حاله مع أهل بيته
ويذكر نفقته عليهن وكسوته لهن وكثرة
إنعامه وإحسانه إليهن وما عليه زوجته من

سوء الأخلاق وكبر النفس لتستقل زوجة
صاحب البيت ما هي فيه مع زوجها وربما
كان ذلك سببا لفراقها منه ومنهم من
تعجبه نفسه ويستحسن لباسه ويستطيب
رائحته وإذا سمع الغناء تواجد وأظهر
الطرب وحرك رأسه ويقوم قائما يتمايل
حتى يرى أهل الرجل أنه لطيف الشكل
بديع الحركات ويظن في نفسه أنه يعشق
وأن رسول صاحبه البيت لا يبطن عنه
ومنهم من يقال له لعب الشطرنج فيأباه
ويشتغل بالدندنة فيقع في الفضول
ومنهم من يتأمر على غلمان صاحب البيت
ويهين أولاده ويظن أنه يدل عليهم ومنهم
من يقول له صاحب البيت كل فيقول ما
أكل إلا أنا ورفيقي ومنهم من يسمع
السائل على الباب فيتصدق عليه من مال
صاحب البيت بغير إذنه أو يقول للسائل
فتح الله عليك ومنهم من يدعو الناس
لصاحب الوليمة بغير إذنه ويقلده بذلك
المنن وأكثر الناس واقع في ذلك نسأل
الله تعالى أن يلهمنا رشدنا وأن يعيذنا من
شرور أنفسنا بمنه وكرمه إنه جواد كريم
رؤوف رحيم ولا حول ولا قوة إلا بالله
العلي العظيم وصلى الله على سيدنا
محمد وعلى آله وصحبه وسلم

المستطرف [جزء 1 - صفحة 405]

**الباب السادس والثلاثون في العفو
والحلم والصفح وكظم الغيظ والاعتذار
وقبول المعذرة والعتاب وما أشبه ذلك
قد ندب الله عز وجل نبيه إلى الصفح
والعفو بقوله تعالى (فأصفح الصفح
الجميل) قيل هو الرضا بلا عتب وقال
تعالى (العفو وأمر بالعرف وأعرض عن
الجاهلين) وقال تعالى (والكاظمين
الغيظ والعافين عن الناس والله يحب
المحسنين) وقال تعالى (صبر وغفر) (ذلك لمن عزم الأمور)
وعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه
قال قال رسول الله قصورا مشرفة على
الجنة فقلت يا جبريل لمن هذه قال
للكاظمين الغيظ والعافين عن الناس
وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه لما
بعثني رسول الله اليمن قال ما زال
جبريل عليه السلام يوصيني بالعفو فلو لا
علمي بالله لظننت أنه يوصيني بترك
الحدود وقال الحسن بن أبي الحسن إذا
كان يوم القيامة نادى مناد من كان له على**

الله أجر فليقم فلا يقوم إلا العافون عن
الناس وتلا قوله تعالى (فمن عفا وأصلح
فأجره على الله) وقال علي كرم الله
وجهه أولى الناس بالعفو أقدرهم على
العقوبة وكان المأمون رحمه الله تعالى

المستطرف [جزء 1 - صفحة 406]

يحب العفو ويؤثره ويقول لقد حبب إلى
العفو حتى أنني أخاف أن لا أثاب عليه
وكان يقول لو علم أهل الجرائم لذتي في
العفو لارتكبوها وقال لو علم الناس حبي
للعفو لما تقربوا إلى إلا بالجنايات وقال
علي كرم الله وجهه إذا قدرت على عدوك
فاجعل العفو عنه شكرا للقدرة عليه وقال
رضي الله تعالى عنه أقيلوا ذوي المروءات
عثراتهم فما يعثر منهم عاثرا إلا ويده بيد
الله يرفعه وقال رضي الله عنه إن أول
عوض الحليم عن حلمه إن الناس أنصار له
على الجاهل وقال المنتصر لذة العفو
يلحقها حمد العاقبة ولذة التشفي يلحقها
ذم الندم وقال ابن المعتز لا تشن وجه
العفو بالتقريع به وقيل ما عفا عن الذنب
من قرع به وقال رجل لرجل سبه إياك

أعني فقال له وعنك أعرض وكان الأحنف
رحمه الله تعالى كثير العفو والحلم وكان
يقول ما آذاني أحد إلا أخذت في أمره
باحدى ثلاث إن كان فوقى عرفت له فضله
وإن كان مثلي تفضلت عليه وإن كان دوني
أكرمت نفسي عنه وكان مشهورا بين
الناس بالحلم وبذلك ساد عشيرته وكان
يقول وجدت الاحتمال أنصر لي من
الرجال وقيل له ممن تعلمت الحلم فقال
من قيس بن عاصم كنا نختلف إليه في
الحلم كما يختلف الى الفقهاء في الفقه
ولقد حضرت عنده يوما وقد أتوه بأخ له قد
قتل أبنه فجاءوا به مكتوفا فقال ذعرت
أخي أطلقوه وأحملوا إلى أم ولدي ديته
فانها ليست من قومنا ثم أنشأ يقول
للنفس تصبيرا وتعزية ... احدى يدي
(أصابتني ولم ترد)

خلف من فقد صاحبه ... أخي حين أدعوه
(وذاولدي)

وقيل من عادة الكريم إذا قدر غفر وإذا
رأى زلة ستر وقالوا ليس من عادة الكرام
سرعة الغضب والانتقام وقيل من انتقم
فقد شفى غيظه وأخذ حقه فلم يجب
شكره ولم يحمد في العالمين ذكره
والعرب تقول لا سؤدد مع الانتقام والذي

يجب على العاقل إذا أمكنه

المستطرف [جزء 1 - صفحة 407]

الله تعالى أن لا يجعل العقوبة شيمته وإن كان لا بد من الانتقام فليرفق في انتقامه إلا أن يكون حدا من حدود الله تعالى وقال المنصور لجان عجز عن العذر ما هذا الوجوم وعهدي بك خطيبا لسنا فقال يا أمير المؤمنين ليس هذا موقف مباهاة ولكنه موقف توبة والتوبة بالاستكانة والخضوع فرق له وعفا عنه وسعى إلى المنصور برجل من ولد الأشر النخعي ذكر له عنه أنه يميل إلى نبي علي والتعصب لهم فأمر باحضاره فلما مثل بين يديه قال يا أمير المؤمنين ذنبي أعظم من نعمتك وعفوك أعظم من ذنبي ثم قال مسيئا كالذي قلت ظالما ... فعفوا)
(جملاكي يكون لك الفضل
لم أكن للعفو منك لسوء ما ... أتيت به)
(أهلا فانت له أهل
فعفا عنه وأمر له بصلة وأحضر إلى المأمون رجل قد أذنب ذنبا فقال له أنت الذي فعلت كذا وكذا قال نعم يا أمير

المؤمنين أنا ذاك الذي أسرف على نفسه
واتكل على عفوك فعفا عنه وخلي سبيله
وأحضر إلى الهادي رجل من أصحاب عبد
الله بن مالك فوبخه على ذنب فقال يا
أمير المؤمنين إن إقرارى يلزمنى ذنبا لم
أفعله ويلحق بي جرما لم أقف عليه
وإنكارى رد عليك ومعارضة لك ولكنى
أقول
فان كنت تبغى بالعقاب تشفيا ... فلا)
(تزهدن عند التجاوز في الأجر)
فقال لله درك من معتذر بحق أو باطل ما
امضى لسانك وأثبت جنانك وعفا عنه
وخلي سبيله وركب يوما عمرو بن العاص
رضي الله عنه بغلة له شهباء وتمر على
قوم فقال بعضهم من يقوم للأمير
فيسأله عن أمه وله عشرة آلاف فقال
واحد منهم أنا فقام وأخذ بعنان بغلته
وقال أصلح الله الأمير أنت أكرم الناس
خيلا فلم ركبت دابة أشهب وجهها فقال
إني لأمل دابتي حتى تملني ولا أمل
رفيقي حتى يملني فقال أصلح الله الأمير
أما العاص فقد عرفناه

وعلمنا شرفه فمن الأم قال على الخير
سقطت أُمي النابغة بنت حرملة بن عزة
سبتها رماح العرب فأتي بها سوق عكاظ
فبيعت فاشتراها عبد الله بن جدعان
ووهبها للعاص بن وائل فولدت وأنجبت
فإن كان قد جعل لك جعل فارجع وخذ
وأرسل عنان الدابة وقيل إن أمه كانت بغيا
عند عبد الله بن جدعان فوطئها في طهر
واحد أبو لهب وأمية بن خلف وأبو سفيان
بن حرب والعاص ابن وائل فولدت عمرا
فادعاه كلهم فحكمت فيه أمه فقالت هو
للعاص لأن العاص هو الذي كان ينفق
عليها وقالوا كان أشبه بأبي سفيان وكان
الواثق يتشبه بالمأمون في أخلاقه وحلمه
وكان يقال له المأمون الصغير نقل عنه
أنه دخلت عليه ابنة مروان بن محمد
فقال السلام عليك يا أمير المؤمنين
فقال لست به فقالت السلام عليك أيها
الأمير فقال لها وعليك السلام ورحمة الله
وبركاته فقالت ليس عنا عدلكم فقال إذا لا
يبقى على وجه الأرض منكم أحد لأنكم
حاربتم علي بن أبي طالب رضي الله عنه
وكرم وجهه ومنعتم حقه وسممتم الحسن
رضي الله عنه ونقضتم شرطه وقتلتم

الحسين رضي الله عنه وسبيتم أهله
ولعنتم علي بن أبي طالب رضي الله عنه
على منابركم وضربتم علي بن عبد الله
ظلمنا بسياطكم فعدلنا لا يبقى منكم أحدا
فقلت فليسعنا عفوكم قال أما هذا فنعم
وأمر برد أموالها عليها وبالع في الاحسان
إليها

وكان معاوية رضي الله عنه يعرف بالحلم
وله فيه أخبار مشهورة وآثار مذكورة وكان
يقول إني لأنف أن يكون في الأرض جهل
لا يسعه حلمي وذنب لا يسعه عفوي
وحاجة لا يسعها جودي وهذه مروءة عالية
المرتبة وقال له رجل يوما ما أشبه أستاذك
بأستاذ أمك فقال ذاك الذي أعجب أبا
سفيان منها وكتب معاوية إلى عقيل بن
أبي طالب رضي الله عنه يعتذر إليه من
شيء جرى بينهما يقول من معاوية بن
أبي سفيان إلى عقيل بن أبي طالب أما
بعد يا بني عبد المطلب فأنتم والله فروع
قصي ولباب عبد مناف وصفوة هاشم
فأين أخلاقكم الراسية وعقولكم الكاسية
وقد والله أساء

أمير المؤمنين ما كان جرى ولن يعود لمثله
إلى أن يغيب في الثرى فكتب إليه عقيل
يقول

صدقـت وقلت حقا غير أني ... أرى أن لا
(أراك ولا تراني
أقول سوء في صديقي ... ولكنني أصد
إذا جفاني

فركب إليه معاوية رضي الله عنه وناشده
في الصفح عنه واستعطفه حتى رجع
وحكي عنه رضي الله عنه أنه لما ولي
الخلافة وانتظمت إليه الأمور وامتلت منه
الصدور وأذعن لأمره الجمهور وساعده
في مراده القدر المقدور استحضر ليلة
خواص أصحابه وذاكرهم وقائع أيام صفين
ومن كان يتولى كبر الكريهة من
المعروفين فأنهمكوا في القول الصحيح
والمريض وآل حديثهم إلى من كان يجتهد
في إيقاد نار الحرب عليهم بزيادة
التحريض فقالوا امرأة من أهل الكوفة
تسمى الزرقاء بنت عدي كانت تتعمد
الوقوف بين الصفوف وترفع صوتها
صارخة يا أصحاب علي تسمعهم كلما
كالصوارم مستحثة لهم بقول لو سمعه
الجبان لقاتل والمدير لقابل والمسلم

لحارب والفار لكر والمتزلزل لاستقر
فقال لهم معاوية رضي الله عنكم أيكم
يحفظ كلامها فقالوا كلنا نحفظه قال فما
تشيرون علي فيها قالوا نشير بقتلها
فإنها أهل لذلك فقال لهم معاوية رضي
الله عنه بئسما اشترتم وقبحا لما قلتم
أيحسن أن يشتهر عني أنني بعدما ظفرت
وقدرت قتلت امرأة قد وفيت لصاحبها إني
إذا للئيم لا والله لا فعلت ذلك أبدا ثم دعا
بكاتبه فكتب كتابا إلى واليه بالكوفة أن
أنفذ إلي الزرقاء بنت عدي مع نفر من
عشيرتها وفرسان من قومها ومهد لها
وطاء لينا ومركبا ذلولا فلما ورد عليه
الكتاب ركب إليها وقرأ عليها فقالت بعد
قراءة الكتاب ما أنا بزائغة عن الطاعة
فحملها في هودج وجعل غشاه خرا
مبطنا ثم أحسن صحبتها فلما قدمت على
معاوية قال لها مرحبا وأهلا خير مقدم
قدمه وافد كيف حالك يا خالة وكيف رأيت
سيرك قالت

المستطرف [جزء 1 - صفحة 410]

خير مسير فقال هل تعلمين لم بعثت إليك

قالت لا يعلم الغيب إلا الله سبحانه وتعالى
قال ألسنت راکبة الجمل الأحمر يوم صفين
وأنت بين الصفوف توقدين نار الحرب
وتحرضين على القتال قالت نعم قال فما
حملك على ذلك قالت يأمر المؤمنین إنه
قد مات الرأس وبتر الذنب والدهر ذو غیر
ومن تفکر أبصر والأمر يحدث بعده الأمر
فقال صدقت فهل تعرفین کلامک
وتحفظین ما قلت قالت لا والله قال لله
أبوک فلقد سمعتک تقولین ایها الناس إن
المصباح لا یضيء فی الشمس وأن
الکواکب لا تضيء مع القمر وأن البغل لا
یسبق الفرس ولا یقطع الحديد إلا بالحديد
ألا من استرشدنا أرشدناه ومن سألنا
أخبرناه إن الحق کان یطلب ضالة فأصابها
فصبراً یا معشر المهاجرین والأنصار
فکأنکم وقد التأم شمل الشتات وظهرت
کلمة العدل وغلب الحق باطلة فإنه لا
یستوي المحق والمبطل فمن کان مؤمناً
کمن کان فاسقاً لا یستوون فالنزال
النزال والصبر الصبر ألا وإن خضاب النساء
الحناء وخضاب الرجال الدماء والصبر خیر
الأمر عاقبة أئتوا الحرب غیر ناکصین
فهذا يوم له ما بعده یا زرقاء ألیس هذا
قولک وتحريضک قالت لقد کان ذلك قال

لقد شاركت عليا في كل دم سفكه فقالت
أحسن الله بشارتك يا أمير المؤمنين وأدام
سلامتك مثلك من يبشر بخير ويسر جليسه
فقال معاوية أوقد سرك ذلك قالت نعم
والله لقد سرني قولك وأني لي بتصديقه
فقال لها معاوية والله لوفاءكم له بعد
موته أعجب إلي من حكم له في حياته
فاذكري حوائجك تقض فقالت يا أمير
المؤمنين إني آليت على نفسي أن لا
أسأل أحدا بعد علي حاجة فقال قد شار
علي بعض من عرفك بقتلك فقالت لؤم
من المشير ولو أطعته لشاركته قال كلا
بل نعفو عنك ونحسن إليك ونرعاك فقالت
يا أمير المؤمنين كرم منك ومثلك من قدر
فعفا وتجاوز عمن أساء وأعطى من غير
مسألة قال فأعطاها كسوة ودراهم

المستطرف [جزء 1 - صفحة 411]

وأقطعها ضيعة تغل كل سنة عشرة آلاف
درهم وأعادها إلى وطنها سالمة وكتب
إلى والي الكوفة بالوصية بها وبعشيرتها
وقيل كان لعبد الله بن الزبير رضي الله
عنهما أرض وكان له فيها عبيد يعملون

فيها وإلي جانبها أرض لمعاوية وفيها أيضا
عبيد يعملون فيها فدخل عبيد معاوية في
أرض عبد الله بن الزبير فكتب عبد الله
كتابا إلي معاوية يقول له فيه أما بعد يا
معاوية إن عبيدك قد دخلوا في أرضي
فأنهم عن ذلك وإلا كان لي ولك شأن
والسلام فلما وقف معاوية على كتابه
وقراه دفعه إلى ولده يزيد فلما قرأه قال
له معاوية يا بني ما ترى قال أرى أن تبعث
إليه جيشا يكون أوله عنده وآخره عندك
يأتونك برأسه فقال بل غير ذلك خير منه يا
بني ثم أخذ ورقة وكتب فيها جواب كتاب
عبد الله بن الزبير يقول فيه أما بعد فقد
وقفت على كتاب ولد حواري رسول الله
ما ساءه والدنيا بأسرها هينة عندي في
جنب رضاه نزلت عن أرضي لك فأضفها
إلى أرضك بما فيها من العبيد والأموال
والسلام فلما وقف عبد الله بن الزبير
رضي الله عنهما على كتاب معاوية رضي
الله عنه كتب إليه قد وقفت على كتاب
أمير المؤمنين أطال الله بقاءه ولا أعدمه
الرأي الذي أحله من قريش هذا المحل
والسلام فلما وقف معاوية على كتاب عبد
الله بن الزبير وقراه رمى به إلى ابنه يزيد
فلما قرأه تهلل وجهه وأسفر فقال له

أبوه يا بنى من عفا ساد ومن حلم عظم
ومن تجاوز استمال إليه القلوب فإذا
ابتليت بشيء من هذه الأدواء فداؤه بمثل
هذا الدواء
ولما دخل الفيل من دمشق واجتمع الناس
لرؤيته صعد معاوية في مكان مرتفع ينظر
إليه فبينما هو كذلك إذ نظر في بعض
الحجر من قصره رجلا مع بعض حرمه فأتى
الحجرة ودق الباب فلم يكن من فتحه بد
فوقعت عينه على الرجل فقال له يا هذا
في قصري وتحت جناحي تهتك حرمتي
وأنت في قبضتي ما حملك على هذا قال
فبهت

المستطرف [جزء 1 - صفحة 412]

الرجل وقال حلمك أوقعني فقال له
معاوية فإن عفوت عنك تسترها علي قال
نعم فعفا عنه وخلق سبيله وهذا من الحلم
الواسع ان يطلب الستر من الجاني وهو
عروض قول الشاعر
إذا مرضتم أتيانكم نعودكم ... وتذنبون
(فنأتيكم ونعتذر)
وحكى عن الربيع مولى الخليفة المنصور

قال ما رأيت رجلا أربط جأشا وأثبت جناحا
من رجل سعى به إلى المنصور أن عنده
ودائع وأموال لبني أمية فأمرني بإحضاره
فأحضرتة إليه فقال له المنصور قد رفع
إلينا خبر الودائع والأموال التي عندك لبني
أمية فأخرج لنا منها واحضرها ولا تكتُم
منها شيئا فقال يا أمير المؤمنين وأنت
وارث بني أمية قال لا قال فوصى لهم في
أموالهم ورباعهم قال لا قال فما مسألتك
عما في يدي من ذلك قال فأطرق
المنصور وتفكر ساعة ثم رفع رأسه وقال
إن بني أمية ظلموا المسلمين فيها وأنا
وكيل المسلمين في حقوقهم وأريد أن
أخذ ما ظلموا المسلمين فيه فأجعله في
بيت أموالهم فقال يا أمير المؤمنين
فيحتاج إلى إقامة بينة عادلة أن ما في
يدي لبني أمية مما خانوه وظلموه فإن
بني أمية قد كانت لهم أموال غير أموال
المسلمين قال فأطرق المنصور ساعة ثم
رفع رأسه وقال يا ربيع ما أرى الشيخ إلا
قد صدق وما يجب عليه شيء وما يسعنا إلا
أن نعفو عما قيل عنه ثم قال هل لك من
حاجة قال نعم يا أمير المؤمنين أن تجمع
بينني وبين من سعى بي إليك فوالله الذي
لا إله إلا هو ما في يدي لبني أمية مال ولا

ودیعة ولكنني لما مثلت بين يديك وسألتني
عما سألتني عنه قابلت بين هذا القول
الذي ذكرته الآن وبين ذلك القول الذي
ذكرته أولا فرأيت ذلك أقرب إلى الخلاص
والنجاه فقال يا ربيع اجمع بينه وبين من
سعى به فجمعت بينهما فلما رآه قال هذا
غلامي اختلس لي ثلاثة آلاف دينار من
مالي وأبق مني وخاف من طلبي له
فسعى بي عند أمير المؤمنين قال فشدد
المنصور على الغلام وخوفه فأقر بأنه
غلامه وأنه أخذ

المستطرف [جزء 1 - صفحة 413]

المال الذي ذكره وسعى به كذبا عليه
وخوفا من أن يقع في يده فقال له
المنصور سألتك أيها الشيخ أن تعفو عنه
فقال قد عفوت عنه وأعتقه ووهبته
الثلاثة آلاف التي أخذها وثلاثة آلاف أخرى
أدفعها إليه فقال له المنصور ما على ما
فعلت من مزيد قال بلى يا أمير المؤمنين
إن هذا كله لقليل في مقابلة كلامك لي
وعفوك عني ثم انصرف قال الربيع فكان
المنصور يتعجب منه وكلما ذكره يقول ما

رأيت مثل هذا الشيخ يا ربيع
وغضب الرشيد على حميد الطوسي فدعا
له بالنطع والسيف فبكى فقال له ما
بكيك فقال والله يا أمير المؤمنين ما
أفزع من الموت لأنه لا بد منه وإنما بكيت
أسفا على خروجي من الدنيا وأمير
المؤمنين ساخط علي فضحك وعفى عنه
وقال إن الكريم إذا خادعته انخدع وأمر
زياد بضرب عنق رجل فقال أيها الأمير إن
لي بك حرمة قال وما هي قال إن أبي
جارك بالبصرة قال ومن أبوك قال يا
مولاي إني نسيت اسم نفسي فكيف لا
أنسى اسم أبي فرد زياد كمة على فمه
وضحك وعفا عنه وأمر الحجاج بقتل رجل
فقال أسألك بالذي أنت غدا بين يديه أذل
موقفا مني بين يديك إلا عفوت عني فعفا
عنه ولما ضرب الحجاج رقاب أصحاب ابن
الأشعث أتى رجل من بني تميم فقال
والله يا حجاج لئن كنا أسأنا في الذنب ما
أحسننت في العفو فقال الحجاج أف لهذه
الجيف أما كان فيهم من يحسن الكلام
مثل هذا وعفا عنه وخلق سبيله وكان
إبراهيم بن المهدي يقول والله ما عفا
عني المأمون تقربا إلى الله تعالى ولا
صلة الرحم ولكن له سوق في العفو يكره

أن تكسد بقتلي وسئل الفضل عن الفتوة
فقال الصفح عن عثرات الأخوان وفي
بعض الكتب المنزلة إن كثرة العفو زيادة
في العمر واصله قوله تعالى (ما ينفع
الناس فيمكث في الأرض) وقال يزيد بن
مزيد أرسل إلي الرشيد ليلا يدعوني
فأوجست منه خيفة فقال لي أنت القائل
أنا ركن الدولة

المستطرف [جزء 1 - صفحة 414]

والثائر لها والضارب أعناق بغاتها لا أم لك
أي ركن وأي ثائر أنت قلت يا أمير
المؤمنين ما قلت هذا إنما قلت أنا عبد
الدولة والثائر لها فأطرق وجعل ينحل
غضبه عن وجهه ثم ضحك فقلت أحسن
من هذا قولي
الله في هرون ثابتة ... وفي بنيه إلى أن
(ينفخ الصور)
فقال يا فضل أعطه مائتي ألف درهم قبل
أن يصبح وأمر مصعب ابن الزبير بقتل
رجل فقال ما أقبح بي أن أقوم يوم
القيامة إلى صورتك هذه الحسنة ووجهك
هذا الذي يستضاء به فأتعلق بأطواقك

وأقول أي رب سل مصعبا لم قتلني فقال
أطلقوه فلما أطلقوه قال أيها الأمير
اجعل ما وهبت لي من حياتك في خفض
عيش قال قد أمرت لك بمائة ألف درهم
فقال

أيما المذنب الخطاء والعفو واسع ... ولو
(لم يكن ذنب لما عرف العفو)

وتغيط عبد الملك بن مروان على رجل
فقال والله لئن أمكنتني الله منه لأفعلن به
كذا وكذا فلما صار بين يديه قال رجاء بن
حيوة يا أمير المؤمنين قد صنع الله ما
أحببت فاصنع ما أحب الله فعفا عنه وأمر
له بصلة وقال الحسن إن أفضل رداء تردى
به الانسان الحلم وهو والله عليك أحسن
من برد الحبر وفيه قال ابو تمام
رفيق حواشي الحلم لو أن حلمه ...
(بكفيك ما ماريت في أنه برد)

ويقال الحليم سليم والسفينة كليم وقال
محمد بن عجلان ما شيء أشد على
الشیطان من عالم معه حلم إن تكلم تكلم
بعلم وإن سكت سكت بحلم يقول
الشیطان سكوته علي أشد من كلامه)
(شعر)

كنت تبغي شيمة غير شيمة ... طبعت
(عليها لم تطعك الضرائب)

المستطرف [جزء 1 - صفحة 415]

وعن علي بن الحسين رضي الله تعالى
عنهما أقرب ما يكون العبد من غضب الله
إذا غضب وفي التوراة اذكرني إذا غضبت
أذكرك إذا غضب فلا أمحك فيما أمحك
وإذا ظلمت فاصبر وأرض بنصرتي فإن
نصرتي لك خير من نصرتك لنفسك وكان
ابن عون إذا غضب على إنسان قال له
بارك الله عمك وكانت له ناقة كريمة
فضربها الغلام فاندري عنها فقالوا إن
غضب ابن عون فإنه يغضب اليوم فقال
للغلام غفر الله لك وقال رجل لرسول الله
شيء أشد قال غضب الله قال فما قال
يباعدني من غضب الله قال أن لا تغضب
ويقال من أطاع الغضب أضاع الأرب قال
أبو العتاهية
أر في الأعداء حين اختبرتهم ... عدوا
(لعقل المرء أعدى من الغضب)
وقال أبو هريرة رضي الله عنه ليس
الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك
نفسه عند الغضب وقال ابن مسعود رضي
الله عنه كفى بالمرء إثماً أن يقال له اتق

الله فيغضب ويقول عليك نفسك وكتب
عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه إلى
عامل من عماله أن لا تعاقب عند غضبك
وإذا غضبت على رجل فاحبسه فإذا سكن
غضبك فاخرجه فعاقبه على قدر ذنبه ولا
تجاوز به خمسة عشر سوطا وقيل لابن
المبارك رحمه الله تعالى اجمع لنا حسن
الخلق في كلمة واحدة قال ترك الغضب
وقال المعتمر بن سليمان كان رجل ممن
كان قبلكم يغضب ويشتد غضبه فكتب
ثلاث صحائف فأعطى كل صحيفة رجلا
وقال للأول إذا اشتد غضبي فقم إلي بهذه
الصحيفة وناولنيها وقال للثاني إذا سكن
بعض غضبي فناولنيها وقال للثالث إذا
ذهب غضبي فناولنيها وكان في الأولى
اقصر فما أنت وهذا الغضب إنك لست بإله
إنما أنت بشر يوشك أن يأكل بعضك بعضا
وفي الثانية ارحم من في الأرض يرحمك
من في السماء وفي الثالثة احمل عباد
الله على كتاب الله فإنه لا يصلحهم إلا ذاك
روي أنه أنو شروان وكان الشعبي أولع
شيء بهذا البيت

ليست الأحلام في حال الرضا ... إنما
(الأحلام في حال الغضب

وعن معاذ بن جبل عن أنس رضي الله
عنهما عن النبي كظم غيظه وهو قادر
على أن ينفذه دعاه الله على رؤوس
الخلائق يوم القيامة حتى يخبره في أي
الحوار شاء وروي ملأه الله أمنا وإيماننا
وقال ابن السماك أذنب غلام لامرأة من
قريش فأخذت السوط ومضت خلفه حتى
إذا قاربته رمت بالسوط وقالت ما تركت
التقوى أحدا يشفي غيظه وقال أبو ذر
لغلامه لم أرسلت الشاة على علف الفرس
قال أردت أن أغيظك قال لأجمعن مع
الغيظ أجرا أنت حر لوجه الله تعالى
واستأذن رهط من اليهود على رسول الله
فأذن لهم فقالوا السلام عليك يا محمد
فقالت عائشة رضي الله تعالى عنها بل
السأم عليكم واللعنة فقال يا عائشة إن
الله يحب الرفق في الأمر كله فقالت ألم
تسمع ما قالوا قال قد قلت وعليكم ورفع
إلى عبد الملك بن مروان أعرابي يقال له
حمزة سرق وقامت عليه البينة فهم عبد
الملك بقطع يده فكتب إليه حمزة من
السجن يقول شعر

يا أمير المؤمنين أعيذها ... بعفوك أن
(تلقى مقاماً يشينها
خير في الدنيا وكانت خبيثة ... إذا ما
(شمال فارقتها يمينها
قال فأبى عبد الملك إلا قطعه فدخلت
عليه أم حمزة وقالت يا أمير المؤمنين بني
وكاسبى وواحدى فقال لها عبد الملك
بئس الكاسب لك هذا حد من حدود الله
تعالى فقالت يا أمير المؤمنين اجعله أحد
ذنوبك التي تستغفر الله منها فقال عبد
الملك ادفعوه إليها وخلقى سبيله شعر
إذا ما طاش حلمك عن عدو ... وهان عليك
(هجران الصديق
فليست إذا أخا عفو وصفح ... لأخ على
(عهد وثيق
إذا زل الرفيق وأنت ممن ... بلا رفق
(بقيت بلا رفيق
إذا أنت اتخذت أخا جديداً ... لما أنكرت من
(خلق عتيق

المستطرف [جزء 1 - صفحة 417]

فما تدري لعلك مستجير ... من الرمضاء
(فر إلى الحريق

فكم من سالك لطريق أمن ... أتاه يحاذر
(في الطريق)

وشتم رجل رجلا فقال له يا هذا لا تغرق
في شتمنا ودع للصالح موضعا فإني أبيت
مشاتمة الرجال صغيرا فلن أجيئها كبيرا
وإني لا أكافئ من عصى الله في أكثر
من أن أطيع الله فيه

وحكى عن جعفر الصادق رضي الله عنه
أن غلاما له وقف يصب الماء على يديه
فوقع الابريق من يد الغلام في الطلست
فطار الرشاش في وجهه فنظر جعفر إليه
نظر مغضب فقال يا مولاي والكاهن
الغيظ قال قد كظمت غيظي قال
والعافين عن الناس قال لقد عفوت عنك
قال والله يحب المحسنين قال إذهب
فأنت حر لوجه الله تعالى وقيل لما قدم
نصر بن منيع بين يدي الخليفة وكان قد
أمر بضرب عنقه قال يا أمير المؤمنين
اسمع مني كلمات أقولها قال قل
فأنشأ يقول

زعموا بأن الصقر صادف مرة ... عصفور
(بر ساقه التقدير)

فتكلم العصفور تحت جناحه ... والصقر
(منقض عليه يطير)

إني لمثلك لا أتمم لقمة ... ولئن شويت

(فإنني لحقير
فتهاون الصقر المدل بصيده ... كرما)
(وأفلت ذلك العصفور
قال فعفا عنه وخلي سبيله قال الشاعر
أقرر بذنبك ثم اطلب تجاوزهم ... عنه)
(فإن جحود الذنب ذنبان
وقال بعضهم
العفو الفتى إذا اعترف ... وتاب عما قد
جناه واقترف
لقوله قل للذين كفروا ... إن ينتهوا يغفر)
(لهم ما قد سلف)

المستطرف [جزء 1 - صفحة 418]

وقال آخر
إذا ذكرت أياديك التي سلفت ... مع قبج)
(فعلي وذلاني ومجترمي
أكاد أقتل نفسي ثم يدركني ... علمي)
(بأنك مجبول على الكرم
وروي أن عمر رضي الله تعالى عنه رأى
سكران فأراد أن يأخذه ليعزره فشتمه
السكران فرجع عنه ف قيل له يا أمير
المؤمنين لما شتمك تركته قال إنما تركته
لأنه أغضبني فلو عزرتة لكنت قد انتصرت

لنفسي فلا أحب أن أضرب مسلماً لحماية
نفسي وغضب المنصور على رجل من
الكتاب فأمر بضرب عنقه فأنشأ يقول
وإنا الكاتبونا وإن أسأنا ... فهبنا للكرام
(الكاتبينا)

فعفا عنه وخلي سبيله وأكرمه وقال
الرشيد لأعرابي بم بلغ فيكم هشام بن
عروة هذه المنزلة قال بحلمه عن سفيها
وعفوه عن مسيئنا وحمله عن ضعيفنا لا
منان إذا وهب ولا حقود إذا غضب رحب
الجنان سمح البنان ماضي اللسان قال
فأوما الرشيد إلى كلب صيد كان بين يديه
وقال والله لو كانت هذه في هذا الكلب
لاستحق بها السؤدد وقيل لمعن بن زائدة
المؤاخذه بالذنب من السؤدد قال لا ولكن
أحسن ما يكون الصفح عمن عظم جرمه
وقل شفعاءه ولم يجد ناصرا وقال محمود
الوراق

سألزم نفسي الصفح عن كل مذنب ...
(وإن عظمت منه علي الجرائم)
فما الناس إلا واحد من ثلاثة ... شريف)
(ومشروف ومثل مقاوم)
فأما الذي فوقي فاعرف قدره ... وأتبع)
(فيه الحق والحق لازم)
وأما الذي دوني فان قال صنت عن ...)

(إجابته نفسي وإن لام لائم
وأما الذي مثلي فإن زل أو هفا ...)
(تفضلت إن الحر بالفضل حاكم)

المستطرف [جزء 1 - صفحة 419]

وقال الأحنف بن قيس لابنه يا بني إذا
أردت أن تؤاخي رجلا فاغضبه فإن أنصفك
وإلا فاحذره قال الشاعر
إذا كنت مختصا لنفسك صاحباً ... فمن)
(قبل أن تلقاه بالود أغضبه
فإن كان في حال القطيعة منصفاً ... وإلا)
(فقد جربته فتجنبه
ومن أمثال العرب إحلم تسد قال الشاعر
لن يبلغ المجد أقوام وإن شرفوا ... حتى)
(يدلوا وإن عزوا لأقوام
ويشتموا فترى الألوان مسفرة ... لا)
(صفح ذل ولكن صفح أكرام
وقال آخر
وجهل رددناه بفضل حلومنا ... ولو أننا)
(شئنا رددناه بالجهل
وقال الأحنف إياكم ورأي الأوغاد قالوا وما
رأي الأوغاد قال الذين يرون الصفح
والعفو عارا وقال رجل لأبي بكر الصديق

رضي الله عنه لأسببك سبا يدخل معك
قبرك فقال معك والله يدخل لا معي وقيل
إن الأحنف سبه رجل وهو يماشيه في
الطريق فلما قرب من المنزل وقف
الأحنف وقال له يا هذا إن كان قد بقي
معك شيء فهات وقله ههنا فإني أخاف
أن يسمعك فتیان الحي فيؤذوك ونحن لا
نحب الانتصار لأنفسنا وقال لقمان لابنه يا
بني ثلاثة لا يعرفون إلا عند ثلاثة لا يعرف
الحليم إلا عند الغضب ولا الشجاع إلا عند
الحرب ولا أخوك إلا عند الحاجة إليه ومن
أشعر بيت قيل في الحلم قول كعب بن

زهير

إذا أنت لم تعرض عن الجهل والخنا ...
(أصبت حليما أو أصابك جاهل)

وقال آخر

وإذا بغى باغ عليك بجهله ... فاقتله
(بالمعروف لا بالمنكر)

وقال آخر

قل ما بدا لك من صدق ومن كذب حلمي
(أصم وأذني غير صماء)

ويروى في بعض الأخبار أن ملكا من
الملوك أمر أن يصنع له طعام وأحضر قوما
من خاصته فلما مد السماط أقبل الخادم
وعلى كفه صحن فيه طعام فلما قرب من
الملك أدركته الهيبة فعثر فوقع من مرق
الصحن شيء يسير على طرف ثوب الملك
فأمر بضرب عنقه فلما رأى الخادم
العزيمة على ذلك عمد بالصحن فصب
جميع ما كان فيه على رأس الملك فقال
له ويحك ما هذا فقال أيها الملك إنما
صنعت هذا شحا على عرضك لئلا يقول
الناس إذا سمعوا ذنبي الذي به تقتلني
قتله في ذنب خفيف لم يضره وأخطأ فيه
العبد ولم يقصده فتنسب إلى الظلم
والجور فصنعت هذا الذنب العظيم لتعذر
في قتلي وترفع عنك الملامة قال فأطرق
الملك مليا ثم رفع رأسه إليه وقال يا قبيح
الفعل يا حسن الاعتذار قد وهبنا قبيح
فعلك وعظيم ذنبك لحسن اعتذارك اذهب
فأنت حر لوجه الله تعالى
وحكى عن أمير المؤمنين المأمون وهو
المشهود له بالاتفاق على علمه
والمشهور في الآفاق بعفوه وحلمه انه
لما خرج عمه إبراهيم المهدي عليه وبايعه
العباسيون بالخلافة ببغداد وخلعوا

المأمون وكان المأمون إذ ذاك بخراسان
فلما بلغه الخبر قصد العراق فلما بلغ بغداد
اختفى إبراهيم ابن المهدي وعاد
العباسيون وغيرهم إلى طاعة المأمون
ولم يزل المأمون متطلبا لإبراهيم حتى
أخذه وهو متنقب مع نسوة فحبس ثم
أحضر حتى وقف بين يدي المأمون فقال
السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله
وبركاته فقال المأمون لاسلم الله عليك
ولا قرب دارك استغواك الشيطان حتى
حدثك نفسك بما تنقطع دونه الأوهام
فقال له إبراهيم مهلا يا أمير المؤمنين
فان ولي الثأر محكم في القصاص والعفو
أقرب للتقوى ولك من رسول الله شرف
القرابة وعدل السياسة وقد جعلك الله
فوق كل ذي ناب كما جعل كل ذي ذنب
دونك فان أخذت فيحققك وان عفوت
فبفضلك والفضل أولى بك يا أمير
المؤمنين ثم قال هذه الأبيات

المستطرف [جزء 1 - صفحة 421]

(ذنبي اليك عظيم ... وأنت أعظم منه)
(فخذ بحقك أو لا ... فاصفح بعفوك عنه)

(إن لم أكن في فعالي ... من الكرام فكنه)
فلما سمع المأمون كلامه وشعره ظهرت
الدموع في عينيه وقال يا إبراهيم الندم
توبة وعفو الله تعالى أعظم مما تحاول
وأكثر مما تأمل ولقد حُب إلي العفو حتى
خفت أن لا أوجر عليه لا تريب عليك اليوم
ثم أمر بفك قيوده وادخاله الحمام وإزالة
شعته وخلع عليه ورد أمواله جميعها إليه
فقال فيه مخاطبا

رددت مالي ولم تبخل علي به ... وقبل)
ردك مالي قد حقنت دمي

فان جحدتك ما أوليت من كرم ... أني)
(لباللؤم أولى منك بالكرم

وكتب عبد الملك بن مروان إلى الحجاج
يأمره أن يبعث إليه برأس عباد بن أسلم
البكري فقال له عباد أيها الأمير أنشدك
الله لا تقتلني فوالله اني لأعول أربعاً
وعشرين امرأة ما لهن كاسب غيري فرق
لهن واستحضرهن وإذا واحدة منهن كالبدن
فقال لها الحجاج ما أنت منه قالت أنا بنته
فاسمع يا حجاج مني ما أقول ثم قالت
أحجاج إما أن تمن بتركه ... علينا وإما أن
(تقتلنا معا

أحجاج لا تفجع به ان قتله ... ثمانا)
(وعشرا واشنتين وأربعاً

أحجاج لا تترك عليه بناته ... وخالاته)
(يندبته الدهر أجمعا
فبكى الحجاج ورق له واستوهبه من أمير
المؤمنين عبد الملك وأمر له بصلة ولما
قدم عيينه بن حصن على ابن أخيه الحر بن
قيس وكان من النفر الذين يدنيهم عمر
رضي الله عنه وكان القراء أصحاب مجلس
عمر ومشاورته كهولا كانوا أو شبانا فقال
عيينه لابن أخيه يا ابن أخي لك وجه عند
هذا الأمير فاستأذن لي عليه فاستأذن
فأذن له عمر فلما دخل قال هيه يا ابن
الخطاب فوالله ما تعطينا الجزل ولا تحكم
فينا بالعدل

المستطرف [جزء 1 - صفحة 422]

فغضب عمر حتى هم أن يوقع به فقال له
الحر يا أمير المؤمنين إن الله سبحانه
وتعالى قال لنبيه عليه الصلاة والسلام (خذ
العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين
) وان هذا من الجاهلين فوالله ما جاوزها
عمر رضي الله عنه حين تلاها عليه وكان
وقافا عند كتاب الله تعالى
وحكى أن رجلا زور ورقة عن خط الفضل

بن الربيع تتضمن أنه أطلق له ألف دينار
ثم جاء بها الى وكيل الفضل فلما وقف
الوكيل عليها لم يشك انها خط الفضل
فشرع في أن يزن له الألف دينار وإذا
بالفضل قد حضر ليتحدث مع وكيله في
تلك الساعة في أمر مهم فلما جلس أخبره
الوكيل بأمر الرجل وأوقفه على الورقة
فنظر الفضل فيها ثم نظر في وجهه
الرجل فرآه كاد يموت من الوجل والخجل
فأطرق الفضل بوجهه ثم قال للوكيل
أتدري لم أتيتك في هذا الوقت قال لا قال
جئت لاستنهضك حتى تعجل لهذا الرجل
اعطاء المبلغ الذي في هذه الورقة فأسرع
عند ذلك الوكيل في وزن المال وناوله
الرجل فقبضه وصار متحيرا في أمره
فالتفت اليه الفضل وقال له طيب نفسا
وامض إلى سبيلك أمنا على نفسك فقبل
الرجل يده وقال له سترتني سترك الله
في الدنيا والآخرة ثم أخذ المال ومضى
فيجب على الإنسان أن يتأسى بهذه
الأخلاق الجميلة والأفعال الجليلة ويقتفي
سنة نبيه فقد كان أكثر الناس حلما
وأحسنهم خلقا وأكرمهم خلقا وأكثرهم
تجاوزا وصفحا وأبرهم للمعتر عليه نجحا
صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه

أجمعين والحمد لله رب العالمين
وأما ما جاء في العتاب
فقد قيل العتاب خير من الحقد ولا يكون
العتاب إلا على زلة وقد مدحه قوم فقالوا
العتاب حدائق المتحابين ودليل على بقاء
المودة

المستطرف [جزء 1 - صفحة 423]

وقد قال أبو الحسن بن منقذ شعرا
أسطو عليه وقلبي لو تمكن من ... يدي (
غلهما غيظا إلى عنقي)
وأستعير له من سطوتي حنقا ... وأين ذل (
الهوى من عزة الحق)
وذمة بعضهم قال اياس بن معاوية خرجت
في سفر ومعى رجل من الاعراب فلما
كان في بعض المناهل لقيه ابن عم
فتعانقا وتعاتبا وإلى جانبهما شيخ من
الحي فقال لها انعما عيشا ان المعاتبة
تبعث التجني والتجني يبعث المخاصمة
والمخاصمة تبعث العداوة ولا خير في
شيء ثمرة العداوة قال الشاعر
فدع ذكر العتاب قرب شر ... طويل هاج (
أوله العتاب)

وقيل العتاب من حركات الشوق وإنما
يكون هذا بين المتحابين قال الشاعر
علامة ما بين المحبين في الهوى ...
(عتابهم في كل حق وباطل
وكتب بعضهم يعاتب صديقه على تغير
حاله معه يقول
عرضنا أنفسنا عزت علينا ... عليكم)
(فاستخف بها الهوان
ولو أنا رفعناها لعزت ... ولكن كل
معروض مهان)
وقال آخر يعاتب صديقه
وكنت إذا ما جئت أدنيت مجلسي ...
(ووجهك من تلك البشاشة يقطر
فمن لي بالعين التي كنت مرة ... إلي بها)
(في سالف الدهر تنظر
وقال أبو الحسن بن منقذ
أخلاقك الغر السجايا مالها ... حملت قذى)
(الواشين وهي سلاف
ومرأة رأيك في عبيدك مالها ... صدئت)
(وأنت الجواهر الشفاف

المستطرف [جزء 1 - صفحة 424]

وقال آخر يعاتب صديقه على كتاب أرسله

إليه وفيه حط عليه
(أقرأ كتابك واعتبره قريبا ... فكفى)
(بنفسك لي عليك حسيا
أكذا يكون خطاب إخوان الصفا ... إن)
(ارسلوا جعلوا الخطاب خطوبا
ما كان عذري أن أجبت بمثله ... أو كنت)
(بالعتب العنيف مجيبا
لكنني خفت انتقاص مودتي ... فيعد)
(إحساني إليك ذنوبا
وقال آخر
أراك إذا قلت قولا قبلته ... وليس)
(لأقوالي لديك قبول
وما ذاك إلا أن ظنك سيء ... بأهل الوفا)
(والظن فيك جميل
فكن قائلا قول الحماسي تائها ... بنفسك)
(عجا وهو منك قليل
وننكر إن شئنا على الناس قولهم ... ولا)
(ينكرون القول حين نقول
وكان لمحمد بن الحسن بن سهل صديق
فنالته إضافة ثم ولي عملا فأثرى فقصده
محمد مسلما فرأى منه تغيرا فكتب إليه
لئن كانت الدنيا أنالتك ثروة ... فأصبحت)
(ذا يسر وقد كنت عسر
فقد كشف الإثراء منك خلائقا ... من)
(اللؤم كانت تحت ثوب من الفقر

وقال آخر في المعنى
دعوت الله أن تسمو وتعلو ... علو النجم
(في أفق السماء
فلما أن سموت بعدت عني ... فكان إذا
(على نفسي دعائي
وكان ابن عرادة السعدي مع سلم بن زياد
بخراسان وكان له مكرما وابن عرادة
يتجنى عليه ففارقه وصاحب غيره ثم ندم
ورجع إليه وقال
عتبت على سلم فلما فقدته ... وصاحبت
(أقواما بكيت على سلم
رجعت إليه بعد تجريب غيره ... فكان كبر
(بعد طول من السقم
وقال مسلم بن الوليد
ويرجعني إليك إذا نأت بي ... ديارى عنك
(تجربة الرجال

المستطرف [جزء 1 - صفحة 425]

وقال أبو الحسن القاسبي
إذا أنا عاتبت الملووم فإنما ... أخط
(بأقلامي على الماء أحرفا
وهبة أرعوى بعد العتاب ألم تكن ... مودته
(طبعا فصارت تكلفا

وقال أبو الدرداء رضي الله عنه عند معاتبة
الصديق أهون من فقدته وما أحسن ما قيل
في العتاب
وفي العتاب حياة بين أقوام ... وهو
(المحك لذي من مخاطبة ذوي الألباب
فما ثم شيء أحسن من معاتبة الأحياء ولا
الذ لابس وإبهام والله سبحانه وتعالى أعلم
وصلي الله على سيدنا محمد النبي الأمي
وعلى آله وصحبه وسلم

المستطرف [جزء 1 - صفحة 426]

الباب السابع والثلاثون في الوفاء بالوعد
وحفظ العهد ورعاية الذمم
أرجح دليل يتمسك به الإنسان كتاب الله
تعالى الذي من تمسك به هداه ومن
استدل به أرشده وهداه قال الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعفو) وقال
جل ذكره وتقدس اسمه (الذين يوفون
بعهد الله ولا ينقضون الميثاق) وقال جل
وعلا (وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا
تنقضوا الأيمان بعد توكيدها) وقال تعالى
(وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا)
والآيات في ذلك كثيرة ومن أشدها قوله

تعالى (أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا
تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا
تفعلون) وروى في صحيح البخاري
ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن
رسول الله قال آية المنافق ثلاث إذا حدث
كذب وإذا وعد أخلف وإذا أئتمن خان
فالوفاء من شيم النفوس الشريفة
والأخلاق الكريمة والخلال الحميدة يعظم
صاحبه في العيون وتصدق فيه خطرات
الظنون ويقال الوعد والإنجاز محاسنه
والوعد سحابة والإنجاز ومطره وقال عمر
ابن الخطاب رضي الله عنه لكل شيء
رأس ورأس المعروف تعجيله وأنشدوا

المستطرف [جزء 1 - صفحة 427]

إذا قلت في شيء نعم فأتمه ... فإن نعم
(دين على الحر واجب
وإلا فقل لا تسترح وترح بها ... لئلا يقول
(الناس إنك كاذب
وقال آخر
لا كلف الله نفسا فوق طاقتها ... ولا
(تجود يد إلا بما تجد
فلا تعد عدة إلا وفيت بها ... واحذر خلاف)

(مقال للذي تعد
وقال اعرابي وعد الكريم نقد وتعجيل
ووعد اللئيم مطلق وتعليل وقال اعرابي
أيضا العذر الجميل خير من المطلق الطويل
ومدح بشار خالد ابن برمك فأمر له
بعشرين ألفا فأبطأت عليه فقال لقائده
أقمني حيث يمر فأقامه فمر فأخذ بلجام
بغلته وأنشأ يقول
أظلت علينا منك يوما سحابة ... أضاء لها
(برق وأبطأ رشاشها
فلا غيمها يجلى فيأس طابع ... ولا غيثها
(يأتي فتروى عطاشها
فقال لا تبرح حتى تؤتي بها وقال صالح
اللمخي
لئن جمع الآفات فالبخل شرها ... وشر
(من البخل المواعيد والمطل
ولا خير في وعد إذا كان كاذبا ... ولا خير
(في قول إذا لم يكن فعل
وقيل ماتت للهذلي أم ولد فأمر المنصور
الربيع أن يعزيه ويقول له إن أمير
المؤمنين موجه إليك جارية نفيسة لها أدب
وظرف يسليك بها وأمر لك معها بفرس
وكسوة وصلة فلم يزل الهذلي يتوقع وعد
أمير المؤمنين ونسيه المنصور فحج
المنصور ومعه الهذلي فقال المنصور وهو

بالمدينة إني أحب أن أطوف الليلة المدينة
فاطلب لي من يطوف بي فقال الهذلي
أنا لها يا أمير المؤمنين فطاف به حتى
وصل بيت عاتكة فقال يا أمير المؤمنين
وهذا بيت عاتكة الذي يقول فيه الأحوص

المستطرف [جزء 1 - صفحة 428]

يا بيت عاتكة الذي أتعزل ... حذر العدا وبه
(الفؤاد موكل
إني لأمنحك الصدود وإني ... قسما إليك)
فكره المنصور ذكر بيت (مع الصدود لأميل
عاتكة من غير أن يسأله عنه فلما رجع
المنصور أمر القصيدة على قلبه فإذا فيها
وأراك تفعل ما تقول وبعضهم ... مذق)
(اللسان يقول ما لا يفعل
فذكر المنصور الوعد الذي كان وعد به
الهذلي فأنجزه له واعتذر إليه وقال
الشاعر
تعجيل وعد المرء أكرومة ... تنشر عنه)
(أطيب الذكر
والحر لا يمطل معروفه ... ولا يليق)
(المطل بالحر
وقال آخر

ولقد وعدت وأنت أكرم واعد ... لا خير)
(في وعد بغير تمام
أنعم علي بما وعدت تكرما ... فالمطل)
(يذهب بهجة الإنعام
وقال آخر
لعيذك وعد قد تقدم ذكره ... فأوله حمد)
(وآخره شكر
وقد جمعت فيك المكارم كلها ... فما لك)
(عن تأخير مكرمة عذر
وقال آخر
وميعاد الكريم عليه دين ... فلا تزد الكريم)
(على السلام
يذكره سلامك ما عليه ... ويغنيك السلام)
(عن الكلام
وقال آخر
شكاك لساني ثم أمسكت نصفه ...)
(فنصف لساني بامتداحك ينطق
فان لم تنجر ما وعدت تركتني ... وباقي)
(لساني بالمذمة مطلق
وقال آخر
باتت لوعدك عيني غير راقدة ... والليل)
(حي الدياجي منبت السحر

هذا وقد بت من وعد على ثقة ... فكيف
(لو بت من هجر على حذر

وقال آخر
نذكر بالرقاع إذا نسينا ... ويأبى الله أن
(تنسى الكرام

وأما الوفاء بالعهد ورعاية الذمم
فقد نقل فيه من عجائب الوقائع وغرائب
البدائع ما يطرب السامع ويشنف المسامع
كقضية الطائي وشريك نديم النعمان بن
المنذر وتلخيص معناها أن النعمان كان قد
جعل له يومين يوم يؤس من صادفه فيه
قتله وأرداه ويوم نعيم من لقيه فيه أحسن
إليه وأغناه وكان هذا الطائي قد رماه
حادث دهره بسهام فاقته وفقره فأخرجته
الفاقة من محل استقراره ليرتاد شيئاً
لصبته وصغاره فبينما هو كذلك إذ صادفه
النعمان في يوم يؤسه فلما رآه الطائي
علم أنه مقتول وأن دمه مطلول فقال حيا
الله الملك إن لي صبية صغارا وأهلاً جياً
وقد أرقى ماء وجهي في حصول شيء
من البلغة لهم وقد أقدمني سوء الحظ
على الملك في هذا اليوم العبوس وقد
قربت من مقر الصبية والأهل وهم على
شفا تلف من الطوى ولن يتفاوت الحال

في قتلي بين أول النهار وآخره فان رأى
الملك أن يأذن لي في أن أوصل إليهم هذا
القوت وأوصى بهم أهل المروءة من الحي
لئلا يهلكوا ضياعاً ثم أعود إلى الملك
وأسلم نفسي لنفاذ أمره فلما سمع
النعمان صورة مقالته وفهم حقيقة حاله
ورأى تلهفه على ضياع أطفاله رق له
ورثي لحاله غير أنه قال له لا آذن لك حتى
يضمنك رجل معنا فان لم ترجع قتلتناه
وكان شريك ابن عدي بن شرحبيل نديم
النعمان معه فالتفت الطائي إلى شريك
وقال له
يا شريك بن عدي ... ما من الموت انهزام
(
من لأطفال ضعاف ... عدموا طعم
الطعام
(
بين رجوع وانتظار ... وسقام
(
يا أخا كل كريم ... أنت من قوم كرام
(
يا أخا النعمان جد لي ... بضمان والتزام
(

المستطرف [جزء 1 - صفحة 430]

(ولك الله بأني ... راجع قبل الظلام)
فقال شريك بن عدي أصلى الله الملك

علي ضمانه فمر الطائي مسرعا وصار
النعمان يقول لشريك إن صدر النهار قد
ولى ولم يرجع وشريك يقول ليس للملك
علي سبيل حتى يأتي المساء فلما قرب
المساء قال النعمان لشريك قد جاء وقتك
قم فتأهب للقتل فقال شريك هذا شخص
قد لاح مقبلا وأرجو أن يكون الطائي فان
لم يكن فأمر الملك ممثل قال فبينما هم
كذلك وإذ بالطائي قد اشتد عدوه في
سيره مسرعا حتى وصل فقال خشيت أن
ينقضي النهار قبل وصولي ثم وقف قائما
وقال أيها الملك مر بأمرك فأطرق
النعمان ثم رفع رأسه وقال والله ما رأيت
أعجب منكما أما أنت يا طائي فما تركت
لأحد في الوفاء مقاما يقوم فيه ولا ذكرا
يفتخر به وأما أنت يا شريك فما تركت
لكريم سماحة يذكر بها في الكرماء فلا
أكون أنا الأم الثلاثة ألا وإني قد رفعت يوم
بؤسي عن الناس ونقضت عادتي كرامة
لوفاء الطائي وكرم شريك فقال الطائي
ولقد دعيتي للخلاف عشيرتي ... فعددت
(قولهمو من الاضلال
إني امرؤ مني الوفاء سجية ... وفعال كل)
فقال له النعمان ما حملك (مهذب مفضل
على الوفاء وفيه اتلاف نفسك فقال ديني

فمن لا وفاء فيه لا دين له فأحسن إليه
النعمان ووصله بما أغناه وأعاده مكرما
إلى أهله وأناله ما تمناه
ومن ذلك ما حكى أن الخليفة المأمون لما
ولي عبد الله بن طاهر بن الحسين مصر
والشام وأطلق حكمه دخل على المأمون
بعض إخوانه يوما فقال يا أمير المؤمنين
أن عبد الله بن طاهر يميل إلى ولد أبي
طالب وهواه مع العلويين وكذلك كان أبوه
قبله فحصل عند المأمون شيء من كلام
أخيه من جهة عبد الله بن طاهر فتشوش
فكره وضاق صدره فاستحضر شخصا
وجعله في زي الزهاد والنسك الغزاة
ودسه إلى عبد الله بن طاهر وقال له أمض
إلى مصر وخالط أهلها وداخل كبرائها
واستملهم إلى

المستطرف [جزء 1 - صفحة 431]

القاسم بن محمد العلوي واذكر مناقبه ثم
بعد ذلك اجتمع ببعض بطانة عبد الله بن
طاهر ثم اجتمع بعبد الله بن طاهر بعد ذلك
وادعه إلى القاسم بن محمد العلوي
واكشف باطنه وابتحث عن دفين نيته

وَأَتْنِي بِمَا تَسْمَعُ فَفَعَلَ ذَلِكَ الرَّجُلُ مَا
أَمَرَهُ بِهِ الْمَأْمُونُ وَتَوَجَّهَ إِلَى مِصْرَ وَدَعَا
جَمَاعَةً مِنْ أَهْلِهَا ثُمَّ كَتَبَ وَرَقَةً لَطِيفَةً
وَدَفَعَهَا إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ وَقَدْ رَكِبَهُ
فَلَمَّا نَزَلَ مِنَ الرُّكُوبِ وَجَلَسَ فِي مَجْلِسِهِ
خَرَجَ الْحَاجِبُ إِلَيْهِ وَأَدْخَلَهُ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ
طَاهِرٍ وَهُوَ جَالِسٌ وَحْدَهُ فَقَالَ لَهُ لَقَدْ
فَهَمْتُ مَا قَصَدْتُ فَهَاتِ مَا عِنْدَكَ فَقَالَ
وَلِيَ الْأَمَانَ قَالَ نَعَمْ فَأَظْهَرَ لَهُ مَا أَرَادَهُ
وَدَعَاهُ إِلَى الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ فَقَالَ لَهُ عَبْدُ
اللَّهِ أَوْ تَنْصِفْنِي فِيمَا أَقُولُ لَكَ قَالَ نَعَمْ
قَالَ فَهَلْ يَجِبُ شُكْرُ النَّاسِ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ
عِنْدَ الْإِحْسَانِ وَالْمُنَّةِ قَالَ نَعَمْ قَالَ فَيَجِبُ
عَلَيَّ وَأَنَا فِي هَذِهِ الْحَالَةِ الَّتِي تَرَاهَا مِنْ
الْحُكْمِ وَالنِّعْمَةِ وَالْوِلَايَةِ وَلِيَ خَاتَمَ فِي
الْمَشْرِقِ وَخَاتَمَ فِي الْمَغْرِبِ وَأَمْرِي فِيمَا
بَيْنَهُمَا مَطَاعٌ وَقَوْلِي مُقْبُولٌ ثُمَّ أَنِي التَفْتُ
يَمِينًا وَشِمَالًا فَأَرَى نِعْمَةً هَذَا الرَّجُلُ غَامِرَةٌ
وَإِحْسَانُهُ فَائِضٌ عَلَيَّ أَفْتَدِعُونِي إِلَى الْكُفْرِ
بِهَذِهِ النِّعْمَةِ وَتَقُولُ أَغْدِرُ وَجَانِبَ الْوَفَاءِ
وَاللَّهُ لَوْ دَعَوْتَنِي إِلَى الْجَنَّةِ عَيَانًا لَمَا غَدَرْتُ
وَلَمَّا نَكُثْتَ بَيْعَتَهُ وَتَرَكْتَ الْوَفَاءَ لَهُ فَسَكَتَ
الرَّجُلُ فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ وَاللَّهُ مَا أَخَافُ إِلَّا
عَلَى نَفْسِكَ فَارْحَلْ مِنْ هَذَا الْبَلَدِ فَلَمَّا
يَتَسَّسَ الرَّجُلُ مِنْهُ وَكَشَفَ بَاطِنَهُ وَسَمِعَ

كلامه رجع إلى المأمون فأخبره بصورة
الحال فسرّه ذلك وزاد في إحسانه إليه
وضاعف إنعامه عليه
ومما يعد من محاسن الشيم ومكارم أخلاق
أهل الكرم ويحث على الوفاء بالعهود
ورعاية الذمم ما رواه حمزة بن الحسين
الفقيه في تاريخه قال قال لي أبو الفتح
المنطقي كنا جلوسا عند كافور
الأخشيدي وهو يومئذ صاحب مصر والشام
وله من البسطة والمكنة ونفوذ الأمر وعلو
القدر وشهرة الذكر ما يتجاوز الوصف
والحصر فحضرت المائدة والطعام فلما
أكلنا نام وانصرفنا ولما انتبه من نومه
طلب جماعة منا وقال أمضوا الساعة إلى
عقبة النجارين وسلوا عن الشيخ منجم

المستطرف [جزء 1 - صفحة 432]

أعور كان يقعد هناك فإن كان حيا
فاحضروه وإن كان قد توفي فسلوا عن
أولاده واكشفوا أمرهم قال فمضينا إلى
هناك وسألنا عنه فوجدناه قد مات وترك
بنتين إحداهما متزوجة والأخرى عاتق
فرجعنا إلى كافور وأخبرناه بذلك فسير

في الحال واشترى لكل واحدة منهما دارا
وأعطاهما مالا جزيلا وكسوة فاخرة وزوج
العاتق وأجرى على كل واحدة منهما رزقا
واظهر أنهما من المتعلقين به لرعاية
أمورهما فلما فعل ذلك وبالع في ضحك
وقال أعلمون سبب هذا قلنا لا فقال
اعلموا أني مررت يوما بوالدهما المنجم
وأنا في ملك ابن عباس الكاتب وأنا بحالة
رثه فوقفت عليه فنظر إلي واستجلبني
وقال أنت تصير إلى رجل جليل القدر
وتبلغ منه مبلغا كبيرا وتنال خيرا ثم طلب
مني شيئا فأعطيته درهمين كانا معي ولم
يكن معي غيرهما فرمى بهما إلي وقال
ابشرك بهذه البشارة وتعطيني درهمين
ثم قال وأزيدك أنت والله تملك هذا البلد
وأكثر منه فاذكرني إذا صرت إلى الذي
وعدتك به ولا تنس فقلت له نعم فقال
عاهدني أنك تفي لي ولا يشغلك ذلك عن
افتقادي معاهدته ولم يأخذ مني الدرهمين
ثم إنني شغلت عنه بما تجدد لي من الأمور
والأحوال وصرت إلى هذه المنزلة ونسيت
ذلك فلما أكلنا اليوم ونمت رأيت في
المنام قد دخل علي وقال لي أين الوفاء
بالعهد الذي بيني وبينك وإتمام وعدك لا
تغدر فيغدر بك فاستيقظت وفعلت ما

رأيتم ثم زاد في إحسانه إلى بنات المنجم
وفاء لوالدها بما وعده والله أعلم
ومما أسفرت عنه وجوه الاوراق واخبرت
به الثقات في الآفاق وظهرت روايته
بالشام والعراق وضرب به الأمثال في
الوفاء بالاتفاق حديث السموأل بن عادي
وتلخيص معناه أن أمراً القيس الكندي لما
أراد المضي إلى قيصر ملك الروم أودع
عند السموأل دروعاً وسلاحاً وأمتعته
تساوي من المال جملة كثيرة فلما مات
امرؤ القيس أرسل ملك كندة يطلب
الدروع والأسلحة المودعة عند السموأل
فقال السموأل

المستطرف [جزء 1 - صفحة 433]

لا أدفعها إلا لمستحقها وأبي أن يدفع إليه
منها شيئاً فعاوده فأبى وقال لا أغدر
بذمتي ولا أخون أمانتي ولا أترك الوفاء
والواجب علي فقصده ذلك الملك من كنده
بعسكره فدخل السموأل في حصنه وامتنع
به فحاصره ذلك الملك وكان ولد السموأل
خارج الحصن فظفر به ذلك الملك فأخذه
أسيراً ثم طاف حول الحصن وصاح

بالسموأل فأشرف عليه من أعلى الحصن
فلما رآه قال له إن ولدك قد أسرته وها هو
معي فإن سلمت إلي الدروع والسلاح التي
لامريء القيس عندك رحلت عنك وسلمت
إليك ولدك وإن امتنعت من ذلك ذبحت
ولدك وأنت تنظر فاختر ايهما شئت فقال
له السموأل ما كنت لأخفر ذمامي وأبطل
وفائي فاصنع ما شئت فذبح ولده وهو
ينظر ثم لما عجز عن الحصن رجع خائباً
واحتسب السموأل ذبح ولده وصبر
محافضة على وفائه فلما جاء الموسم
وحضر ورثة امريء القيس سلم اليهم
الدروع والسلاح ورأى حفظ ذمامه ورعاية
وفائه أحب اليه من حياة ولده وبقائه
فسارت الأمثال في الوفاء تضرب
بالسموأل وإذا مدحوا أهل الوفاء في
الأنام ذكروا السموأل في الأول وكم
أعلى الوفاء رتبة من اعتقله بيديه وأغلى
قيمة من جعله نصب عينيه واستنطق
الأفواه لفاعله بالثناء عليه واستنطق
الأيدي المقبوضة عنه بالإحسان إليه
ومما وضع في بطون الدفاتر واستحسنته
عيون البصائر ونقلته الأصاغر عن الأكابر
وتداولته الألسنة من الأوائل والآخر ما
رواه خادم أمير المؤمنين المأمون قال

طلبني أمير المؤمنين ليلة وقد مضى من
الليل ثلثه فقال لي خذ معك فلانا وفلانا
وسماهما أحدهما علي بن محمد والآخر
دينار الخادم واذهب مسرعا لما أقوله لك
فإنه قد بلغني أن شيخا يحضر ليلا إلى دور
البرامكة وينشد شعرا ويذكرهم ذكرا كثيرا
ويندبهم ويبكي عليهم ثم ينصرف فامض
الآن أنت وعلي ودينار حتى تروا هذه
الخرابات فاستتروا خلف بعض الجدران
فإذا رأيتم الشيخ قد جاء وبكى وندب
وانشد شيئا فائتوني به قال فاخذتهما
ومضينا حتى أتينا الخرابات وإذا نحن بغلام
قد أتى ومعه بساط وكرسی حديد وإذا
شيخ وسيم له جمال وعليه مهابة ووقار
قد أقبل فجلس

المستطرف [جزء 1 - صفحة 434]

على الكرسي وجعل يبكي وينتحب ويقول
ولما رأيت السيف جندل جعفرا ... ونادى
(مناد للخليفة في يحيى
بكيت على الدنيا وزاد تأسفي ... عليهم)
(وقلت الآن لا تنفع الدنيا
معأبيات أطالها ورددها فلما فرغ قبضنا

عليه وقلنا له أجب أمير المؤمنين ففرع
فرعا شديدا وقال دعوني حتى أوصي
وصية فإني لا أوقن بعدها بحياة ثم تقدم
إلى بعض الدكاكين فاستفتح وأخذ ورقه
وكتب فيها وصية ودفعها إلى غلامه ثم
سرنا به فلما مثل بين يدي أمير المؤمنين
زجره وقال له من أنت وبماذا استوجبت
البرامكة منك ما تفعله في خرائب دورهم
وما تقوله فيها قال الخادم ونحن وقوف
نسمع فقال يا أمير المؤمنين إن للبرامكة
عندي أيادي خطيرة أفتأذن لي أن أحدثك
حديثي معهم قال قل يا أمير
المؤمنين أنا المنذر بن المغيرة من أولاد
الملوك وقد زالت عني نعمتي كما تزول
عن الرجال فلما ركبني الدين واحتجت
إلى بيع مسقط رأسي ورءوس أهلي
أشاروا علي بالخروج إلى البرامكة
فخرجت من دمشق ومعني نيف وثلاثون
امراة وصبيا وصبية وليس معنا ما يباع ولا
ما يوهب حتى دخلنا بغداد ونزلنا في بعض
المساجد فدعوت بثوبيات لي كنت قد
أعدتها لا ستمنح بها الناس فلبستها
وخرجت وتركتهم جياعا لا شيء عندهم
ودخلت شوارع بغداد أسأل عن دور
البرامكة فإذا أنا بمسجد مزخرف وفيه

مائة شيخ بأحسن زي وزينة وعلى الباب
خادمان فطمعت في القوم وولجت
المسجد وجلست بين أيديهم وأنا أقدم
وأؤخر والعرق يسيل مني لأنها لم تكن
صناعتي وإذا بخادم قد أقبل فدعا القوم
فقاموا وأنا معهم فدخلوا دار يحيى بن
خالد ودخلت معهم وإذا بيحيى جالس على
دكة له في وسط بستان فسلمنا وهو يعدنا
مائة وواحد وبين يديه عشرة من ولده وإذا
غلام أمرد عذاراه خداه قد أقبل من بعض
المقاصير بين يديه مائة خادم منمطلقون
في وسط كل خادم منطقة من ذهب
يقرب وزنها من الف مثقال ومع

المستطرف [جزء 1 - صفحة 435]

كل خادم مجمرة من ذهب في كل مجمرة
قطعة من عود كهيئة الفهر قد قرن بها
مثلها من العنبر السلطاني فوضعه بين
يدي الغلام إلى جنب يحيى ثم قال يحيى
للقاضي تكلم وزوج بنتي عائشة من ابن
عمي هذا فخطب القاضي وزوجه وشهد
أولئك الجماعة وأقبلوا علينا بالشار بينادق
المسك والعنبر فالتقطت والله يأمير

المؤمنين ملء كمي ونظرت فإذا نحن في
المكان ما بين يحيى والمشايخ وولده
والغلام مائة واثنى عشر رجلا فخرج إلينا
مائة واثنى عشر خادما مع كل خادم صينية
من فضة عليها الف دينار فوضعوا بين يدي
كل رجل منا صينية فرأيت القاضي
والمشايخ يصبون الدنانير في أكمامهم
ويجعلون الصواني تحت أباطهم ويقوم
الأول فالأول حتى بقيت وحدي بين يدي
يحيى لا أجسر علي أخذ الصينية فغمزني
الخادم فجسرت وأخذتها وجعلت الذهب
في كمي وأخذت الصينية في يدي وقمت
وجعلت التفت إلى ورائي مخافة أن يمنع
من الذهاب بها فبينما أنا كذلك في صحن
الدار ويحيى يلحظني إذا قال ائتني للخادم
بذلك الرجل فرددت إليه فأمر بصب
الدنانير والصينية وما كان في كمي ثم
أمرني بالجلوس فجلست فقال لي ممن
الرجل فقصصت عليه قصيتي فقال
للخادم ائتني بولدي موسى فأتي به فقال
له يا بني هذا رجل غريب فخذك إليك
واحفظه بنفسك وبنعمتك فقبض موسى
علي يدي وأدخلني إلى دار من دوره
فأكرمني غاية الإكرام وأقامت عنده يومي
وليلتي في الذ عيش وأتم سرور فلما

أصبح دعا بأخيه العباس وقال إن الوزير قد
أمرني بالعطف على هذا الرجل وقد
علمت اشتغالي في دار أمير المؤمنين
فاقبضه إليك وأكرمه ففعل ذلك وأكرمني
غاية الإكرام فلما كان من الغد تسلمني
أخوه أحمد ثم لم أزل في أيدي القوم
يتداولوني عشرة أيام لا أعرف خبر عيالي
وصبيانني افي الأموات هم أم في الأحياء
فلما كان اليوم الحادي عشر جاءني خادم
ومعه جماعة من الخدم فقالوا لي قم
فاخرج إلى عيالك بسلام فقلت واويلاه
سلبت الدنانير

المستطرف [جزء 1 - صفحة 436]

والصينية وأخرج إلى عيالي في هذه الحالة
إنا لله وإنا إليه راجعون فرفع الستر الاول
ثم الثاني ثم الثالث ثم الرابع فلما رفع
الخادم الستر الاخير قال لي مهما كان لك
من الحوائج فارفعها إلي فأني مأمور
بقضاء جميع ما تأمرني به فلما رفع الستر
رأيت حجرة كالشمس حسنا ونورا
واستقبلني منها رائحة الند والعود
ونفحات المسك وإذا بصبيانني وعيالي

يتقلبون في الحرير والديباج وحمل إلي
الف الف درهم وعشرة آلاف دينار
ومنشورين بضيعتين وتلك الصينية التي
كنت أخذتها بما فيها من الدنانير والبنادق
واقمت يا امير المؤمنين مع البرامكة في
دورهم ثلاث عشرة سنة لا يعلم الناس أمن
البرامكة أنا أم رجل غريب اصطنعوني
فلما جاءتهم البلية ونزل بهم من امير
المؤمنين الرشيد ما نزل احفني عمرو
ابن مسعدة وألزمني في هاتين الضيعتين
من الخراج ما لا يفي دخلهما به فلما
تحامل علي الدهر كنت في أواخر الليل
اقصد خرابات القوم فأندبهم وأذكر حسن
صنيعهم إلي وأشكرهم على إحسانهم
فقال المأمون علي بعمرو بن مسعدة
فلما أتني به قال يا عمرو أتعرف هذا الرجل
قال نعم يا امير المؤمنين هو بعض صنائع
البرامكة قال كم ألزمته في ضيعته قال
كذا وكذا قال رد له كل ما استأديته منه في
مدته ووقع له بهما ليكونا له ولعقبه من
بعده قال فعلا نحب الرجل وبكاؤه فلما
رأى المأمون كثرة بكائه قال يا هذا قد
احسنا إليك فلم تبكي قال يا امير
المؤمنين وهذا ايضا من صنائع البرامكة إذ
لو لم آت خراباتهم فأبكيهم واندبهم حتى

اتصل خبري بأمير المؤمنين ففعل ما فعل
فمن اين كنت أصل إلى أمير المؤمنين
قال إبراهيم بن ميمون فلقد رأيت
المأمون قد دمعت عيناه وظهر عليه حزنه
وقال لعمرى هذا من صنائع البرامكة
فعليهم فابك وإياهم فاشكر ولهم فأوف
ولإحسانهم فاذكر وقيل إذا أردت أن
تعرف وفاء الرجل ودوام عهده فانظر إلى
حنينه إلى أوطانه وتشوقه إلى إخوانه
وكثرة بكائه على ما مضى من زمانه قال
الشاعر
سقى الله أطلال الوفاء بكفه ... فقد
(درست أعلامه ومنازله

المستطرف [جزء 1 - صفحة 437]

وقال آخر
أشدد يدك بمن بلوت وفاءه ... إن الوفاء
من الرجال عزيز
وقال مالك بن عمارة اللخمي كنت جالسا
في ظل الكعبة أيام الموسم عند عبد
الملك بن مروان وقبيصة بن ذؤيب وعروة
بن الزبير وكنا نخوض في الفقه مرة وفي
المذاكرة مرة وفي أشعار العرب وأمثال

الناس مرة فكنت لا أجد عند أحد ما أجده
عند عبدالملك بن مروان من الإتساع في
المعرفة والتصرف في فنون العلم وحسن
استماعه إذا حدث وحلاوة لفظه إذا حدث
فخلوت معه ليلة فقلت له والله إنني
لمسرور بك لما شاهدته من كثرة تصرفك
وحسن حديثك وإقبالك على جلسك فقال
إن تعش قليلا فسترى العيون طامحة إلي
والأعناق نحوي متطاولة فإذا صار الأمر
إلي فلعلك أن تنقل إلي ركابك فلأملأن
يديك فلما أفضت إليه الخلافة توجهت إليه
فوافيته يوم الجمعة وهو يخطب على
المنبر فلما رأيته أعرض عني فقلت لعله
لم يعرفني أو عرفني وأظهر لي نكره
فلما قضيت الصلاة ودخل بيته لمألبث أن
خرج الحاجب فقال أين مالك بن عماره
فقممت فأخذ بيدي وأدخلني عليه فمد إلي
يده وقال إنك تراءيت لي في موضع لا
يجوز فيه إلا ما رأيت فأما الآن فمرحبا
وأهلا كيف كنت بعدي فأخبرته فقال أتذكر
ما كنت قلت لك قلت نعم فقال والله ما
هو بميراث وعيناه ولا أثر رويناه ولكنني
أخبرك بخصال مني سميت بها نفسي إلى
الموضع الذي ترى ما خنت ذا ود قط ولا
شمت بمصيبة عدو قط ولا أعرضت عن

محدث حتى ينتهي حديثه ولا قصدت كبيرة
من محارم الله تعالى متلذذا بها فكنت
أؤمل بهذه أن يرفع الله تعالى منزلتي
وقد فعل
ثم دعا بسلام فقال له يا غلام بوئه منزلا
في الدار فأخذ الغلام بيدي وأفرد لي منزلا
حسنا فكنت في الذ حال وأنعم بال

المستطرف [جزء 1 - صفحة 438]

وكان يسمع كلامي وأسمع كلامه ثم أدخل
عليه في وقت عشائه وغدائه فيرفع
منزلتي ويقبل علي ويحادثني ويسألني
مرة عن العراق ومرة عن الحجاز حتى
مضت لي عشرون ليلة فتغديت يوما عنده
فلما تفرق الناس نهضت قائما فقال علي
رسلك فقعدت فقال اي الامرين أحب إليك
المقام عندنا مع النصفة لك في المعاشرة
أو الرجوع إلى اهلك ولك الكرامة فقلت يا
أمير المؤمنين فارقت أهلي وولدي علي
أني أزور أمير المؤمنين وأعود إليهم فإن
أمرني أمير المؤمنين اخترت رؤيته على
الأهل والولد فقال لا بل أرى لك الرجوع
إليهم والخيار لك بعد في زيارتنا وقد أمرنا

لك بعشرين ألف دينار وكسوناك وحملناك
أتراني قد ملأت يديك فلا خير فيمن ينسى
إذا وعد وعدا وزرنا إذا شئت صحبتك
السلامة

ومن ذلك ما روي عن أبي بكار الأعمى
وكان قد انقطع إلى آل برمك قال مسرور
الكبير لما أمرني الرشيد بقتل جعفر بن
يحيى دخلت عليه فوجدت عنده أبا بكر
الأعمى يغنيه ويقول

فلا تحزن فكل فتى سيأتي ... عليه)

(الموت يطرق أو يغادي

فقلت في هذا والله قد أتيتك ثم أمسكت
بيد جعفر واقمته وضربت عنقه فقال أبو
بكار ناشدتك الله إلا ما ألحقتني به فقلت
له ما الذي حملك على هذا فقال أغناني
عن الناس فقلت حتى استأمر الرشيد ثم
أحضرت الرأس إلى الرشيد وأخبرته بخبر
أبي بكار فقال هذا رجل فيه مصطنع
أضمه إليك وانظر ما كان يجري عليه جعفر
فادفعه إليه وكان يحيى بن خالد إذا أكد
في يمينه قال لا والذي جعل الوفاء أعز ما
يرى قال أبو فراس بن حمدان الشاعر
بمن يتقي الإنسان فيما ينوبه ... ومن)
(اين للحر الكريم صحاب

وقد صار هذا الناس إلا أقلهم ... ذئابا)

(على أجسادهن ثياب

المستطرف [جزء 1 - صفحة 439]

وسأل المنصور بعض بطانة هشام عن
تدبيره في الحروب فقال كان رحمه الله
تعالى يفعل كذا وكذا فقال المنصور عليك
لعنة الله تطأ بساطي وتترحم على عدوي
فقال إن نعمة عدوك لقلادة في عنقي لا
ينزعها إلا غاسلي فقال له المنصور إرجع
يا شيخ فإني أشهد أنك لو في حافظ للخير
ثم أمر له بمال مأخذه ثم قال والله لولا
جلالة أمير المؤمنين وإمضاء طاعته ما
لبست لأحد بعد هشام نعمة فقال له
المنصور لله درك فلو لم يكن في قومك
غيرك لكنت قد ابقيت لهم مجدا مخلدا
وخرج سليمان بن عبد الملك ومعه يزيد بن
المهلب في بعض جبايين الشام فإذا امرأة
جالسة على قبر تبكي قال سليمان
فرفعت البرقع عن وجهها فحكت شمساً
عن متون غمامة فوقفنا متحيرين ننظر
إليها فقال لها يزيد بن المهلب يا أمة الله
هل لك في أمير المؤمنين بعلا فنظرت
إلينا ثم أنشأت تقول

فإن تسألاني عن هواي فإنه ... يحول)
(بهذا القبر يا فتیان
وإني لأستحييه والترب بيننا ... كما كنت)
(أستحييه وهو يراني
ومن ذلك ما روي عن نائلة بنت القرافصة
بن الأحوص الكلبي زوج عثمان رضي الله
عنهما أن عثمان لما قتل أصابتها ضربة
على يدها وخطبها معاوية فردته وقالت ما
يعجب الرجل مني قالوا ثناياك فكسرت
ثناياها وبعثت بها إلى معاوية فكان ذلك
مما رغب قريشا في نكاح نساء بني كلب
ولما أحس مصعب بن الزبير بالقتل دفع
إلى مولاه فص ياقوت قيمته ألف ألف
وقال له إنج بهذا فأخذه زياد زياد ودقه بين
حجرين وقال والله لا ينتفع به أحد بعدك
ولما قدم هذبة بن الحشرم للقتل بحضرة
مروان بن الحكم قالت زوجته إن لهذبة
عندي وديعة فامهله حتى أتيك بها فقال
اسرعي فإن الناس قد كثروا وكان مروان
قد جلس لهم بارزا عن داره فمضت إلى
السوق وأتت إلى قصاب فقالت أعطني
شفرتك وخذ هذين الدرهمين وأنا أردّها
عليك فأخذتها وقربت من حائط وأرسلت

المستطرف [جزء 1 - صفحة 440]

ملحفها على وجهها ثم جدعت أنفها من
أصله وقطعت شفتيها وردت الشفرة إلى
القصاب ثم أقبلت حتى دخلت بين الناس
فقالت أتراني يا هدية متزوجة بعد ما ترى
فقال الآن طابت نفسي بالموت فجزاك
الله من حيلة وفيه خيرا
ولنجعل لهذا الباب من القضايا ختاماً هو
أوجزها كلاماً وأحسنها نظاماً وأبينها حكماً
وإحكاماً وهي قضية جمعت الأمرين وفاء
وغدراً وعرفاً ونكراً وخيراً وشرّاً ونفعاً
وضراً واشتملت على حال شخصين
أحدهما وفي بعده ففاز ونجا وحاز من
مقترحات مناه ما أمل ورجا وغدر الآخر
فلم يجد له من جزاء غدره إلى النجاة فرجا
ولم يلق له من ضيق الغدر مخرجا وهو ما
ذكره عبد الله بن عبد الكريم وكان مطلعاً
على أحوال أحمد بن طولون عارفاً بأموره
عالمًا بوروده وصدوره فقال ما معناه إن
أحمد بن طولون وجد عند سقايته طفلاً
مطروحاً فالتقطه ورباه وسماه أحمد
وشهره باليتيم فلما كبر ونشأ كان أكثر
الناس ذكاءً وفطنةً وأحسنهم زياً وصورةً
فصار يرعاه ويعلمه حتى تهذب وتمرن

فلما حضرت أحمد بن طولون الوفاة
أوصى ولده أبا الجيش خمارويه به فأخذه
إليه فلما مات أحمد بن طولون أحضره
الأمير أبو الجيش إليه وقال له أنت عندي
بمكانة أرفعك بها ولكن عادتني إني آخذ
العهد على كل من أصرفه في شيء إنه لا
يخونني فعاهده ثم حكمه في أمواله
وقدمه في أشغاله فصار أحمد اليتيم
مستحوذا على المقام حاكما على جميع
الحاشية الخاص والعام والأمير أبو الجيش
بن طولون يحسن إليه فلما رأى خدمته
متصفة بالنصح ومساعيه متسمة بالنجح
ركن إليه واعتمد في أمور بيوته عليه
فقال له يوما يا أحمد امض إلى الحجرة
الفلانية ففي المجلس حيث أجلس سبحة
جوهر فائتني بها فمضى أحمد فلما دخل
الحجرة وجد جارية من مغنيات الأمير
وحظاياه مع شباب من الفراشين ممن هو
من الأمير بمحل قريب فلما رآياه خرج
الفتى وجاءت الجارية إلى أحمد وعرضت
نفسها عليه ودعته إلى قضاء وطره فقال
لها معاذ الله أن أخون الأمير وقد أحسن
إلي وأخذ العهد علي ثم تركها وأخذ
السبحة وانصرف إلي

المستطرف [جزء 1 - صفحة 441]

الامير وسلمها إليه وبقيت الجارية شديدة
الخوف من أحمد بعدما أخذ السيحة وخرج
من الحجرة لئلا يذكرها للأمير فأقامت أياما
لم تجد من الامير ما غيره عليها ثم اتفق
أن الامير اشترى جارية وقدمها على
حظاياه وغمرها بعطاياه واشتغل بها عمن
سواها وأعرض لشغفه بها عن كل من
عنده حتى كاد لا يذكر جارية غيرها ولا
يراها وكان أولا مشغولا بتلك الجارية
الخاسرة الخائنة الخائبة الغادرة العائبة
العاهرة الفاسقة الفاجرة فلما أعرض
عنها اشتغالا بالجارية الجديدة الممجة
السعيدة الحامدة المحموددة الوصيفة
الموصوفة الأليفة المألوفة العارفة
المعروفة وصرف لبهجة محاسنها وكثرة
آدابها وجهه من ملاعبة أترابها وشغلته
بعذوبة رضاها عن ارتشاف رضا
أضرابها وكانت تلك الجارية الأولى
لحسنها متأمرة على تأميره لا تخاف من
وليه ولا نصيره فكبر عليها أعراضه عنها
ونسبت ذلك إلى أحمد اليتيم لاطلاعه على
ما كان منها فدخلت على الأمير وقد ارتدت

من الكآبة بجلباب نكرها وأعلنت بالبكاء
بين يديه لاتمام كيدها ومكرها وقالت إن
أحمد اليتيم راودني عن نفسي فلما سمع
الأمير ذلك استشاط غيظا وغضبا وهم في
الحال بقتله ثم عاوده حاكم عقله فتأنى
في فعله واستحضر خادما يعتمد عليه
وقال له إذا أرسلت إليك إنسانا ومعه طبق
من ذهب وقلت لك على لسانه املا هذا
الطبق مسكا فاقتل ذلك الإنسان واجعل
رأسه في الطبق وأحضره مغطي ثم إن
الأمير أبا الجيش جلس لشربه وأحضر
عنده ندماءه الخواص وأدناهم لمجلس
قربه وأحمد اليتيم واقف بين يديه آمن في
سربه لم يخطر بخاطره شيء ولا هجس
هاجس في قلبه فلما مثل بين يدي الأمير
وأخذ منه الشراب شرع في التدبير فقال
يا أحمد خذ هذا الطبق وامض به إلى فلان
الخادم وقل له يقول لك أمير المؤمنين
املا هذا الطبق مسكا فأخذه أحمد اليتيم
ومضى فاجتاز في طريقه بالمغنين وبقيّة
الندماء والخواص فقاموا إليه وسألوه
الجلوس معهم فقال أنا ماض في حاجة
للأمير أمرني بإحضارها في هذا الطبق
فقالوا له أرسل من ينوب عنك في
إحضارها وخذها أنت وأدخل بها على

الامير فأدار عينيه فرأى الفتى الفراش

المستطرف [جزء 1 - صفحة 442]

الذي كان مع الجارية فأعطاه الطبق وقال له أمض إلى فلان الخادم وقل له يقول لك الأمير املاً هذا الطبق مسكاً فمضى ذلك الفراش إلى الخادم فذكر له ذلك فقتله وقطع رأسه وغطاه وجعله في الطبق وأقبل به فناوله لأحمد اليتيم فأخذه وليس عنده علم من باطن الامر فلما دخل به على الأمير كشفه وتأمله وقال ما هذا فقص عليه خبره وعوده مع المغنين وبقية الندماء وسؤالهم له الجلوس معهم وما كان من انفاذ الطبق وإرساله مع الفراش وأنه لا علم عنده غير ما ذكره قال أتعرف لهذا الفراش خبر يستوجب به ما جرى عليه فقال أيها الأمير إن الذي تم عليه بما ارتكبه من الخيانة وقد كنت رأيت الإعراض عن إعلام الأمير بذلك وأخذ أحمد يحدثه بما شاهده وما جرى له من حديث الجارية من أوله إلى آخره لما انفضه لإحضار السبحة الجوهر فدعا الأمير أبو الجيش بتلك الجارية واستقرها فأقرت

بصحة ما ذكره أحمد فأعطاه إياها وأمره
بقتلها ففعل وازدادت مكانة أحمد عنده
وعلت منزلة لديه وضاعف إحسانه إليه
وجعل أزيمة جميع ما يتعلق به بيديه فانظر
رحمك الله إلى آثار الوفاء كيف تحمى من
المعاطب وتنجي من قبضة التلف بعد
إمضاء القواضب ويفضى بصاحبه إلى
ارتفاع غوارب المراتب فهذا الغلام لما
وفى لمولاه بعهدده وهو بشر مثله وليس
في الحقيقة بعبدده واطلع الله عز وجل
على صدق نيته وقصده دفع عنه هذه
القتلة الشنيعة بلطف من عنده فإذا كان
العبد مع خالقه ورازقه وافيًا في طاعته
بعقده كيف لا يفيض عليه من الطاف
مواهب بره ورفده ويفتح له من أنواع
رحمته وأقسام نعمته ما لا ممسك له من
بعده وقالوا ليس شيء أوفى من القمرية
إذا مات ذكرها لم تقرب آخر بعده ولا تزال
تنوح عليه إلى أن تموت والله سبحانه
وتعالى أعلم بالصواب وصلى الله على
سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم
تسليما كثيرا إلى يوم الدين والحمد لله
رب العالمين

المستطرف [جزء 1 - صفحة 443]

الباب الثامن والثلاثون في كتمان السر
وتحصينه ودم افشائه
قال الله تعالى حكاية عن يعقوب صلوات
الله وسلامه عليه (يا بني لاتقصص رؤياك
على أخوتك) الآية فلما أفشى يوسف
عليه السلام رؤياه بمشهد امرأة يعقوب
أخبرت إخوته فحل به ما حل ومن شواهد
الكتاب العزيز في السر قوله تعالى (
فأوحى إلى عبده ما أوحى وقوله تعالى (
وما هو علبالغيب بضنين) أي بمتهم وفي
الحديث استعينوا على قضاء حوائجكم
بالكتمان فإن كل ذي نعمة محسود وقال
علي رضي الله عنه وكرم وجهه سر
أسيرك فإذا تكلمت به صرت أسيره واعلم
أن أمناء الأسرار أقل وجودا من أمناء
الاموال وحفظ الاموال أيسر من كتمان
الاسرار لأن لسان ناطق ويشيعها كلام
سابق وحمل الاسرار أثقل من حمل
الأموال فإن الرجل يستقل بالجمل الثقيل
فيحمله ويمشي به ولا يستطيع كتم السر
وإن الرجل يكون سره في قلبه فيلحقه
من القلق والكرب ما لا يلحقه من حمل
الاثقال فإذا أذاعه استراح قلبه وسكن

خاطره وكأنما ألقى عن نفسه حملا ثقيلا
وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه
القلوب أوعية والشفاء أقفالها والالسن
مفاتيحها فليحفظ كل إنسان مفتاح سره
ومن عجائب الأمور أن الأموال كلما كثرت
خزائنها كان أوثق لها وأما الأسرار فإنها
كلما كثرت خزائنها كان أضيع لها وكم

المستطرف [جزء 1 - صفحة 444]

من إظهار سر أراق دم صاحبه ومنعه من
بلوغ مآربه ولو كتمه أمن سطواته وقال
أنو شروان من حصن سره فله بتحصيله
خصلتان الظفر بحاجته والسلامة من
السطوات وقيل كلما كثرت خزان الأسرار
زادت ضياعا وقيل انفراد بسرك لا تودعه
حازما فيزل ولا جاهلا فيخون وقال كعب
بن سعد الغنوي
ولست بمبد للرجال سريرتي ... ولا أنا
عن أسرارهم بسئول
وقال أبو مسلم صاحب الدولة
أدركت بالحزم والكتمان ما عجزت ... عنه
(ملوك بني مروان إذ جهدوا
ما زلت أسعى عليم في ديارهم ...)

(والقوم في غفلة بالشام قد رقدوا
حتى ضربتهم بالسيف فانتبهوا ... من)
(نومه لم ينمها قبلهم أحد
ومن رعا غنما في أرض مسبعة ... ونام)
(عنها تولى رعيها الاسد
وأسر رجل إلى صديقه حديثا ثم قال له
أفهمت قال بل جهلت ثم قال له أحفظت
قال بل نسيت وقيل لبعضهم كيف كتمانك
للسر قالأجحد المخبر وأحلف للمستخبر
وقال المهلب أدنى أخلاق الشريف كتمان
السر وأعلى أخلاقه نسيان ماأسر إليه
ومن أحسن ما قيل في كتمان السر قول
الشاعر
ولها سرائر في الضمير طويتها ... نسي)
(الضمير بأنها في طية
وقد أجازة الشيخ شمس الدين البدوي
فقال
إني كتمت حديث ليلي لم أبج ... يوما)
(بظاهره ولا بخفيه
وحفظت عهد ودادها متمسكا ... في حبها)
(برشاده أو غيه

ولها سرائر في الضمير طويتها ... نسي
(الضمير بأنها في طيه
وقيل كتمان الأسرار يدل على جواهر
الرجال وكما أنه لا خير في آنية لا تمسك
ما فيها فكذلك لا خير في إنسان لا يمسك
سره قال الشاعر
ومستودعي سرا كتمت مكانه ... عن
(الحس خوفا أن ينم به الحس
وخفت عنه من هوى النفس شهوة ...)
فأودعته من حيث لا يبلغ الحس
وقال قيس بن الحطيم
أجود بمكنون التلاد وإنني ... بسري عمن
يسألني لضمنين
وإن ضيع الاقوام سري فإنني ... كتوم
(لأسرار العشير أمين
وقال جعفر بن عثمان
يا ذا الذي أودعني سره ... لا ترج أن
(تسمعه مني
لم أجره قط علي فكرتي ... كأنه لم يجر)
في أذني
وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه
يقول ما أفشيت سري أحد قط فأفشاه
فلمته إذ كان صدري به أضيق وقال
الأحنف بن قيس يضيق صدر الرجل بسره
فإذا حدث به أحدا قال اكتمه علي

قال الشاعر
إذا المرء أفضى سره بلسانه ... ولام به
(غيره فهو أحمق
إذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه ...)
(فصدر الذي يستودع السر أضيق
وقال آخر
إذا ما ضاق صدرك عن حديث ... وأفشته
(الرجال فمن تلوم
وإن عاتبت من أفضى حديثي ... وسري
عنده فأنا الملووم

المستطرف [جزء 1 - صفحة 446]

وقال صالح بن عبد القدوس لا تودع سر
إلى طالبه فالطالب للسر مضيع ولا تودع
مالك عند من يستدعيه فالطالب للوديعة
خائن وقيل لأعرابي ما بلغ من حفظك
للسر قال أفرقه تحت شغاف قلبي ثم
أجمعه وأنساه كأنني لم أسمعته وكان أحزم
الناس من لا يفشي سره إلى صديقه
مخافة أن يقع بينهما شر فيفشيه عليه
وقال حكيم قلوب الأحرار قبور الأسرار
وقيل الطمأنينة إلى كل أحد قبل الاختبار
حمق وقال بعضهم

إذا ما غفرت الذنب يوما لصاحب ...)
(فلست معيدا ما حيت له ذكرا
ولست إذا ما صاحب خان عهده ... وعندي)
له سر مديعا له سرا
وأين هذا من قول القائل
ولا تودع الاسرار أذني فإنما ... تصبن ماء)
أوالقائل (في إناء مثلم
ولا أكتم الاسرار لكن اذيعها ... ولا أدع)
(الاسرار تعلو على قلبي
وإن قليل العقل من بات ليلة ... تقلبه)
(الأسرار جنبا إلى جنب
وقال آخر
وإنك كلما استودعت سرا ... أنم من)
(النسيم على الرياض
وقال اسحاق بن إبراهيم الموصلي
أناس أمناهم فتموا حديثنا ... فلما كتمنا)
(السر عنهم تقولوا
ولله در المتنبي حيث قال
وللسر مني موضع لا يناله ... نديم ولا)
(يفضي إليه شراب
وقد اقتصرنا من ذلك على هذا القدر
اليسير وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى
الله على سيدنا محمد وعلى وآله وصحبه
وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين والحمد
لله رب العالمين

المستطرف [جزء 1 - صفحة 447]

**الباب التاسع والثلاثون في الغدر والخيانة
والسرقة والعداوة والبغضاء والحسد وفيه
فصول**

الفصل الأول

في الغدر والخيانة

**قال رسول الله أعجل الاشياء عقوبة
البغي وعنابي هريرة رضي الله عنه قال
قال رسول الله المكر والخديعة والخيانة
في النار وقال ابو بكر الصديق رضي الله
عنه ثلاث من كن فيه كن عليه البغي
والنكث والمكر قال الله تعالى (إنما
بغيتكم على أنفسكم) وقال تعالى (فمن
نكث فإنما ينكث على نفسه) وقال تعالى
(ولا يحق المكر السيئ إلا بأهله) وكم
أوقع القدر في المهالك من غادر وضاق
عليه من موارد الهلكات فسيحات المصادر
وطوقه غدره وطوق خزي فهو على فكه
غير قادر وأوقعه في خطة خسف وورطة
حتف فما له من قوة ولاناصر ويشهد
لصحة هذه الاسباب ما أحاطت به علوم
ذوي الالباب من قصة ثعلبة بن حاطب**

الانصاري وتلخيص معناها أن ثعلبة هذا كان من أنصار النبي

المستطرف [جزء 1 - صفحة 448]

فجاءه يوما وقال يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالا فقال له رسول الله ويحك يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه ثم أتاه بعد ذلك مرة أخرى فقال يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالا فقال رسول الله يا ثعلبة أما لك في رسول الله أسوة حسنة والذي نفسي بيده لو أردت أن تسير الجبال معي ذهباً وفضة لسارت ثم أتاه بعد ذلك مرة ثالثة فقال يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالا والذي بعثك بالحق نبيا لئن رزقني الله مالا لأعطين كل ذي حق حقه وعاهد الله تعالى على ذلك فقال رسول الله اللهم ارزق ثعلبة ما قال فاتخذ ثعلبة غنما فنمت كما ينمو الدود فضاقت عليه المدينة فتنحى عنها ونزل واديا من أوديتها وهي تنمو كما ينمو الدود وكان ثعلبة لكثرة ملازمته للمسجد يقال له حمامة المسجد فلما كثرت الغنم وتنحى صار يصلي مع رسول الله والعصر يصلي

بقية الصلوات في غنمه فكثرت ونمت
حتى بعد عن المدينة فصار لا يشهد إلا
الجمعة ثم كثرت ونمت فتباعد أيضا عن
المدينة حتى صار لا يشهد جمعة ولا جماعة
فكان إذا كان يوم الجمعة خرج يتلقى
الناس ويسألهم عن الاخبار فذكره رسول
الله ذات يوم فقال ما فعل ثعلبة قالوا يا
رسول الله اتخذ غنما ما يسعها واد فقال
رسول الله يا ويح ثعلبة فأنزل الله تعالى
آية الصدقة فبعث رسول الله رجلين رجل
من بني سليم ورجل من جهينة وكتب لهما
أنصاب الصدقة وكيف يأخذانها وقال لهما
مرا بثعلبة بن حاطب وبرجل آخر من بني
سليم فحذا صدقاتهما فخرجا حتى اتيا
ثعلبة فسألاه الصدقة وأقرأه كتاب رسول
الله فقال ما هذه إلا جزية أو ما هذه إلا
أخت الجزية انطلقا حتى تفرغا ثم عودا
إلي فانطلقا وسمع بهما السلمي فنظر
إلى خيار إبله فعزلها للصدقة ثم
استقبلهما بها فلما رأياه قال ما هذا قال
خذاه فإن نفسي به طيبة فمرا على الناس
وأخذا الصدقات ثم رجعا إلى ثعلبة فقال
أروني كتابكما

المستطرف [جزء 1 - صفحة 449]

فقرأه ثم قال ما هذه إلا جزية أو ما هذه
إلا أخت الجزية إذهبا حتى أرى رأيا قال
فذهبا من عنده وأقبلا على رسول الله
فلما رآهما قال قبل أن يتكلما يا ويح ثعلبة
فأنزل الله تعالى
ومنهم من عاهد الله لئن أتانا من فضله
فلما () لنصدقن ولنكونن من الصالحين
أتاهم من فضله بخلوا وتولوا وهم
معرضون فأعقبهم نفاقا في قلوبهم إلى
يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما
كانوا يكذبون ألم يعلموا أن الله يعلم
(سرهم ونجواهم وأن الله علام الغيوب
وكان عند رسول الله رجل من أقارب
ثعلبة فسمع ذلك فخرج حتى أتاه فقال
ويحك يا ثعلبة قد نزل الله فيك كذا وكذا
فخرج ثعلبة حتى أتى النبي فسأله أن
يقبل صدقته فقال إن الله تعالى منعني
أن أقبل منك صدقة فجعل ثعلبة يحثو
التراب على رأسه ووجهه فقال رسول
الله هذا عملك قد أمرتك فلم تطعني فلما
أبى رسول الله أن يقبل صدقته رجع إلى
منزله وقبض رسول الله ولم يقبل منه
شيئا ثم أتى إلى أبي بكر الصديق رضي

الله عنه حين استخلف فقال قد علمت
منزلتي من رسول الله وموضعي من
الانصار فأقبل صدقتي فقال أبو بكر رضي
الله عنه لم يقبلها رسول الله منك فلا
أقبلها أنا فقبض أبو بكر رضي الله تعالى
عنه ولم يقبلها فلما ولي عمر رضي الله
عنه أتاه فقال يا أمير المؤمنين أقبل
صدقتي فلم يقبلها منه وقال لم يقبلها
رسول الله ولا أبو بكر رضي الله عنه فأنا
لا أقبلها وقبض عمر رضي الله عنه ولم
يقبلها ثم ولي عثمان ابن عفان رضي الله
عنه فسأله أن يقبل صدقته فقال له لم
يقبلها رسول الله ولا أبو بكر ولا عمر
رضي الله عنهما فأنا لا أقبلها ثم هلك
ثعلبة في خلافة عثمان رضي الله عنه
فانظر إلى سوء عاقبة غدره كيف أذاقه
وبال أمره ووسمه بسمة عار قضت عليه
بخسره وأعقبه نفاقا يخزيه يوم فاقتة
وفقره فأى خزي

المستطرف [جزء 1 - صفحة 450]

أرجح من ترك الوفاء بالميثاق وأي سوء
أقبح من غدر يسوق إلى النفاق وأي عار

أفصح من نقض العهد إذا عدت مساوي
الاخلاق وكان يقال لم يغدر غادر قط إلا
لصغر همته عن الوفاء واتضاع قدره عن
احتمال المكاره في جنب نيل المكارم قال
الشاعر

غدرت بأمر كنت أنت جذبتنا ... إليه وبئس
(الشيمة الغدر بالعهد

ولما حلف محمد الأمين للمأمون في بيت
الله الحرام وهما وليا عهد طالبه جعفر بن
يحيى أن يقول خذني الله إن خذته فقال
ذلك ثلاث مرات فقال الفضل بن الربيع
قال لي الأمين في ذلك الوقت عند خروجه
من بيت الله يا أبا العباس أجد نفسي أن
أمري لا يتم فقلت له ولم ذلك أعز الله
الأمير قال لأنني كنت أحلف وأنا أنوي
الغدر وكان كذلك لم يتم أمره
وورد في أخبار العرب أن الضيزن بن
معاوية بن قضاة كان ملكا بين دجلة
والفرات وكان له هناك قصر مشيد يعرف
بالجوسق وبلغ ملكه الشام فأغار على
مدينة سابور ذي الاكتاف فأخذها وأخذ
أخت سابور وقتل منهم خلقا كثيرا ثمان
سابور جمع جيوشا وسار إلى ضيزن فأقام
على الحصن أربع سنين لا يصل منه إلى
شيء ثم أن النصيرة بنت الضيزن عرقت

أي حاضت فخرجت من الرض وكانت من
أجمل أهل دهرها وكذلك كانوا يفعلون
بنسائهم إذا حضن وكانوا سابور من أجمل
أهل زمانه فرأها ورأته فعشقا وعشقتة
وأرسلت إليه تقول ما تجعل لي إن دلتك
على ما تهدم به هذه المدينة وتقتل أبي
فقال أحكمك فقالت عليك بحمامة مطوقة
ورقاء فاكتب عليها بحيض جارية ثم
أطلقها فإنها تقعد على حائط المدينة
فتداعى المدينة كلها وكان ذلك طلما لا
يهدمها إلا هو ففعل ذلك فقالت له وأنا
أسقي الحرس الخمر فإذا صرعوا فاقتلهم
ففعل ذلك فتداعت المدينة وفتحها سابور
عنوة وقتل الضيزن واحتمل ابنته النضيرة
وأعرس بها فلما دخل بها لم تزل ليلتها
تتضرر وتتململ في

المستطرف [جزء 1 - صفحة 451]

فراشها وهو من حرير محشو بربيش النعام
فالتمس ما كان يؤذيها فإذا هو ورقة أس
التصقت بعكنتها وأثرت فيها وقيل كان
ينظر إلى مخ عظمها من صفاء بشرتها ثم
إن سابور بعد ذلك غدر بها وقتلها قيل إنه

أمر رجلا فركب فرسا جموحا وضفر
غداثرها بذنبه ثم استركضه فقطعها قطعاً
قطعه الله ما أغدرة وتقول العرب جزاني
جزاء سنمار وهو أن أزد جرد بن سابور لما
خاف علي ولده بهرام وكان قبله لا يعيش
له ولد سأل عن منزل صحيح مريء فدل
على ظهر الجزيرة فدفع ابنه بهرام إلى
النعمان وهو عاملة على أرض العرب
وأمره أن يبني له جوسقا فامثل أمره
وبنى له جوسقا كأحسن ما يكون وكان
الذي بنى الجوسق رجلا يقال له سنمار
فلما فرغ من بنائه عجبوا من حسنه فقال
لو علمت أنكم توفوني أجرته لبنيته بناء
يدور مع الشمس حيث دارت فقالوا وإنك
لتبني أحسن من هذا ولم تبنيه ثم أمر به
فطرح من أعلى الجوسق فتقطع فكانت
العرب تقول جزاني جزاء سنمار وممن
غدر عبد الرحمن بن ملجم لعنه الله غدر
بعلي رضي الله عنه وقتله وعمرو بن
جرموز غدر بالزبير بن العوام رضي الله
عنه وقتله وأبو لؤلؤة غلام المغيرة بن
شعبة لعنه الله غدر بأمير المؤمنين عمر
بن الخطاب رضي الله عنه وقتله وجعل
المنصور العهد إلى عيسى بن موسى ثم
غدر به وأخذه وقدم المهدي عليه فقال

عيسى
(اينسى بنو العباس ذبي عنهم ... بسيفي)
(ونار الحرب زاد سعيها
فتحت لهم شرق البلاد وغربها ... فذل)
(معاديا وعز نصيرها
أقطع أرحاما علي عزيزة ... وأبدي)
(مكيدات لها وأثيرها
فلما وضعت الامر في مستقره ... ولاحت)
(له شمس تلاً نورها
دفعت عن الامر الذي استحقه وأوسق)
(اوساقا من الغدر غيرها

المستطرف [جزء 1 - صفحة 452]

وخرج قوم لصيد فطردوا ضبعة حتى
الجؤها إلى خباء أعرابي فأجارها وجعل
يطعمها ويسقيها فبينما هو نائم ذات يوم
إذ وثبت عليه فبقرت بطنه وهربت فجاء
ابن عمه يطلبه فوجده ملقى فتبعها حتى
قتلها وأنشد يقول
(ومن يصنع المعروف مع غير أهله ...)
(يلاقي كما لاقى مجير أم عامر
اعد لها لما استجارت بيته ... أحاليل)
(البان اللقاح الدوائر

وأسمنها حتى إذا ما تمكنت ... فرته)
(بانياب لها واطافر
فقل لذوي المعروف هذا جزاء من ...)
(وجود بمعروف على غير شاكر
وحكى بعضهم قال دخلت البادية فإذا أنا
بعجوز بين يديها شاة مقتولة وإلى جانبها
جرو ذئب فقالت أتدري ما هذا فقلت لا
قالت هذا جرو ذئب أخذناه صغيرا وأدخلناه
بيتنا وربيناه فلما كبر فعل بشاتي ما ترى
وأنشدت
بقرت شويهيته وفجعت قومي ... وأنت)
(لشاتنا ابن ربيب
غذيت بديرها ونشأت معها ... فمن أنباك)
(أن اباك ذيب
إذا كان الطباع طباع سوء ... فلا أدب يفيد)
(ولا اديب
اللهم إنا نعوذ بك من البغي واهله ومن
الغادر وفعله وصلى الله على سيدنا محمد
وعلى آله وصحبه وسلم
الفصل الثاني
في السرقة والسراق
قيل مر عمر بن عبيد بجماعة وقوف فقال
ما هذا قيل السلطان يقطع سارقا فقال
لاإله إلا الله سارق العلانية يقطع سارق
السر وأمر الإسكندر بصلب سارق فقال

أيها الملك إني فعلت ما فعلت

المستطرف [جزء 1 - صفحة 453]

وأنا كاره فقال وتصلب وأنت كاره وسرق
مدني قميصا فأعطاه لابنه يبيعه فسرق
منه فجاء له فقال بكم بعتة قال برأس
المال وقال أكتل السلمي وكان لصا فاتكا
وإني لأستحي من الله أن أرى ... أخرجرج
(حبلي ليس فيه بعير
وأن أسأل المرء الدنيء بعيرة ... وأجمال)
(ربي في البلاد كثير
قال الفرزدق
وإن أبا الكرشاء ليس بسارق ... ولكن)
(متى ما يسرق القوم يأكل
وكان لعمر بن دويرة البجلي أخ قد كلف)
(بنت عم له فتسور عليها الدار ذات ليلة
فأخذه أخوتها وأتوا به خالد بن عبد الله
القسري وجعلوه سارقا فسأله خالد
فصدقهم ليدفع الفضيحة عن الجارية فهم
خالد بقطعة فقال عمرو أخوه
أخالد قد والله أوطئت عشوة ... وما)
(العشق المظلوم فينا بسارق
أقر بما لم يأت المرء إنه ... رأى القطع)

(خيرا من فضيحة عاشق
فعفا عنه خالد وزوجه الجارية
الفصل الثالث

(فيما جاء في العداوة والبغضاء
قد ذكر الله عز وجل العداوة والبغضاء في
كتابه العزيز فقال العلي تعالى (وألقينا
بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة)
وقال تعالى (إن الشيطان للإنسان عدو
مبين) وقال تعالى (إن الشيطان لكم
عدو فاتخذوه عدوا) وقال تعالى (إن من
أزواجكم

المستطرف [جزء 1 - صفحة 454]

وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم) وقال
رسول الله أعدى عدوك نفسك التي بين
جنبك وقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه
العداوة تتوارث وقال زياد بن عبدالله
فلو اني بليت بهاشمي ... خولته بنو عبد
(المدان)

صبرت على عداوته ولكن ... تعالوا
فانظروا بمن ابتلاني
ويث رجل في وجه أبي عبدة مكروها
فأنشأ يقول

فلو أن لحمي إذ وهي لعبت به ... سباع)
(كرام أو ضباع وأذؤب
لهون وجدي أو لسلي مصيبتني ولكنما ...)
(أودي بلحمي أكلب
وقيل لكسري أي الناس أحب إليك أن
يكون عاقلا قال عدوي قيل كيف ذلك قال
لأنه إذا كان عاقلا كنت منه في عافية
وأمن وقيل كونوا من المرء الدغل أخوف
من الكاشح المعلن فإن مداواة أهل العلل
الظاهرة من مداواة ما خفي وبطن وقالوا
إياك أن تعادي من إذا شاء طرح ثيابه
ودخل مع الملك في لحافه وقال أبو
العتاهية
تنح عن القبيح ولا ترده ... ومن أوليته
(حسنا فزده
ستلقي من عدوك كل كيد ... إذا كاد العدو)
(ولم تكده
وكانت جليلة بنت مرة أخت حساس تحت
كليب فقتل أخوها زوجها وهي حبلي
بهجرس ابن كليب فلما كبر وشب قال
أصاب أبي خالي وما أنا بالذي ... أميل
(وأمري بين خالي ووالدي
وأورث حساس بن مرة غصة ... إذا ما)
(اعترتني حرها غير بارد
ثم قال بعد ذلك

يا للرجال لقلب ماله جلد ... كيف العزاء
(وثاري عند حساس)

المستطرف [جزء 1 - صفحة 455]

ثم حمل على خاله فقتله وقال
ألم ترني ثارت أبي كليبا ... وقد يرجى
المرشح للدخول غسلت العار عن جسم
ابن بكر ... بحساس بن مرة ذي البتول
بيت
سن العداوة آباء لنا سلفوا ... فلن تبید
(وللآباء أبناء)
ويقال دار عدوك لأحد أمرين إما لصداقة
تؤمنك أو لفرصة تمكّنك وكتب سويد إلي
مصعب
فبلغ مصعبا عني رسولي ... وهل تلقى
(النصيح بكل واد
تعلم أن أكثر من تناجي ... وإن ضحكوا)
(إليك هم الاعادي
ويقال فلان كثير المراق مر المذاق وقال
الحجاج لخارجي والله إني لأبغضك قال
أدخل الله الجنة أشدنا بغضا لصاحبه ولما
أراد أنو شروان أن يقلد ابنه هرمرز ولاية
العهد استشار عظماء مملكته فأنكروا

عليه وقال بعضهم وان إمة تركية وقد علمت في أخلاقهم ما علمت فقال إن الابناء ينسبون إلى الآباء لا إلى الأمهات وكانت أم قباد تركية وقد رأيت من حسن سيرته ما رأيت فقل هو قصير وذلك يذهب ببهاء الملك فقال إن قصره من رجله ولا يكاد يرى إلا جالسا أو راكبا فلا يستبين ذلك فيه فقل هو بغض في الناس فقال أواه هلك ابني هرمرز فقد قيل إذا كان في الإنسان خير واحد ولم يكن ذلك الخير المحبة الى الناس فلا خير فيه وإذا كان فيه عيب واحد ولم يكن ذلك العيب البغض في الناس فلا عيب فيه ولست براء عيب ذي الود كله ... ولا بغض (ما فيه إذا كنت راضيا فعين الرضا عن كل عيب كليلة ... كما أن عين السخط تبدي المساويا وفي المعنى قيل وعين البغض تبرز كل عيب ... وعين (الحب لا تجد العيوب)

المستطرف [جزء 1 - صفحة 456]

وعن أبي حيان قال لقمان نقلت الصخور

وحملت الحديد فلم أر شيئا أثقل من الدين
وأكلت الطيبات وعانقت الحسان فلم أر
شيئا ألد من العافيه وأنا أقول لو نرحوا
البحار وكنسوا القفار لوجدوها أهون من
شماتة الأعداء خصوصا إذا كانوا مساهمين
في نسب أو مجاورين في بلد اللهم إنا
نعوذ بك من تتابع الإثم وسوء الفهم
وشماتة ابن العم وقيل لأيوب عليه السلام
أي شيء كان عليك في بلائك اشد قال
شماتة الأعداء وأنشد الجاحظ
تقول العاذلات تسئل عنها ... وداو عليل
(قلبك بالسلو
وكيف ونظرة منها اختلاسا ... ألد من
(الشماتة بالعدو
وقال ابن أبي جهينة المهلبى
كل المصائب قد تمر على الفتى ...)
(فتهون غير شماتة الاعداء
وقال الجاحظ ما رأيت سنانا أنفذ من
شماتة الاعداء وقيل لما قبض رسول الله
سمع بموته نساء من كندة وحضرموت
فخضبن أيديهن وضربن بالدفوف فقال
رجل منهم
أبلغ أبا بكر إذا ما جئته ... أن البغايا من
(بني مرام
أظهرن في موت النبي شماتة ... وخضبن)

(أيديهن بالغلام
فاقطع هديت أكفهن بصارم ... كالبرق او)
مض في متون غمام
فكتب أبو بكر الصديق رضي الله عنه إلى
المهاجر عاملة فاخذهن وقطع أيديهن
ويقال فلان يتربص بك الدوائر ويتمنى لك
الغوائل ولا يؤمل صلاحاً إلا في فسادك ولا
رفعة إلا في سقوط حالك وقال حكيم لا
تأمن عدوك وإن كان ضعيفاً فإن القناة قد
تقتل وإن عدمت السنان قال الشاعر

المستطرف [جزء 1 - صفحة 457]

فلا تأمن عدوك لو تراه ... أقل إذا نظرت
(من القراد
فإن الحرب ينشأ من جبان ... وإن النار
تضرم من رماد
بيت مفرد
فمن لم يكن منكم مسيئاً فإنه ... يشد
(على كف المسيء فيجلب
وقال عبد الله بن سليمان بن وهب
كفاية الله خير من توقينا ... وعادة الله
(في الماضين تكفينا
كاد الأعداء فلا والله ما تركوا ... قولاً)

(وفعلا وتلقينا وتهجينا
ولم نزد نحن في سر وفي علن ... على)
(مقالتنا يا ربنا اكفينا
فكان ذاك ورد الله حاسدنا ... بغیظة لم)
(ينل تقديره فينا)

الفصل الرابع

في الحسد

قال الله تعالى (أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله وقال رسول الله استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان فإن كل ذي نعمة محسود وقال علي رضي الله عنه الحاسد مغتاط على من لا ذنب له وقيل الحسود غضبان على القدر ويقال ثلاثة لا يهنا لصاحبها عيش الحقد والحسد وسوء الخلق وقيل بئس الشعار الحسد وقيل لبعضهم ما بال فلان يبغضك قال لأنه شقيقي في النسب وجاري في البلد وشريكي في الصناعة فذكر جميع دواعي الحسد وقال أعرابي الحسد داء منصف يفعل في الحاسد أكثر من فعله في المحسود وهو مأخوذ من الحديث قاتل الله الحسد ما أعدله بدأ بصاحبه فقتله وقال الفقيه أبو الليث السمرقندي رحمة الله تعالى عليه يصل إلى الحاسد خمس عقوبات قبل أن يصل حسده إلى المحسود

المستطرف [جزء 1 - صفحة 458]

أولاها غم لا ينقطع الثانية مصيبة لا يؤجر
عليها الثالثة مذمة لا يحمد عليها الرابعة
سخط الرب الخامسة يغلق عنه باب
التوفيق

ومن ذلك ما حكى أن رجلا من العرب دخل
على المعتصم فقربه وأدناه وجعله نديمة
وصار يدخل على حريمه من غير استئذان
وكان له وزير حاسد فغار من البدوي
وحسده وقال في نفسه إن لم أحتل على
هذا البدوي في قتله أخذ بقلب أمير
المؤمنين وأبعدني منه فصار يتلطف
بالبدوي حتى أتى به الى منزله فطبخ له
طعاما وأكثر فيه من الثوم فلما أكل
البدوي منه قال له احذر أن تقترب من
أمير المؤمنين فيشم منك فيتأذى من ذلك
فإنه يكره رائحته ثم ذهب الوزير إلى أمير
المؤمنين فخلا به وقال يا أمير المؤمنين
إن البدوي يقول عنك للناس إن أمير
المؤمنين أبخر وهلك من رائحة فمه فلما
دخل البدوي على أمير المؤمنين جعل كمه
على فمه مخافة أن يشم منه رائحة الثوم

فلما رآه أمير المؤمنين وهو يستر فمه
بكمه قال إن الذي قاله الوزير عن هذا
البدوي صحيح فكتب أمير المؤمنين كتاباً
إلى بعض عماله يقول فيه إذا وصل إليك
كتابي هذا فاضرب رقبة حامله ثم دعا
البدوي ودفع إليه الكتاب وقال له امض به
إلى فلان وائتني بالجواب فامثل البدوي
ما رسم به أمير المؤمنين وأخذ الكتاب
وخرج به من عنده فبينما هو بالباب إذ لقيه
الوزير فقال أين تريد قال اتوجه بكتاب
أمير المؤمنين إلى عامله فلان فقال
الوزير في نفسه إن هذا البدوي يحصل له
من هذا التقليد مال جزيل فقال له يا
بدوي ما تقول فيمن يريحك من هذا التعب
الذي يلحقك في سفرك ويعطيك ألفي
دينار فقال أنت الكبير وأنت الحاكم ومهما
رأيت من الرأي أفعل قال أعطني الكتاب
فدفعه إليه فأعطاه الوزير ألفي دينار
وسار بالكتاب إلى المكان الذي هو قاصده
فلما قرأ العامل الكتاب أمر بضرب رقبة
الوزير فبعد أيام تذكر الخليفة في أمر
البدوي وسأل عن الوزير فأخبر بأن له
أياماً ما ظهر وأن البدوي بالمدينة مقيم
فتعجب من ذلك وأمر بإحضار البدوي في
فحضر فسأله عن حاله فأخبره بالقصة

التي اتفقت له مع الوزير من أولها إلى
آخرها فقال له أنت قلت عني للناس

المستطرف [جزء 1 - صفحة 459]

اني أبخر فقال معاذ الله يا أمير المؤمنين
أن اتحدث بما ليس لي به علم وإنما كان
ذلك مكرًا منه وحسدًا وأعلمه كيف دخل به
إلى بيته وأطعمه الثوم وما جرى له معه
فقال أمير المؤمنين قاتل الله الحسد ما
أعدله بدأ بصاحبه فقتله ثم خلع على
البدوي واتخذه وزيرًا وراح الوزير بحسده
وقال المغيرة شاعر آل المهلب
آل المهلب قوم إن مدحتهم ... كانوا
(الأكارم آباء واجدادا
إن العرائن تلقاها محسدة ... ولا ترى)
(للئام الناس حسادا
وقال عمر رضي الله عنه يكفيك من
الحاسد أنه يغتم وقت سرورك وقال مالك
بن دينار شهادة القراء مقبولة في كل
شيء إلا شهادة بعضهم على بعض فإنهم
أشد تحاسدا من التيوس وعن انس رضي
الله تعالى عنه رفعه إن الحسد يأكل
الحسنات كما تأكل النار الحطب وقال

منصور الفقيه
منافسة الفتى فيما يزول ... على نقصان
(همته دليل
ومختار القليل أقل منه ... وكل فوائد
(الدنيا قليل
يقول الله عز وجل الحاسد عدو نعمتي
متسخط لفعلي غير راض بقسمي التي
قسمت لعبادي قال الشاعر
أبا حاسدا لي على نعمتي ... أتدري على
(من أسأت الادب
أسأت على الله في حكمه ... لأنك لم
(ترض لي ما وهب
فأخراك ربي بأن زادني ... وسد عليك
(وجوه الطلب
وقال الاصمعي رأيت أعرابيا قد بلغ عمره
مائة وعشرين سنة فقلت له ما أطول
عمرك فقال تركت الحسد فبقيت وقالوا
لا يخلوا السيد من ودود يمدح وحسود
يقدر وقال ابن مسعود رضي الله

المستطرف [جزء 1 - صفحة 460]

عنه إلا لا تعادوا نعم الله قيل ومن يعادي
نعم الله قال الذين يحسدون الناس على

ما آتاهم الله من فضله وقيل لعبد الله بن
عروة لم لزمتم البدو وتركت قومك فقال
وهل بقي إلا حاسد على نعمتي أو شامت
على نكبة وقال الشاعر
يا طالب العيش في أمن وفي دعة ...
(رغدا بلا قتر صفوا بلا رنق
خلص فؤادك من غل ومن حسد ... فالغل
في القلب مثل الغل في العنق
وقال آخر
اصبر على حسد الحسود ... د فإن صبرك
قاتله
(كالنار تأكل بعضها ... إن لم تجد ما تأكله
وفي نوابغ الحكم الحسد حسك من تعلق
به هلك ولبعضهم
إني حسدت فزاد الله في حسدي ... لا
(عاش من عاش يوما غير محسود
وقال نصار بن سيار
إني نشأت وحسادي ذوو عدد ... يا ذا
(المعارج لاتنقص لهم عددا
إن يحسدوني على ما بي لما بهم ...
(فمثل ما بي مما يجلب الحسدا
وكان عمر رضي الله عنه يقول نعوذ بالله
من كل قدر وافق إرادة حاسد وقيل
لأرسطاطاليس ما بال الحسود أشد غما
قال لأنه أخذ بنصيبه من غموم الدنيا

ويضاف إلى ذلك غمه لسرور الناس والله
سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على
سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

المستطرف [جزء 1 - صفحة 461]

الباب الاربعون في الشجاعة وثمرتها
والحروب وتديرها وفضل الجهاد وشدة
البأس والتحريض على القتال وفيه
فصلان
الفصل الأول
في فضل الجهاد في سبيل الله وشدة
البأس
قد أثنى الله تعالى على الصابرين في
البأساء والضراء وحين البأس ووصف
المجاهدين فقال تعالى (إن الله يحب
الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان
مرصوص) وندب إلى جهاد الأعداء ووعد
عليه أفضل الجزاء والرأي في الحرب أمام
الشجاعة قال رسول الله الحرب خدعة
وقال ما من قطرة أحب إلى الله تعالى
من قطرة دم في سبيله أو قطرة دم في
جوف ليل من خشيته وسمع رجل عبد الله
بن قيس رضي الله عنه يقول قال رسول

الله إن الجنة تحت ظلال السيوف فقال
يا أبا موسى أنت سمعت رسول الله يقول
قال نعم فرجع إلى أصحابه فقال اقرأ
عليكم السلام ثم كسر جفن سيفه فألقاه
ثم مشى بسيفه إلى العدو فضرب به حتى
قتل

وكتب أبو بكر الصديق رضي الله عنه إلى
خالد بن الوليد أعلم أن عليك عيونا من الله
ترعاك وتراك فإذا لقيت العدو فاحرص
على الموت توهب لك السلامة ولا تغسل
الشهداء من دمائهم فإن دم الشهيد يكون
له نورا يوم القيامة وعن أنس رضي الله
عنه قال قال رسول الله

المستطرف [جزء 1 - صفحة 462]

حين انتهينا إلى خير الله أكبر خربت خير
أنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح
المنذرين وعنه رفعه لغدوة في سبيل الله
أو روعة خير من الدنيا وما فيها وعن ابن
مسعود رفعه إن أرواح الشهداء في
حواصل طيور خضر لها قناديل معلقة
بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت ثم
تأوي إلى تلك القناديل وقيل إن أنس بن

النضر عم انس بن مالك رضي الله عنه لم يشهد بدرا فلم يزل متحسرا يقول أول مشهد شهده رسول الله غيبته عنه فلما كان يوم أحد قال واها لريح الجنة دون أحد فقاتل حتى قتل فوجد في بدنه بضع وثمانون ما بين ضربة وطعنة ورمية فقالت أخته الربيع بنت النضر فما عرفت أخي إلا ببنايه وعن فضالة بنت عبيد رفة كل ميت يختم على عمله إلا المرابط فإنه ينمي له عمله إلى يوم القيامة ويؤمن من فتنة القبر وعن سهل بن حنيف رفعه من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه فنسأل الله أن يرزقنا الشهادة ويجعلنا من الذين أحسنوا فلهم الحسنی وزيادة

الفصل الثاني

(في الشجاعة وثمرتها والحروب وتدبيرها اعلم أن الشجاعة عماد الفضائل ومن فقدتها لم تكمل فيه فضيلة ويعبر عنها بالصبر وقوة النفس قال الحكماء وأصل الخير كله في ثبات القلب والشجاعة عند اللقاء على ثلاثة أوجه الوجه الأول إذا التقى الجمعان وتزاحف العسكران وتكالحت الأحداق بالأحداق برز من الصف إلى وسط المعترك يحمل ويكر وينادي هل

من مبارز والثاني إذا نشب القوم
واختلطوا ولم يدر أحد منهم من أين يأتيه
يكون رابط الجأش ساكن القلب حاضر
اللب لم يخالطه الدهش ولا تأخذه الحيرة
فينقلب قلب المالك لأموره القائم على
نفسه والثالث إذا

المستطرف [جزء 1 - صفحة 463]

انهزم أصحابه يلزم الساقة ويضرب في
وجوه القوم ويحول بينهم وبين عدوهم
ويقوي قلوب أصحابه ويرجي الضعيف
ويمدهم بالكلام الجميل ويشجع نفوسهم
فمن وقع أقامه ومن وقف حمله ومن كبا
به فرسه حماه حتى يئأس العدو منهم
وهذا أحمدهم شجاعة وعن هذا قالوا إن
المقاتل من وراء الفارين كالمستغفر من
وراء الغافلين ومن أكرم الكرم الدفاع عن
الحرم

وحكى سيدي أبو بكر الطرطوشي رحمة
الله تعالى عليه في كتابه سراج الملوك
قال كان شيوخ الجند يحكون لنا في بلادنا
قالوا دارت حرب بين المسلمين والكفار
ثم افترقوا فوجدوا في المعترك قطعة

خودة قدر الثلث بما حوته من الرأس
فقالوا إنه لم ير قط ضربة أقوى منها ولم
يسمع بمثلها في جاهلية ولا إسلام
فحملتها الروم وعلقتها في كنيسة لهم
فكانوا إذا عيروا بانهمزامهم يقولون لقينا
أقواما هذا ضربهم فيرحل أبطال الروم
إليها ليروها قالوا ومن الحزم أن لا يحتقر
الرجل عدوه وإن كان ذليلا ولا يغفل عنه
وإن كان حقيرا فكم برغوث أسهر فيلا
ومنع الرقاد ملكا جليلا قال الشاعر
فلا تحقرن عدوا رماك ... وإن كان في
(ساعديه قصر)

فإن السيوف تحز الرقاب ... وتعجز عما
(تنال الإبر)
واعلموا أن الناس قد وضعوا في تدبير
الحروب كتباً ورتبوا فيها ترتيباً ولنصف
منها أشياء نبداً منها أولاً بما ذكره الله
تعالى في القرآن العظيم قال الله تعالى (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن
رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم)
فقوله تعالى (ما استطعتم) مشتمل
على كل ما هو مقدور البشر من العدة
والآلة والحيلة وفسر النبي القوة حين مر
على أناس يرمون فقال ألا إن القوة
الرمي ألا إن القوة الرمي إلا إن القوة

الرمي وأفضل العدة أن تقدم بين يدي

المستطرف [جزء 1 - صفحة 464]

اللقاء عملا صالحا من صدقة وصيام ورد
المظالم وصلة الرحم ودعاء مخلص وأمر
بمعروف ونهى عن منكر وأمثال ذلك
والشأن كل الشأن في استعادة القواد
وانتخاب الأمراء وأصحاب الأولوية فقد
قالت حكماء العجم أسد يقود ألف ثعلب
خير من ثعلب يقود ألف أسد فلا ينبغي أن
يقدم الجيش إلا الرجل ذو البسالة والنجدة
والشجاعة والجرأة ثابت الجأش صارم
القلب صادق البأس ممن قد توسط
الحروب ومارس الرجال ومارسوه ونازل
الاقران وقارع الابطال عارفا بمواضع
الفرص خبيرا بمواضع القلب والميمنة
والميسرة من الحروب فإنه إذا كان كذلك
وصدر الكل عن رأيه كانوا جميعا كأنهم
مثله فإنه إن رأى لقراع الكتائب وجهها وإلا
رد الغنم إلى الزربية
واعلم أن الحرب خدعة عند جميع العقلاء
وكان عظماء الترك يقولون ينبغي للعاقل
العظيم للقياد أن يكون فيه عدة أخلاق من

البهائم شجاعة الديك وبحث الدجاجة
وقلب الاسد وحملة الخنزير وروغان
الثعلب وصبر الكلب على الجراح وحراسة
الكركي وغارة الذئب وسمن نغير وهي
دوية تكون بخراسان تسمن على التعب
والشقاء وكان يقال اشد خلق الله تعالى
عشرة الجبال والحديد ينحت الجبال والنار
تأكل الحديد والماء يطفئ النار والسحاب
يحمل الماء والرياح تصرف السحاب
الإنسان يتقي الرياح بجناحيه والسكر
يصرع الانسان والنوم يذهب السكر والهم
يمنع النوم فأشد خلق ربك الهم اللهم إنا
نعوذ بك من الهم والحزن
ومن الحيل في الحرب أن يبت جواسيسه
في عسكر عدوه ليستعلم أخبارهم
ويستميل قلوب رؤسائهم وذوي الشجاعة
منهم فيدس إليهم ويعدهم وعدا جميلا
ويقوي أطماعهم في نيل ما عنده من
الهبات الفخيمة والولايات السنية وإن رأى
وجهها عاجلهم بالهدايا وسامهم إما الغدر
بصحبهم وإما الاعتزال وقت اللقاء ويكتب
على السهام أخبارا مزورة ويرمي بها في
جيوشهم واعلم أن الحيلة لا ترد القضاء

المستطرف [جزء 1 - صفحة 465]

والقدر وأن الدول إذا زالت صارت حيلتها
وبالا عليها وإذا أذن الله تعالى في حلول
البلاء كانت الآفة في الحيلة وقال الحكماء
إذا نزل القضاء كان العطب في الحيلة
ويغلب الضعف بإقبال دولته كما يغلب
القوي ببقاء مدته فمن الحزم المألوف
عند سواس الحروب أن تكون حماة الرجال
وكماة الابطال في القلب فإنه إذا انكسر
الجناحان كانت العيون ناظرة إلى القلب
فإذا كانت رايته تخفق وطبوله تضرب كان
حصنا للجناحين يأوي إليه كل منهزم وإذا
انكسر القلب تمزق الجناحان مثال ذلك أن
الطائر إذا انكسر احد جناحيه ترجى عودته
ولو بعد حين وإذا انكسر الرأس ذهب
الجناحان وقل عسكر انكسر قلبه فأفلح
أوتراجع اللهم إلا ان تكون مكيدة من
صاحب الجيش فيخلي القلب قصدا وتعمدا
حتى إذا توسطه العدو واشتغل بنهبه
انطلق عليه الجناحان فقد فعل ذلك رجال
من اهل الحروب ويقال حبب إلي عدوك
الفرار بأن لا تتبعهم إذا انهزموا ويقال
الشجاع محبب حتى إلى عدوه والجبان
مبغض حتى إلى أمه ولما أقبل كسرى بن

هرمز إلى محاربة بهرام قال له صاحبه أما
تستعد قال عدتي ثبات قلبي وإصابة رأيي
ونصل سيفي ونصرة خالقي وخرج يزيد
بن عبدالملك من بعض مقاصيره وعليه
درع وذلك في أيام قتال يزيد بن المهلب
فأنشده مسلمة قول الحطيئة
قوم إذا حاربوا شدوا مآزرهم ... دون
(النساء ولو باتت باطهار
فقال يزيد إنما ذاك إذا حاربنا أكفاءنا وأما
مثل هذا ونظرائه فلا فقام إليه مسلمة
فقبله بين عينية وقيل لما مات ملك
الفرس أرادوا أن يملكوا عليهم رجلا من
آل ساسان فوفد عليهم بهرام جور فقال
اعمدوا إلى أسدين جائعين فاطرحوا
بينهما التاج فمن أخذه فهو الملك ففعلوا
فدنا منهما فأهويا نحوه فأخذ برأس
أحدهما فأدناه من رأس الآخر ثم نطحه به
فقتلها جميعا وشد على التاج فأخذه
ووضعه على رأسه وملكته الفرس عليهم

المستطرف [جزء 1 - صفحة 466]

وقيل لم يكن في العجم أرمي من الملك
بهرام خرج يتصيد يوما وهو مردف حظية

له كان يعشقها فعرضت له طباء فقال في
اي موضع تريدان ان اضع هذا السهم
فقلت اريد ان تشبه ذكرانها بالاناث
واناثها بالذكران فرمى طبيا ذكرا بنشابه
ذات شعبتين فاقتلع قرنية ورمى طبية
بنشابتين اثبتهما في موضع القرنين ثم
سأله ان يجمع بين ظلف الطبي وأذنه
بنشابه فرمى أصل الاذن ببندقة ثم أهوى
الطبي برجله إلى أذنه ليحتك فرماه
بنشابه فوصل أذنه بظلفه ويقال إن من
اعظم المكاييد في الحرب الكمين وذلك أن
الفارس لا يزال على حمية في الدفاع
وحمي الذمار حتى يلتفت فيرى وراءه ندا
منشورا ويسمع صوت الطبل فحينئذ يكون
همة خلاص نفسه وعليك بانتخاب
الفرسان واختيار الابطال ولا تنس قول
الشاعر

والناس ألف منهم كواحد ... وواحد
كالألف إن امر عني

بل قد جرب ذلك فوجد الواحد خيرا من
عشرة آلاف وسأحكي لك من ذلك ما ترى
فيه العجب فمن ذلك لما التقى المستعين
بن هود مع الطاغية بن روميل النصراني
على مدينة وشقة من ثغور بلاد الاندلس
وكان العسكران كالمتكافئين كل واحد

منهما يقارب عشرين ألف مقاتل خيل
ورجل فحدث من حضر الواقعة من الأجناد
قال لما دنا اللقاء قال الطاغية ابن روميل
لمن يثق بعقله وممارسته للحروب من
رجاله استعلم لي من في عسكر
المسلمين من الشجعان الذين نعرفهم
كما يعرفوننا ومن غاب منهم ومن حضر
فذهب ثم رجع فقال له فيهم فلان وفلان
فعد سبعة رجال فقال له انظر من في
عسكري من الرجال المعروفين بالشجاعة
ومن غاب منهم فعدهم فوجدهم ثمانية
رجال لا يزيدون فقام الطاغية ضاحكا
مسرورا وهو يقول ما ابيضك من يوم ثم
ثارت الحرب بينهم فلم تزل المضاربة بين
الفريقين لم يول احدهم دبره ولا ترحح
عن مقامه حتى فني أكثر العسكرين

المستطرف [جزء 1 - صفحة 467]

ولم يفر واحد منهم قال فلما كان وقت
العصر نظروا إلينا ساعة ثم حملوا علينا
جملة وداخلوا مداخله ففرقوا بيننا وصرنا
شطرين وحالوا بيننا وبين أصحابنا فكان
ذلك سبب وهتنا وضعفنا ولم تقم الحرب

إلا ساعة ونحن في خسارة معهم فأشار
مقدم العسكر على السلطان أن ينجو
بنفسه وانكسر عسكر المسلمين وتفرق
جمعهم وملك العدو مدينة وشقة فليعتبر
ذو الحزم والبصيرة من جمع يحتوي على
أربعين ألف مقاتل ولم يحضره من
الشجعان المعدودين إلا خمسة عشر نفرا
وليعتبر بضمان العلاج بالظفر واستبشاره
بالغنيمة لما زاد في أبطاله رجل واحد
وحكى سيدي أبو بكر الطرطوشي رحمة
الله تعالى عليه قال سمعت استاذنا
القاضي أبا الوليد يحيى قال بينما
المنصور بن أبي عامر في بعض غزواته إذ
وقف على نشر من الأرض مرتفع فرأى
جيوش المسلمين من بين يديه ومن خلفه
وعن يمينه وعن شماله قد ملأوا السهل
والجبل فالتفت إلى مقدم العسكر وهو
رجل يعرف بابن المضجعي فقال له كيف
ترى هذا العسكر أيها الوزير قال أرى جمعا
كثيرا وجيشا واسعا كبيرا فقال له
المنصور ما ترى هل يكون في هذا الجيش
ألف مقاتل من أهل الشجاعة والنجدة
والبسالة فسكت ابن المضجعي قال له
المنصور ما سكوتك اليس في هذا الجيش
ألف مقاتل قال لا فتعجب المنصور ثم

قال فهل فيهم خمسمائة مقاتل من
الابطال المعدودين قال لا فحنق المنصور
ثم قال افيهم مائة رجل من الابطال قال
لا قال افيهم خمسون رجلا من الابطال
قال لا قال فسبه المنصور واغلظ عليه
وامر به فأخرج على اسوأ حال فلما
توسطوا بلاد الروم اجتمعت الروم وتضاف

المستطرف [جزء 1 - صفحة 468]

الجمعان فبرز علق من الروم بين الصفيين
شاكي السلاح وجعل يكر وبفر ويقول هل
من مبارز فبرز إليه رجل من المسلمين
فتجاولا ساعة فقتله العلق ففرح
المشركون وصاحوا واضطرب المسلمون
لها ثم جعل العلق يموج بين الصفيين
وينادي هل من مبارز اثنين لواحد فبرز
إليه رجل من المسلمين فتجاولا ساعة
فقتله العلق وجعل يكر ويحمل وينادي
ويقول هل من مبارز ثلاثة لواحد فبرز إليه
رجل من المسلمين فقتله العلق فصاح
المشركون وذل المسلمون وكادت ان
تكون كسرة فليل المنصور مالها إلا ابن
المضجعي فبعث إليه فحضر فقال له

المنصور إلا ترى ما صنع هذا العليج الكلب
منذ اليوم فقال لقد رأيته فما الذي تريد
قال ان تكفي المسلمين شره قال الآن
يكفي المسلمون شره إن شاء الله تعالى
ثم قصد إلى رجال يعرفهم فاستقبله رجل
من اهل الثغور على فرس قد تهرت
اوراكها هزالا وهو حامل قرية ماء بين يديه
على الفرس والرجل في حليته ونفسه
غير متصنع فقال له ابن المضجعي إلا ترى
ما يصنع هذا العليج منذ اليوم قال قد رأيته
فما الذي تريد قال اريد ان تكفي
المسلمين شره قال حبا وكرامة ثم إنه
وضع القرية بالارض وبرز إليه غير مكترث
به فتجاوزا ساعة فلم ير الناس إلا المسلم
خارجا إليهم يركض ولا يدرون ما هناك وإذا
برأس العليج يلعب بها في يده ثم القى
الرأس بين يدي المنصور فقال له ابن
المضجعي عن هؤلاء الرجال اخبرتك قال
فرد ابن المضجعي إلى منزلته واكرمه
ونصر الله جيوش المسلمين وعساكر
الموحدين

حكى أنه كان للعرب فارس يقال له ابن
فتحون وكان اشجع العرب والعجم في
زمانه وكان المستعين يكرمه ويعظمه
ويجري له في كل عطية خمسمائة دينار

وكانت جيوش الكفار تهابه وتعرف منه
الشجاعة وتخشى لقاءه فيحكى ان
الرومي كان إذا سقى فرسه ولم يشرب
يقول له ويلك لم لا تشرب هل رأيت ابن
فتحون في الماء

المستطرف [جزء 1 - صفحة 469]

فحسده نظراؤه على كثرة العطاء ومنزلته
من السلطان فوشوا به عند المستعين
فأبعده ومنعه من عطائه ثم ان المستعين
أنشأ غزوة إلى بلاد الروم فتقابل
المسلمو والمشركون صفوفا ثم برز عالج
إلى وسط الميدان ونادى وقال هل من
مبارز فبرز إليه فارس من المسلمين
فتجاولا ساعة فقتله الرومي فصاح
المشركون سرورا وانكسرت نفوس
المسلمين وجعل الكلب الرومي يجول بين
الصفين وينادي هل من اثنين لواحد فخرج
إليه فارس من المسلمين وجعل الكلب
يجول بين الصفين وينادي ويقول ثلاثة
لواحد فلم يجترئ أحد من المسلمين أن
يخرج إليه وبقي الناس في حيرة فقل
للسلطان ما لها إلا ابو الوليد ابن فتحون

فدعاه وتلطف به وقال له يا ابا الوليد اما ترى ما يصنع هذا العلي قال ها هو بعيني قال فما الحيلة فيه قال الساعة أكفي المسلمين شره فلبس قميص كتان واستوى على سرج فرسه بلا سلاح وأخذ بيده سوطا طويلا وفي طرفه عقدة معقودة ثم برز إليه فتعجب منه النصراني ثم حمل كل واحد منهما على صاحبه فلم تخط طعنة النصراني سرج ابن فتحون وإذا ابن فتحون وإذا ابن فتحون وإذا ابن فتحون متعلق برقبة الفرس ونزل إلى الارض لاشيء منه في السرج ثم انقلب في سرجه وحمل على العلي وضربه بالسوط فالتوى على عتقه فجذبه بيده من السرج فاقتلعه وجاء به يجره حتى القاه بين يدي المستعين فعلم المستعين أنه كان قد أخطأ في صنعه مع ابي الوليد بن فتحون فاعتذر إليه وأكرمه وأحسن إليه وبالع في الأنعام عليه ورده إلى أحسن احواله وكان من اعز الناس إليه وينبغي لقائد الجيش أن يخفى العلامة التي هو مشهور بها فإن عدوه قد يستعلم حيلته وألوان خيلة ورايته ولا يلزم خيمته ليلا ولا نهارا وليبدل زيه ويغير خيمته كي لا يلتمس عدوه غرة منه وإذا سكن الحرب

فلا يمشي في النفر اليسير من قومه
خارج عسكره فاه عيون عدوه متجسسة
عليه وبهذا الوجه كسر المسلمون جيوش
افريقية عند فتحها وذلك أن الحرب سكنت
وسط النهار فجعل مقدم العدو

المستطرف [جزء 1 - صفحة 470]

يمشي خارج عسكره يتميز عساكر
المسلمين فجاء الخبر إلى عبد الله ابن
ابي السرج وهو نائم في قبته فخرج فيمن
وثق به من رجاله وحمل على العدو فقتل
الملك وكان الفتح وبمثل هذا قهر ألب
ارسلان ملك الترك ملك الروم وقمعه
وقتل رجاله وأباد جمعه وكانت الروم قد
جمعت جيوشا يقل أن يجمع لغيرهم من
بعدهم مثلها وكان قد بلغ عددهم ستمائة
الف كتائب متواصلة وعساكر مترادفة
وكراديس يتلو بعضها بعضا لا يدركهم
الطرف ولا يحصيهم العدد وقد استعدوا
من الكراع والسلاح والمجانيق والآلات
المعدة للحروب وفتح الحصون بما لا
يحصى وكانوا قد قسموا بلاد المسمين
الشام والعراق ومصر وخراسان وديار بكر

ولم يشكوا أن الدولة قد دارت لهم وأن
نجوم السعود قد خدمتهم ثم استقبلوا بلاد
المسلمين فتواترت أخبارهم إلى بلاد
المسلمين واضطربت لها ممالك أهل
الإسلام فاحتشد للقائهم الملك ألب
أرسلان وهو الذي يسمى الملك العادل
وجمع مجموعة بمدينة أصفهان واستعد بما
قدر عليه ثم خرج يؤمهم فلم يزل
العسكران يتدانيان إلى أن عادت طلائع
المسلمين إلى المسلمين وقالوا لألب
أرسلان غدا يتراءى الجمعان فبات
المسلمون ليلة الجمعة والروم في عدد
لا يحصيهم إلا الله الذي خلقهم وما
المسلمون مم إلا أكلة جائع فبقي
المسلمون وجلين لما دهمهم فلما أصبحوا
صباح يوم الجمعة نظر بعضهم إلى بعض
فهاهنا المسلمين ما رأوا من كثرة العدو
فأمر ألب أرسلان أن يعد المسلمين فبلغوا
اثني عشر ألفا كانوا كالشامة البيضاء في
الثور الأسود فجمع ذوي الرأي من أهل
الحرب والتدبير والشفقة على المسلمين
والنظر في العواقب واستشارهم في
استخلاص أصوب الرأي فتشاوروا برهة ثم
اجتمع رأيهم على اللقاء فتوابع القوم
وتحالفوا وناصروا الإسلام وأهله وتأهبوا

أهبة اللقاء وقالو لألب أرسلان بسم الله
نحمل عليهم فقال الب أرسلان يا معشر
أهل الإسلام امهلوا فإن هذا يوم الجمعة
والمسلمون يخطبون

المستطرف [جزء 1 - صفحة 471]

المنابر ويدعون لنا في شرق البلاد وغربها
فإذا زالت الشمس وعلمنا أن المسلمين
قد صلوا ودعوا الله أن ينصر دينه حملنا
عليهم إذ ذاك وكان الب أرسلان قد عرف
خيمة ملك الروم وعلامته وزيه وزينته
وفرسه ثم قال لرجاله لا يتخلف أحد منكم
أن يفعل كفعلي ويتبع أثري ويضرب
بسيفه ويرمى سهمه حيث أضرب بسيفي
وارمي بسهمي ثم حمل برجاله حملة رجل
واحد إلى خيمة ملك الروم فقتلوا من كان
دونها ووصلوا إلى الملك فقتلوا من كان
دونه وجعلوا ينادون بلسان الروم قتل
الملك قتل الملك فسمعت الروم أن
ملكهم قد قتل فتبددوا وتمزقوا كل بمزق
وعمل السيف فيهم أياما وأخذ المسلمون
أموالهم وغنائمهم وأتوا بالملك أسيرا بين
يدي الب أرسلان والحبلى في عنقه فقال

له الب أرسلان ماذا كنت تصنع بي لو
اسررتني قال وهل تشك أنني كنت اقتلك
فقال له الب أرسلان انت اقل في عيني من
ان اقتلك اذهبوا به فبيعوه لمن يزيد فيه
فكان يقاد والحبيل في عنقه وينادي عليه
من يشتري ملك الروم وما زالوا كذلك
يطوفون به على الخيام ومنازل
المسلمين وينادون عليه بالدراهم
والفلوس فلم يدفع فيه أحد شيئاً حتى
باعوه من إنسان بكلب فأخذه الذي ينادي
عليه وأخذ الكلب وأتى بهما إلى الب
أرسلان وقال قد طفت به جميع العسكر
وناديت عليه فلم يبذل أحد فيه شيئاً سوى
رجل واحد دفع فيه هذا الكلب فقال قد
انصفك إن الكلب خير منه ثم امر الب
أرسلان بعد ذلك باطلاقه وذهب إلى
القسطنطينية فعزلته الروم وكحلوه بالنار
فانظر ماذا يأتي على الملوك إذا عرفوا
في الحرب من الحيلة والمكيدة اللهم
انصر جيوش المسلمين وعساكر
الموحدين وأهلك الكفرة والمشركين
وانصر المسلمين نصراً عزيزاً برحمتك يا
أرحم الراحمين وصلى الله على سيدنا
محمد وعلى آله وصحبه وسلم والحمد لله
رب العالمين

المستطرف [جزء 1 - صفحة 472]

**الباب الحادي والأربعون في ذكر أسماء
الشجعان وذكر الأبطال وطبقاتهم
وأخبارهم وذكر الجبناء وأخبارهم وذم
الجبن**

**الطبقة الاولى الذين أدركوا الجاهلية
والإسلام**

**حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه عم
رسول الله أسد الله وأسد رسوله قتل في
غزاة أحد رماه وحشي مولى جبير بن
مطعم بحربه فقتله وكان فارس قريش
غير مدافع وبطلها غير ممانع وعظم قتله
على النبي ونذر أن يقتل به سبعين رجلا
من قريش وكبر عليه في الصلاة سبعين
تكبيرة**

**أمير المؤمنين علي بن طالب رضي الله
عنه وكرم وجهه آية من آيات الله ومعجزة
من معجزات رسول الله ومؤيد بالتأييد
الإلهي كاشف الكروب ومجليها ومثبت
قواعد الإسلام ومرسيها وهو المتقدم
على ذوي الشجاعة كلهم بلا مرية ولا
خلاف روي عنه رضي الله عنه أنه قال**

والذي نفس ابن أبي طالب بيده لألف
ضربة بالسيف أهون علي من موته على
فراش وقال بعض العرب ما لقينا كتيبه
فيها علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلا
أوصى بعضنا على بعض وقال رضي الله
عنه لمعاوية قد دعوت الناس إلى الحرب
فدع الناس جانباً واخرج إلي ليعلم أين
المران على قلبه والمغطى على بصره
وأنا أبو الحسن قاتل جدك وخالك وأخيك
شدخا يوم بدر وذلك السيف معي وبذلك
القلب ألقى عدوي وقيل له كرم الله
وجهه إذا جالت

المستطرف [جزء 1 - صفحة 473]

الخيـل فأين نطلبك قال حيث تركتموني
وقيل له كيف تقتل الأبطال قال لأنني
كنت القـي الرجل فأقدر أني أقتله ويقدر
هو اني قتله فأكون أنا ونفـسه عوناً عليه
وقال مصعب بن الزبير كان علي رضي
الله عنه حذراً في الحروب شديد الروغان
لا يكاد أحد يتمكن منه وكانت درعه صدراً لا
ظهر لها فـقيل له أما تخاف أن تؤتي من
قبل ظهرك فقال إذا مكنت عدوي من

ظهري فلا أبقي الله عليه إن ابقي علي
قتله عبد الرحمن بن ملجم المرادي لعنه
الله تعالى عليه غدره وهو في صلاة الصبح
وسبب ذلك أن عبدالرحمن بن ملجم لعنه
الله تزوج بقطام بن علقمة وكانت خارجية
فقال له لا أقنع إلا بصدّاق أسميه وهو
ثلاث آلاف درهم وعبد وأمة وأن تقتل علي
بن أبي طالب فقال لها لك ما سألت إلا
علي بن أبي طالب وكيف لي به قالت
تغتاله فإن سلمت أرحت الناس من شره
وأقمت مع أهلك وإن أصبت دخلت الجنة
فقال

ثلاثة آلاف وعبد وقينة ... وضرب علي
(بالحسام المخدم
فلا مهر أغلى من علي وإن علا ... ولا)
فتك إلا دون فتك ابن ملجم
قيل أنه طعنه وهو داخل المسجد في
الغلس وذلك في تاسع عشر رمضان
المعظم سنة أربعين كفن رضي الله عنه
في ثلاثة أثواب ودفن في الرحبة مما يلي
باب كندة من أبواب المسجد قالوا ولما
ضربه ابن ملجم لعنه الله ثار الحسن
والحسين وعبدالله بن جعفر رضي الله
عنهم فاحتضنوه وقام المغيرة بن نوفل
بن الحرث بن عبد المطلب فاخذه فأوماً

علي رضي الله عنه إلى المغيرة أن صل
بالناس فصلى بهم الفجر وأقبلت همدان
فدخلوا على علي فقالوا يا أمير المؤمنين
لا تقوم لهم قائمة إن شاء الله تعالى
فقال لا تفعلوا إنما النفس بالنفس قال
ثم إن الحسن رضي الله عنه صلى الفجر
وصعد المنبر فأراد الكلام فخنقته العبرة
ثم نطق فقال الحمد لله على ما أحببنا
وكرهنا وأشهد

المستطرف [جزء 1 - صفحة 474]

أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد
أن محمدا عبده ورسوله وأني احتسب عند
الله عز وجل مصابي بأفضل الآباء رسول
الله القائل من أصيب بمصيبة فليتسل
بمصيبته في فإنها أعظم المصائب والله
الذي لا إله إلا هو الذي أنزل على عبده
الفرقان لقد قبض في هذه الليلة رجل ما
سبقه الأولون بعد رسول الله ولا يدركه
الآخرون فعند الله نحتسب ما دخل علينا
وعلى جميع أمة محمد فوالله لا أقول
اليوم إلا حقا لقد دخلت مصيبة اليوم على
جميع العباد والبلاد والشجر والدواب ولقد

قبض في الليلة التي رفع فيها عيسى بن
مريم عليهما السلام إلى السماء وقبض
فيها موسى بن عمران ويوشع بن نون
عليهما السلام وأنزل فيها القرآن على
محمد ولقد كان رسول الله يبعثه في
السرية ويسير جبريل عن يمينه وميكائيل
عن يساره فما يرجع حتى يفتح الله عز
وجل على يديه وما ترك صفراء ولا بيضاء
إلا سبعمائة درهم أراد أن يبتاع بها خادما
لأهله إلا أن أمور الله تعالى تجري على
أحوالها فما أحسنها من الله وأسوؤها من
أنفسكم إلا أن قريشا أعطت أزمته
شياطينها فقادت بها بأعنتها إلى النار
فمنهم من قاتل رسول الله حتى أظهره
الله تعالى عليه ومنهم من أسر الضغينة
حتى وجد عن النفاق أعوانا رفع الكتاب
وجف القلم وأمور تقضي في كتاب قد خلا
ثم أطرق الحسن فبكى الناس بكاء شديدا
ثم نزل فجرد سيفه ودعا بابن ملجم
فأقبل يخطر واضعا شعره على أذنيه حتى
قام بين يديه فقال يا حسن إني ما عاهدت
الله تعالى على عهد قط إلا وفيت به
عاهدت الله تعالى على أن أقتل أباك وقد
قتلته فإن تخلني أقتل معاوية فإن أنا
قتلته أضع يدي على يدك وإن أقتل فهو

الذي تريد فقال الحسن رضي الله عنه أما
والله لا سبيل إلى بقائك ثم قام إليه
فضربه بالسيف فاتقاه ابن ملجم بيد ثم
أسرع بالسيف فيه فقتله
ومن الأبطال خالد بن الوليد بن المغيرة
المخدومي رضي الله عنه سيف الله
وسيف رسوله بطل مذكور وفارس
مشهور في الجاهلية

المستطرف [جزء 1 - صفحة 475]

والإسلام قتل مالك بن نويرة وقتل
مسيلمة الكذاب لعنه الله وكان الفتح لخالد
يوم اليمامة وهو الذي فتح دمشق وأكثر
بلاد الشام وله وقائع عظيمة في الروم أيد
الله بها الإسلام مات على فراشه وكان
يقول لقد شهدت كذا وكذا أرحفا وما في
جسدي موضع شبر إلا وفيه أثر طعنة أو
ضربة أو رمية وها أنا أموت على فراشي لا
نامت عين الجبان وكان ينشد ويرتجز
ويقول
لا ترعبونا بالسيوف المبرقة ... إن
(السهام بالردى مفرقة
والحرب دونها العقال مطلقة ... وخالد)

رضي الله عنه (من دينه على ثقة
الزبير بن العوام رضي الله عنه حوار
رسول الله وابن عمته بطل شجاع لا
يماري وشهم لا يحاول قتله عمرو بن
جرموز اغتاله وهو في الصلاة
عمرو بن معد يكرب الزبيدي فارس من
فرسان الجاهلية وله مواقف مذكورة
ومواطن مشهورة وأسلم ثم ارتد ثم عاد
إلى الإسلام وشهد حروب الفرس وكان له
فيها أفعال عظيمة وأحوال جسيمة وكان
أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله
عنه إذا رآه قال الحمد لله الذي خلقنا
وخلق عمرا روي عنه رضي الله عنه أنه
سأله يوما فقال له يا عمرو أي السلاح
أفضل في الحرب قال فعن أيها تسأل
قال ما تقول في السهام قال منها ما
يخطيء ويصيب قال فما تقول في الرمح
قال أخوك وربما خاك قال فما تقول في
الترس قال هو الدائر وعليه تدور الدوائر
قال فما تقول في السيف قال ذلك العدة
عند الشدة وقيل إنه نزل يوم القادسية
على النهر فقال لأصحابه إنني عابر على
هذا الجسر قال فأن اسرعتم مقدار جزرا
لجزور وجدتموني وسيفي بيدي أقاتل به
تلقاء وجهي وقد عرفني القوم أنا قائم

بينهم وإن بطأتم وجدتموني قتيلا بينهم
ثم انغمس

المستطرف [جزء 1 - صفحة 476]

فحمل على القوم فقال بعضهم لبعض يا
بني زبيد علام تدعون صاحبكم والله ما
نظن أنكم تدركونه حيا فحلوه فانتبهوا
إليه وقد صرع عن فرسه وقد أخذ برجل
فرس رجل من العجم فأمسكها والفارس
يضرب فرسه فلم تقدر أن تتحرك فلما
رأنا أدركناه رمى الرجل نفسه وخلي
فرسه فركبه عمرو وقال أنا أبو ثور كدتم
والله تفقدونني فقالوا أين فرسك فقال
رمى بنشابة فغار وشب فصرعني ويروي
أنه حمل يوم القادسية على رستم وهو
الذي كان قدمه يزدجرد ملك الفرس يوم
القادسية على قتال المسلمين فاستقبله
عمرو وكان رستم على فيل فضرب عمرو
الفيل فقطع عرقوبه فسقط رستم
وسقط الفيل عليه مع خرج كان فيه
أربعون ألف دينار فقتل رستم وانهمزمت
العجم وقتل عمرو بنهاوند في وقعة
الفرس بعد أن عمر حتى ضعف وكان من

**الشعراء المعدودين وفيه يقول العباس بن
مرداس**

**إذا مات عمرو قلت للخليل او طئي ...)
(زبيدا فقد اودى بنجدتها عمرو
ومنهم طلحة الأسدي رضي الله عنه كان
من أكبر الشجعان جاهلية وإسلاما ثم ارتد
وتنبا وجمع جمعا عظيما قفل خالد بن
الوليد جمعه وكان يتكهن ثم عاد إلى
الإسلام وشهد حرب القادسية وغيرها من
الفتوح والمقداد بن الاسود رضي الله عنه
كان من اشجع الفرسان شديد البأس قوي
الجنان رابط الجأش وله في الشجعان
اسم مشهور ووصف مذكور يعجز الواصف
عن وصف صفاته رضي الله عنه وأرضاه
وسعد بن أبي وقاص الزهري الأنصاري
رضي الله عنه كان فارسا بطلا راميا وهو
اول من رمى في سبيل الله بسهم ولما
قتل عثمان ابن عفان رضي الله عنه
اعتزل ولم يشهد الحرب بعده ومات حتف
انفه أبو دجانة الانصاري رضي الله عنه
الذي خرج يتبخر بين الصفيين**

فقال عليه الصلاة والسلام إنها لمشية
يبغضها الله تعالى إلا في هذا الموضع
والمثنى بن حارثة الشيباني رضي الله عنه
هو أول من فتح حرب الفرس وأبو عبيد بن
مسعود الثقفي رضي الله عنه قاتل القوم
يوم قس الناطف في حرب القادسية
وعمار بن ياسر رضي الله عنه صاحب
رسول الله الذي قال فيه رسول الله الحق
يدور مع عمار حيث دار وأخبر أنه تقتله
الفئة الباغية فقتل بصفين مع علي رضي
الله عنه هاشم بن عتبة رضي الله عنه من
أكابر الشجعان صاحب راية علي رضي الله
عنه مات مسموما في شربه من عسل
فقال معاوية إن لله جنودا منها العسل
القمقاع بن عمرو طاعن الفيل في عشية
القادسية رضي الله عنه
الطبقة الثانية

عبد الله بن الزبير بن العوام رضي الله
عنه قاتل جرجير ملك افريقية الذي كان
يرى أنه أشجع أهل عصره قال عمر بن عبد
العزيز لابن أبي مليكة صف لي عبد الله بن
الزبير فقال والله ما رأيت جلدا قط ركب
على لحم ولا لحما على عصب ولا عصبا
على عظم مثل جلده ولحمه وعصبه ولا
رأيت نفسا بين جنين مثل نفس ركبت

بين جنبه ولقد قام يوما إلى الصلاة فمر
حجر من حجارة المنجنيق بين لحيه
وصدره فوالله ما خشع له بصره وقطع له
قراءته ولا ركع دون الركوع كان يركع قتله
الحجاج بعد أن حوضر بمكة وأسلمه
أصحابه وعشيرته وصلبه الحجاج إلا إلى
الله تصير الامور
ابو هاشم محمد بن علي بن ابي طالب بن
الحنفية رضي الله عنه كان أبوه يلقيه في
الوقائع ويتقي به العظام وهو شديد
البأس ثابت الجنان قيل له يوما ما بال
أمير المؤمنين علي كرم الله وجهك علي
كرم الله وجهك يقحمك الحروب دون
الحسن والحسين رضي الله عنهما فقال
لأنهما كانا عينة

المستطرف [جزء 1 - صفحة 476]

حذف

المستطرف [جزء 1 - صفحة 478]

وكننت أنا يديه فكان يتقي عينيه بيديه
وقيل إن أباه عليا رضي الله عنه اشترى
درعا فاستطالها فأراد أن يقطع منها
فقال له محمد يا أبت علم موضع القطع
فعلم على موضع منها فقبض محمد بيده
اليمنى على ذيلها وبالأخرى على موضع
العلامة ثم جذبها فقطعها من الموضع
الذي حده أبوه وكان عبد الله بن الزبير مع
تقدمه في الشجاعة يحسده على قوته
وإذا حدث بهذا الحديث غضب مات حتف
أنفه بشعب رضوى عبد الله بن حازم
السلمي رضي الله عنه وإلي خراسان
شجيع مضر وفارسها في عصره قتله
وكيع بن أبي سويد بخراسان في الفتنة
وكيع بن أبي سويد قاتل عبد الله بن حازم
المتقدم ذكره شجاع فاتك أهوج ولي
خراسان قيل لما قتل عبد الله بن حازم
ولم يتم أمره لهوجه مات حتف أنفه
مصعب بن الزبير بن العوام شجاع بطل
جواد جاد بماله وبنفسه قتله عبيد الله بن
زياد في الحروب التي كانت بينه وبين
عبد الملك بن مروان عمير بن الحباب
السلمي فارس الإسلام قتله بنو تغلب في
الحرب التي كانت بينهم وبين قيس
مسلمة بن عبد الملك ابن مروان فحل بني

أمية وفارسها ووالي حروبها قيل أنه
جلس يوما ليقضي بين الناس بمصر
فكلمته امرأة فلم يقبل عليها فقالت ما
رأيت أقل حياء من هذا قط فكشف عن
ساقه فإذا فيها اثر تسع طعنات فقال لها
هل ترين أثر هذا الطعن والله لو أخرت
رجلي قيد شبر ما أصابتني واحدة منهن
وما منعني من تأخيرها إلا الحياء وأنت
تنحليني قلته المعتصم بطل شجاع فارس
صنديد لم يكن في بني العباس أشجع منه
ولا أشد قلبا قال ابن أبي داود كان
المعتصم يقول لي يا أبا عبد الله عض على
ساعدي بأكثر قوتك فأقول والله يا أمير
المؤمنين ما تطيب نفسي بذلك فيقول
أنه لا يضرني فأروم ذلك فإذا هو لا تعمل
فيه الاسنة فكيف تعمل فيه الأسنان
ويقال أنه طعنه بعض الخوارج وعليه درع
فأقام المعتصم ظهره فقسم الرمح
نصفين

المستطرف [جزء 1 - صفحة 479]

وكان يشد يده على كتابة الدينار فيمحوها
ويأخذ عمود الحديد فيلويه حتى يصير

طوقا في العنق
إبراهيم بن الاشر النخعي كان من
الشجعان المعدودين حارب عبيد الله بن
زياد وهو في أربعة آلاف وعبيد الله في
سبعين الفا فظهر به وقتله بيده وهزم
جيشه عبد الله بن الحر الجعفي شجاع
شاعر فاتك له وقائع عظيمة هائلة وأخباره
في الشجاعة مشهورة جحدر بن ربيعة
العكلي كان بطلا شجاعا فاتكا مغيرا
شاعرا قهر أهل اليمامة وأبادهم فبلغ ذلك
الحجاج بن يوسف فكتب إلى عامله يوبخه
بتغلب جحدر عليه ويأمر بالتجرد له حتى
يقتله أو يحمله إليه أسيرا فوجه العامل
إليه فتية من بني حنظلة وجعل لهم جعلا
عظيما إن هم قتلوا جحدرا أو اتوا به أسيرا
فتوجه الفتية في طلبه حتى إذا كانوا
قريبا منه أرسلوا يقولون له أنهم يريدون
الإنقطاع إليه والأرتفاق به فوثق بذلك
منهم وسكن إلى قولهم فبينما هو معهم
يوما إذ وثبوا عليه فشده ووثاقا وقدموا به
على العامل فوجه به إلى الحجاج معهم
فلما قدموا به عليه ومثل بين يديه قال له
أنت جحدر قال نعم أصلح الله الأمير قال
ما جرأك على ما بلغني عنك قال أصلح الله
الامير كلب الزمان وجفوة السلطان

وجرأة الجنان قال وما بلغ من أمرك قال
لو ابتلاني الأمير وجعلني مع الفرسان
لرأي مني يعجبه قال فتعجب الحجاج من
ثبات عقله ومنطقه ثم قال يا جحدر إني
قاذف بك في حاجر فيه أسد عظيم فإن
قتلك كفانا مؤنتك وإن قتلتك عفونا عنك
قال اصلح الله الأمير قرب الفرج إن شاء
الله تعالى فأمر به فصعدوه بالحديد ثم
كتب إلى عامله أن يرتاد له أسدا ويحمله
إليه فتحيل العامل وارتاد له اسدا كان
كاسرا خبيثا قد افنى عامة المواشي
فتحيلوا حتى أخذوه وصيروه في تابوت
وسحبوه على عجل فلما قدموا به على
الحجاج أمر به فألقى في الحاجر ولم
يطعم شيئا ثلاثة أيام حتى جاع واستكلب
ثم أمر بجحدر أن ينزلوه إليه فأعطوه
سيفا

المستطرف [جزء 1 - صفحة 480]

وأنزلوه إليه مقيدا وأشرف الحجاج
والناس حوله ينظرون إلى الاسد ما هو
صانع بجحدر فلما نظر الاسد إلى جحدر
نهض ووثب وتمطى وزعق زعقة دويت

منها الجبال وارتاعت أهل الأرض فشد
عليه جحدر وهو ينشد ويقول
ليث وليث في مجال ضنك ... كلاهما ذو
(قوة وسفك)

وصولة وبطشة وفتك ... إن يكشف الله
(قناع الشك)

(فأنت لي في قبضتي وملكي)

ثم دنا منه وضربه بسيفه ففلق هامته
فكبر الناس وأعجب الحجاج ذلك وقال لله
درك ما أنجبك ثم أمر به فأخرج من الحاجز
وفك عنه قيوده وقال له اختر إما أن تقيم
معنا فنكرمك ونقرب من منزلتك وإما أن
نأذن لك فتلحق ببلادك وأهلك على أن
تضمن لنا أن لا تحدث بها حديا ولا تؤذي بها
أحدا قال بل اختار صحبتك أيها الأمير
فجعله من سماره وخواصه ثم لم يلبث أن
ولاه على اليمامة وكان من أمره ما كان
المهلب بن أبي صفرة كان من الشجعان
ومن الأبطال المعدودة وأولاده كلهم أنجاد
أبطال إلا أن المغيرة من بينهم كان أشد
تمكنا وكان المهلب يقول ما شهد معي
المغيرة حربا إلا رأيت البشرى في وجهه
وحمل عليه بعض الشجعان وفي يديه
شجرة فلما رآها نكس رأسه على قربوس
السرّج وحمل من تحتها فبراها بسيفه

وكان المهلب يقول اشجع الناس ثلاثة ابن
الكلية وأحمر قریش وراكب البغلة فابن
الكلية مصعب بن الزبير وأحمر قریش
عمر بن عبید الله بن معمر ما لقي خيلا
قط إلا فرقها وراكب البغلة عباد بن
الحصين ما كان قط في كربة إلا فرجها
وهو من الإسلام وكان للمهلب في
الحروب مكاييد مشهورة ووقائعه أبادت
الخوارج بعد ان كانوا قد استولوا على
المسلمين وكان سيذا كريما مات حتف
أنفه وكذلك ابنه المغيرة وفيه يقول زياد
الاعجم

المستطرف [جزء 1 - صفحة 481]

مات المغيرة بعد طول تعرض ... للقتل
(بين اسنة وصفائح
وكان في الخوارج فوارس مشهورة لا
تثبت لهم الرجال وذكرهم يطول ويخرج
عما أردناه فمنهم أبو بلال مرداس خرج
في اربعين فهزم ألفين وشبيب الخارجي
الذي غرق في الفرات نذرت امرأته غزاة
أن تصلي في جامع الكوفة ركعتين تقرأ
في الأولى البقرة وفي الثانية آل عمران

فعبّر بها جسر الفرات وأدخلها الجامع
ووقف على بابه يحميها حتى وفّت بنذرها
والحجاج في الكوفة في خمسين ألفا
ومنهم قطري بن الفجاءة كان رأس
الخوارج وخاطبوه بأمر المؤمنين
وعظموه وبجلوه وأشعاره في الشجاعة
تدل على مكانه منها قتل في بعض وقائع
الخوارج

الطبقة الثالثة

معن بن زائدة الشيباني قتله الخوارج
بسجستان في أيام المهدي الوليد بن
طريف الشيباني قتله يزيد بن مزيد عمرو
بن حنيف كان من الفرسان المعدودة نقل
عنه أنه كان يتصيد فتتبع حمار وحش وما
زال يركض إلى أن حاذاه فجمع رجليه
ووثب من على فرسه وصار على ظهر
حمار الوحش وصار يحز عنقه بسيف أو
سكين في يده حتى قتله أبو دلف القاسم
بن عيسى العجلي فارس بطل شاعر نديم
جامع لما تفرق في غيره طعن فارسيين
رديفين فأنفذ الرمح من ظهريهما وحمل
برمحه أربعة نفر وفيه يقول بكر بن
النطاح

قالوا وينظم فارسيين بطعنه ... يوم)
(اللقاء ولا يراه جليلا)

لا تعجبوا لو كان مد قناته ... ميلا إذا نظم)
(الفوراس ميلا
وسأله يوما رجل شيئا فقال له اتسأل
وجدك القائل

المستطرف [جزء 1 - صفحة 482]

ومن يفتقر منا يعيش بحسامه ... ومن)
(يفتقر من سائر الناس يسأل
وإنا لنلهو بالسيوف كما لهت ... فتاة)
(بعقد أو سحاب قرنفل
فخرج الرجل فجرد سيفه فلم يصادفه في
طريقه إلا وكيل لأبي دلف ومعه مال
جزيل فاستلبه منه وقتله فبلغ الخبر أبا
دلف فقال دعوه فإني علمته على نفسي
بكر بن النطاح بطل شجاع فارس فاتك له
اشعار مشهورة واخبار مذكورة
ومما جاء في مدح السيف
قال رسول الله الخير في السيف والخير
مع السيف والخير بالسيف وكان صمصام
عمرو أشهر سيوف العرب وممن تمثل به
نهشل فقال
أخ ماجد ما خانني يوم مشهد ... كما سيف)
(عمرو لم تخنه مضاربة

ولما وهبه عمرو لخالد بن سعيد بن العاص
عامل رسول الله على اليمن قال
خليلي لم أخنه ولم يخني ... إذا ما صاب
(أوساط العظام
خليلي لمأهبه من قلاه ... ولكن المواهب
للكرام
حبوت به كريما من قریش ... فسر به
(وصين عن اللثام
وودعت الصفي صفي نفسي ... على
(الصمصام أضعاف السلام
ولم يزل في آل سعيد حتى اشتراه خالد
بن عبد الله القسري بمال جزيل لهشام
وكان قد كتب إليه فيه فلم يزل عند بني
مروان ثم طلبه السفاح والمنصور
والمهدي فلم يجدوه فجد الهادي في طلبه
حتى ظفر به وكان مكتوبا عليه هذا البيت
ذكر على ذكر يصول بصارم ... ذكر يمان
(في يمين يماني
وقال ابن الرومي
لم أر شيئا حاضرا نفعه ... للمرء كالدهرم
(والسيف

يقضي له الدرهم حاجاته ... والسيف)
(يحميه من الحيف

وقال زيد بن علي رضي الله عنهما
السيف يعرف عزمي عند هزته ... والرمح)
(بن خبر والله لي وزر
إنا لنأمل ما كانت أوائلنا ... من قبل تأمله)
(إن ساعد القدر

وقال عبدالله بن طاهر
يبيت ضجيعي السيف طورا وتارة ...)
(يعض بهامات الرجال مضاربة
أخو ثقة أرضاه في الروع صاحباً ... وفوق)
(رضاه إنني أنا صاحبه
وليس أخو العلياء إلا فتى له ... بها كلف)
(ما تستقر ركائبه

وقدم عروة بن الزبير على عبد الملك بن
مروان بعد قتل أخيه عبد الله فطلب منه
سيف الزبير وقال له رده علي فإنه
السيف الذي أعطاه رسول الله له يوم
حنين فقال له عبد الملك أو تعرفه قال
نعم قال بماذا قال أعرفه بما لا تعرف به
سيف أبيك أعرفه بقول الشاعر
ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم ... بهن)
(فلول من قراع الكتائب

وقال الاجدع الهمداني
لقد علمت نسوان همدان أنني ... لهن)

(غداة الروع غير خذول
وأبذل في الهجاء وجهي وإنني ... له في)
(سوى الهيجاء غير بذول
وقال آخر
عشرون ألف فتى ما منهم أحد ... إلا)
(كالف فتى مقدامة بطل
راحت مزأودهم مملوءة أملا ... ففرغوها)
(وأوكوها من الاجل

المستطرف [جزء 1 - صفحة 484]

ومن أخبار الشجعان ما حكاه الفضل بن
يزيد
قال نزل علينا بنو ثعلب في بعض السنين
وكنت مشغوفا بأخبار العرب أن اسمعها
وأجمعها فبينما أنا أدور في بعض أحيائهم
إذا أنا بامرأة واقفة في فناء خبائها وهي
أخذه بيد غلام قلما رأيت مثله في حسنه
وجماله له ذؤابتان كالسبح المنظوم وهي
تعاتبه بلسان رطب وكلام عذب تحن إليه
الاسماع وترتاح له القلوب وأكثر ما أسمع
منها أي بني وهو يبتسم في وجهها قد
غلب عليه الحياء والخجل كأنه جارية بكر لا
يرد جوابا فاستحسننت ما رأيت واستحللت

ما سمعت فدنوت منه وسلمت فرد علي
السلام فوقفت انظر إليها فقالت يا
حضري ما حاجتك فقلت الإستكثار مما
اسمع والإستمتاع بما أرى من هذا الغلام
فقالت يا حضري إن شئت سقت اليك من
خبره ما هو أحسن من منظره فقلت قد
شئت يرحمك الله فقالت حملته والرزق
عسر والعيش نكد حملا خفيفا حتى مضت
له تسعة أشهر وشاء الله عز وجل أن اضعه
فوضعته خلقا سويا فورك ما هو إلا أن
صار ثالث أبويه حتى أفضل الله عز وجل
وأعطى وأتى من الرزق بما كفى وأغنى
ثم أرضعته حولين كاملين فلما استتم
الرضاع نقلته من خرقة المهد إلى فراش
أبيه فربي كأنه شبل أسد أقيه برد الشتاء
وحر الهجير حاتى اذا مضت له خمس
سنين أسلمته إلى المؤدب فحفظه القرآن
فتلاه وعلمه الشعر فرواه ورغب في
مفاخر قومه وأبائه وأجداده فلما أن بلغ
الحلم واشتد عظمه وكمل خلقه حملته
على عتاق الخيل فتفرس وتمرس ولبس
السلاح ومشى بين بويات الحي الخيلاء
فأخذ في قرى الضيف وإطعام الطعام
وأنا عليه وجلة أشفق عليه من العيون أن
تصيبه فاتفق أن نزلنا بمنهل من المناهل

بين أحياء العرب فخرج فتیان الحي في
طلب ثأر لهم وشاء الله تعالى أن أصابته
وعكة

المستطرف [جزء 1 - صفحة 485]

شغلته عن الخروج حتى إذا أمعن القوم
ولم يبق في الحي غيره ونحن أمنون
وادعون ما هو إلا أن ادبر الليل وأسفر
الصباح حتى طلعت علينا غرر الجياد
وطلائع العدو فما هو إلا هنيهة حتى
أحرزوا الاموال دون أهلها وهو يسألني
عن الصوت وأنا استر عنه الخبر إشفافاً
عليه وضنا به حتى إذا علت الاصوات
وبرزت المخدرات رمى دثاره وثار كما يثور
الأسد وأمر بأسراج فرسه ولبس لأمة
حربه وأخذ رمحه بيده ولحق حماة القوم
فقطع أذنهم منه فرمى به ولحق أبعدهم
منه فقتله فانصرف وجوه الفرسان
فرأوه صبياً صغيراً لا مدد وراءه فحملوا
عليه فأقبل يؤم البيوت ونحن ندعو الله
عز وجل له بالسلامة حتى إذا مدهم وراءه
وامتدوا في أثره عطف عليهم ففرق
شملهم وشئت جمعهم وقلل كثرتهم

ومزقهم كل ممزق ومزق كما يمزق
السهم وناداهم خلوا عن المال فوالله لا
رجعت إلا به أو لأهلكن دونه فانصرفت إليه
الاقران وتمايلت نحوه الفرسان وتميزت
له الفتیان وحملوا عليه وقد رفعوا إليه
الاسنة وعطفوا عليه بالأعنة فوثب عليهم
وهو يهدر كما يهدر الفحل من وراء الأبل
وجعل لا يحمل على ناحية إلا حطمها ولا
كتيبة إلا مزقها حتى لم يبق من القوم إلا
من نجا به فرسه ثم ساق المال وأقبل به
فكبر القوم عند رؤيته وفرح الناس
بسلامته فوالله ما رأينا قط يوما كان
اسمح صباحا وأحسن رواحا من ذلك اليوم
ولقد سمعته يقول في وجوه فتیان الحي
هذه الابيات

تأملن فعلي هل رأيتن مثله ... إذا
(حشرجت نفس الجبان من الكرب
وضاقت عليه الأرض حتى كأنه ... من)
(الخوف مسلوب العزيمة والقلب
ألم اعط كلا حقه ونصيبه ... من)
(السمهري اللدن والمرهف العضب
أنا ابن أبي هند بن قيس بن مالك ...)
(سليل المعالي والمكارم والسيب
أبي لي أن اعطي الظلامة مرهف ...)
(وطرف قوي الظهر والجوف والجنب)

المستطرف [جزء 1 - صفحة 486]

- (وعزم صحيح لو ضربت بحده الجبال ...)
(الرواسي لانهططن إلى الترب
وعرض نقي اتقى أن أعيبه ... بيت)
(شريف في ذرى ثعلب الغلب
فإن لم أقاتل دونكن واحتمي لكن)
(وأحميكن بالطعن والضرب
فلا صدق اللاتي مشين إلى أبي ... يهنيه)
(بالفارس البطل الندب
وقال الشاعر
أراؤهم ووجوههم وسيوفهم ... في)
(الحادثات إذا دجون نجوم
منها معالم للهدى ومصابح ... تجلو الدجى)
(والأخريات رجوم
وقال آخر
فوارس قوالون للخيّل اقدمي وليس على)
(غير الرءوس مجال
بأيديهم سمر العوالي كأنما ... تشيب)
(على أطرافهن ذبال
وقال آخر
قوم إذا اقتحموا العجاج رأيتهم ... شمساً)
(وقلت وجوههم أقماراً)

لا يعدلون برفدهم عن سائل ... عدل)
(الزمان عليهم أو جارا
وإذا الصريخ دعاهم لملمة ... بذلوا)
(النفوس وفارقوا الأعمارا
ذكر الجبن والجبناء وأخبارهم وما جاء
عنهم

قد استعاذ سيدنا رسول الله من الجبن
فقال اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن
وأعوذ بك من العجز والكسل وأعوذ بك من
الجبن والبخل وأعوذ بك من غلبة الدين
وقهر الرجال نعوذ بالله مما استعاذ منه
سيد الخلق رسول الله ويكفيك أن يقال
في وصف الجبان إن أحس بعصفور طار
فؤاده وإن طنت بعوضة طال سهاده يفرغ

المستطرف [جزء 1 - صفحة 487]

من صرير الباب ويقلق من طنين الذباب
إن نظر إليه شذرا أغمي عليه شهرا
يحسب خفوق الرياح قعقة الرماح قال
الشاعر
إذا صوت العصفور طار فؤاده ... وليث)
(حديد الناب عند الثرائد
وكان حسان بن ثابت رضي الله عنه من

الجبنة روي عن ابن الزبير أنه قال كان
حسان في قاع أطم مع النساء يوم الخندق
فأتاهم في ذلك اليوم يهودي يطوف
بالحصن فقالت صفية بنت عبد المطلب
رضي الله عنها يا حسان إن هذا اليهودي
كما ترى يطوف بالحصن وإني والله ما
أمنه أن يدل على عوراتنا من وراءه من
اليهود فأنزل إليه فاقتله فقال يغفر الله
لك يا بنت عبد المطلب لقد عرفت ما أنا
بصاحب هذا قال فاعتجرت صفية ثم أخذت
عمودا ونزلت من الحصن فضربت بالعمود
حتى قتله ورجعت إلى الحصن فقالت يا
حسان قم إليه فاسلبه فإنه ما منعي من
سلبه إلا أنه رجل فقال مالي بسلبه من
حاجة

وقيل كان لفتى من قريش جارية مليحة
الوجه حسنة الادب وكان يحبها حبا شديدا
فأصابته إضاقه وفاقه فاحتاج إلى ثمنها
فحملها إلى العراق وكان ذلك في زمن
الحجاج بن يوسف فابتاعها منه الحجاج
فوقعت منه بمنزلة فقدم عليه فتى من
ثقيف من أقاربه فأنزله قريبا منه وأحسن
إليه فدخل على الحجاج والجارية تكبسه
وكان الفتى جميلا فجعلت الجارية تسارقه
النظر ففطن الحجاج بها فوهبها له

فأخذها وانصرف فباتت معه ليلتها وهربت
بغلس فأصبح لا يدري أين هي وبلغ الحجاج
ذلك فأمر مناديا أن ينادي برئت الذمة ممن
رأى وصيفة من صفتها كذا وكذا أولم
يحضرها فلم يلبث أن أتى له بها فقال لها
الحجاج يا عدوة الله كنت عندي من أحب
الناس إلي فاخترت ابن عمي شابا حسن
الوجه ورأيتك تسارقينه النظر فعلمت أنك
شغفت

المستطرف [جزء 1 - صفحة 488]

به فوهبتك له فهربت من ليلتك فقالت يا
سيدي اسمع قصتي ثم اصنع بي ما شئت
قال هاتي ولا تخفى شيئا قالت كنت
للفتى القرشي فاحتاج إلي ثمني فحملني
إلى الكوفة فلما قربنا منها دنا مني فوقع
علي فسمع زئير الأسد فوثب واخترط
سيفه وحمل عليه وضربه فقتله وأتى
برأسه ثم أقبل علي وما برد ما عنده ثم
قضى حاجته وإن ابن عمك هذا الذي
اخترته لي لما أظلم الليل قام إلي فلما
علا بطني وقعت فأرة من السقف فضرط
ثم غشي عليه فمكث زمانا طويلا وأنا

أرّش عليه الماء وهو لا يفيق فخفت أن يموت ففتحمني به فهربت فزعا منك فما ملك الحجاج نفسه من شدة الضحك وقال ويحك اكتمي هذا ولا تعلمي به أحدا قالت على أن لا تردني إليه قال لك ذلك وحدث جارا لأبي حنيفة النميري قال كان لأبي حنيفة سيف ليس بينه وبين العصا فرق وكان يسميه لعاب المنية فأشرفت عليه ذات ليلة وقد انتضاه وهو واقف على باب بيته وقد سمع حسا في دراه وهو يقول أيها المغتر بنا المجتريء علينا بئس والله ما اخترت لنفسك خير قليل وسيف صقيل وهو لعاب المنية الذي سمعت به أخرج بالعفو عنك قبل أن ادخل بالعقوبة عليك ثم فتح الباب على وجل فإذا كلب قد خرج فقال الحمد لله الذي مسخك كلبا وكفانا حربا وخرج المعتصم يوما إلى بعض متصيداته فظهر له أسد فقال لرجل من أصحابه أعجبه قوامه وسلاحه وتمام خلقه أفيك خيرا يا رجل قال لا فضحك المعتصم وقال قبح الله الجبان ورأى الإسكندر سميا له لا يزال ينهزم فقال له يا رجل إما أن تغير فعلك وإما أن تغير إسمك ووقع في بعض العساكر ضجة فوثب خراساني إلى دابته ليلجمها فصير اللجام في الذنب

من الدهش وقال يخاطب الفرس هب
جبهتك عرضت فناصيتك كيف طالت
وخرج أسلم بن زرعة الكلابي في الفين
لمحاربة أبي بلال مرداس وكان مرداس
في أربعين فانهزم أسلم منه فلاموه على
ذلك وذمة

المستطرف [جزء 1 - صفحة 489]

ابن أبي زياد فقال لأن يذمني ابن أبي زياد
حيا أحب إلي من أن يمدحني ميتا وكان
أسلم بعد ذلك إذا خرج إلى السوق ومر
بصبيان صاحوا به أبو بلال وراءك فكبر ذلك
عليه فشكاهم إلى ابن أبي زياد فأمر
صاحب الشرطة أن يكفهم عنه وفي ذلك
يقول بعضهم شعرا
يقول جبان القوم في حال سكره ... وقد
(شرب الصهباء هل من مبارز
وأين الخيول الاعوجيات في الوغى ...)
(أنازل منهم كل ليث مناهز
ففي السكر قيس وابن معدي وعامر ...)
(وفي الصحو تلقاء كبعض العجائز
هذا ما انتهى إلينا من هذا الباب والحمد
لله الكريم الوهاب وصلى الله على سيدنا

محمد وعلى آله وأصحابه الطاهرين
والحمد لله رب العالمين

المستطرف [جزء 1 - صفحة 490]

الباب الثاني والاربعون في المدح والثناء
وشكر النعمة والمكافأة وفيه فصول
الفصل الأول
في المدح والثناء
المدح وصف الممدوح بأخلاق يمدح عليها
صاحبها يكون نعتا حميدا وهذا يصح من
المولى في حق عبده فقد قال الله تعالى
في حق نبيه أيوب عليه الصلاة والسلام (
إنا وجدناه صابرا نعم العبد إنه أواب)
وقال تعالى لنبيه محمد (وإنك لعلى خلق
عظيم) و قال تعالى (قد افلح المؤمنون
الذين هم في صلاتهم خاشعون) إلى آخر
الآية فعلى هذا يجوز مدح الإنسان بما فيه
من الأخلاق الحميدة و أما قوله إذا رأيتم
المادحين فاحثوا في وجوههم التراب فقد
قال العتبي هو المدح الباطل والكذب واما
مدح الرجل بما فيه فلا بأس به وقد مدح
أبو طالب والعباس وحسان وكعب
وغيرهم رسول الله ولم يبلغنا أنه حثا في

وجه مادم ترابا وقد مدح هو المهاجرين و
الأنصار رضي الله عنهم وفي حثو التراب
معنيان أحدهما التخليط في الرد عليه
والثاني كأنه يقال له يكفيك التراب وكان
ابو بكر الصديق رضي الله عنه إذا مدح قال
اللهم أنت أعلم بي من نفسي

المستطرف [جزء 1 - صفحة 491]

وأنا أعلم بنفسي منهم اللهم اجعلني خيرا
مما يحسبون واغفر لي ما لا يعلمون ولا
تؤاخذني بما يقولون ومدح سارية الديلي
رسول الله وهو سارية الذي أمره عمر
رضي الله عنه على السرية وناداه في
خطبته بقوله يا سارية الجبل فمن مدحه
في رسول الله قوله
فما حملت من ناقة فوق ظهرها ... ابر
(وأوفى ذمة من محمد
وهو اصدق بيت قالته العرب ومن أحسن
ما مدحه به حسان رضي الله عنه قوله
وأحسن منك لم تر قط عيني ... وأجمل
(منك لم تلد النساء
خلقت مبرا من كل عيب ... كأنك قد
(خلقت كما تشاء

ومن احسن ما مدحه به عبدالله بن رواحة
الانصاري رضي الله عنه قوله
لو لم تكن فيه آيات مبينة ... كانت بديهته
(تنبيك بالخبر)

ولما حججت وزرته تطفلت على جنبه
المعظم وامتداحته بأبيات مطولة
وأنشدتها بين يديه بالحجرة الشريفة تجاه
الصندوق الشريف وأنا مكشوف الرأس
وأبكى من جملتها
يا سيد السادات جئتك قاصدا ... ارجو
(رضاك وأحتمي بحماكا
والله يا خير الخلائق إن لي ... قلبا مشوقا)
(لا يروم سواكا)

ووحق جاهك إنني بك مغرم ... والله يعلم
(إنني أهواكا)
أنت الذي لولاك ما خلق امرؤ ... كلا ولا
(خلق الوري لولاكا)

أنت الذي من نورك البدر اكتسى ...
(والشمس مشرقة بنور بهاكا)
أنت الذي لما رفعت إلى السما ... بك قد
(سمت وتزينت لسراكا)
أنت الذي ناداك ربك مرحبا ... ولقد دعاك
(لقربه وحبكا)

أنت الذي فينا سألت شفاعا ... ناداك
(ربك لم تكن لسواكا)

أنت الذي لما توصل آدم ... من ذنبه بك
(فاز وهو أباك)

المستطرف [جزء 1 - صفحة 492]

وبك الخليل دعا فعادت ناره ... بردا وقد
(خمدت بنور سناكا
ودعاك ايوب لضر مسه ... فأزيل عنه)
(الضر حين دعاكا
وبك المسيح اتى بشيرا مخبرا ... بصفات
(حسنك مادحا لعلاكا
وكذاك موسى لم يزل متوسلا ... بك في
(القيامة مرتج لنداكا
والانبياء وكل خلق في الورى ... والرسل
(والاملاك تحت لواكا
لك معجزات أعجزت كل الورى ...)
(وفضائل جلت فليس تحاكي
نطق الذراع بسمة لك معلنا ... والضرب قد
(لباك حين اتاكا
والذئب جاءك والغزالة قد أتت ... بك)
(تستجير وتحتمي بحماكا
وكذا الوحوش أتت إليك وسلمت ... وشكا
(البعير إليك حين رآكا
ودعوت أشجارا اتنك مطيعة وسعت إليك)

(مجيبة لنداكا
والماء فاض براحتيك وسبحت ... صم)
(الحصى بالفضل في يمناكا
وعليك ظللت الغمامة في الورى ...)
(والجذع حن إلي كريم لقاكا
وكذاك لا اثر لمشييك في الثرى ... والصخر)
(قد غاصت به قدماكا
وشفيت ذا العاهات من امراضه ... وملأت)
(كل الارض من جدواكا
وردت عين قتادة بعد العمى ... وابن)
(الحصين شفيته بشفاكا
وكذا حبيب وابن عفرا عندما ... جرحا)
(شفيتهما بلمس يداكا
وعلي من رمد به داويته في خبير فشفي)
(بطيب لماكا
وسألت ربك في ابن جابر بعدما ... قد)
(مات أحياء وقد أرضاكا
ومسست شاة لأم معبد بعدما ... نشفت)
(فدرت من شفا رقياكا
ودعوت عام المحل ربك معلنا ... فانهل)
(قطر السحب عند دعاكا
ودعوت كل الخلق فانقادوا إلى ... دواك)
(طوعا سامعين نداكا
وخفضت دين الكفر يا علم الهدى ...)
(ورفعت دينك فاستقام هناكا

**أعداك عادوا في القليب بجهلهم ...)
(صرعى وقد حرموا الرضا بجفاكا**

المستطرف [جزء 1 - صفحة 493]

**في يوم بدر قد أتتك ملائك ... من عند)
ربك قاتلت أعداكا
والفتح جاءك يوم فتحك مكة ... والنصر)
في الاحزاب قد وافاكا
هود ويونس من بهاك تجملا ... وجمال)
يوسف من ضياء سناكا
قد فقت يا طه جميع الانبيا ... نورا)
فسبحان الذي سواكا
والله يا ياسين مثلك لم يكن ... في)
العالمين وحق من نباكا
عن وصفك الشعراء يا مدثر ... عجزوا)
وكلوا عن صفات علاكا
إنجيل عيسى قد أتى بك مخبرا ... وأتى)
الكتاب لنا بمدح حلاكا
ماذا يقول المادحون وما عسى ... أن)
يجمع الكتاب من معناكا
والله لو إن البحار مدادهم ... والعشب)
أقلام جعلن لذاكا
لم تقدر الثقلان تجمع ذره ... ابدا وما**

(استطاعوا له إدراكا
لي فيك قلب مغرم يا سيدي ... وحشاشة)
(محشوة بهواكا
فإذا سكت ففيك صمتي كله ... وإذا)
(نطقت فمادح علياكا
وإذا سمعت فعنك قولا طيبا ... وإذا)
نظرت فلا أرى إلاكا
يا مالكي كن شافعي من فاقتي ... إني)
(فقير في الوري لغناكا
يا أكرم الثقلين يا كنز الوري ... جد لي)
(بجودك وارضني برضاكا
انا طامع في الجواد منك ولم يكن ... لابن)
(الخطيب من الانام سواكا
فعساك تشفع فيه عند حسابه ... فلقد)
(غدا مستمسكا بعراكا
ولأنت أكرم شافع ومشفع ... ومن التجا)
(لحماك نال وفاكا
فاجعل قرأي شفاعا لي في غد فعسى)
(أرى في الحشر تحت لواكا
صلى عليك الله يا خير الوري ... ما حن)
(مشتاق إلي مثواكا
وعلى صحابتك الكرام جميعهم ...)
(والتابعين وكل من والاكا
وماذا عسى أن يقول المادحون في وصف
من مدحه الله تعالى وأثنى عليه وقد قال

أنا سيد ولد آدم ولا فخر والله لو أن

المستطرف [جزء 1 - صفحة 494]

حذف

البحار مداد والاشجار أقلام وجميع الخلائق
كتاب لما استطاعوا أن يجمعوا النزر
اليسير من بعض صفاته ولكلوا عن الإتيان
ببعض بعض وصف معجزاته ومدح رجل
هشام بن عبد الملك فقال له يا هذا إنه قد
نهى عن مدح الرجل في وجهه فقال ما
مدحتك ولكن ذكرتك نعم الله عليك لتجدد
لها شكرا فقال له هشام هذا أحسن من
المدح ووصله وأكرمه وكتب رجل إلى
عبد الله بن يحيى بن خاقان رأيت نفسي
فيما أتعاطى من مدحك كالمخبر عن
وضوء النهار الباهر والقمر الزاهر وايقنت
أنني حيث انتهى من القول منسوب إلى
العجز مقصر عن الغاية فأنصرفت عن
الثناء عليك إلى الدعاء لك العجز مقصر
عن الغاية فأنصرفت عن الثناء عليك إلى
الدعاء لك ووكلت الإخبار عنك إلى علم
الناس بك وقال الحرث بن ربيعة في رجل

من آل المهلب
فتى دهره شطران فيما ينوبه ... ففي
(بأسه شطر وفي وجوه شطر
فلا من بغاه الخير في عينه قذى ... ولا
(من زئير الحرب في أذنه وقر
وقال أعرابي لرجل لا يذم بلد أنت تأويله
ولا يشتكي زمان أنت فيه وكان الحجاج
يستثقل زياد بن عمرو العكلي فلما قدم
على عبدالملك بن مروان قال يا أمير
المؤمنين إن الحجاج سيفك الذي لا ينبو
وسهمك الذي يبطش وخادمك الذي لا
تأخذه فيك لومة لائم فلم يكن بعد ذلك
على قلب الحجاج أخف منه وقال رجل
لآخر أنت بستان الدنيا فقال له وأنت النهر
الذي يسقى منه ذلك البستان وقال رجل
لأبي عمرو الزاهد صاحب كتاب الياقوتة
في اللغة أنت والله عين الدنيا فقال له
وأنت والله نور تلك العين وقال القاسم
بن أمية بن أبي الصلت الثقفي
قوم إذا نزل الغريب بدارهم ... تركوه رب
(صواهل وقيان
وإذا دعوتهم ليوم كريهة ... سدوا شعاع
(الشمس بالفرسان

المستطرف [جزء 1 - صفحة 495]

وقال أوس بن حاتم الطائي
فإن تنكحي مادية الخير حاتما ... فما مثله
(فينا ولا في الأعاجم
فتى لا يزال الدهر أكبر همه فكاك أسير)
وقال ابن حمدون في آل (أو معونة غارم
المهلب
آل المهلب معشر أمجاد ... ورثوا المكارم)
(والوفاء فسادوا
شاد المهلب ما بنى آباؤه ... وأتى بنوه ما
(بناه فشادوا
وكذاك من طابت مغارس نبتة ... وبنى له
(الآباء والأجداد
وكان الفرزدق هجاء لعمر بن هبيرة فلما
سجن ونقب له السجن وسار هو وبنوه
تحت الأرض قال الفرزدق
ولما رأيت الأرض قد سد ظهرها ... ولم
(يبق إلا بطنها لك مخرجا
دعوت الذي ناداه يونس بعدما ... ثوى في
(ثلاث مظلمات ففرجا
فقال ابن هبيرة ما رأيت أشرف من
الفرزدق هجاني أميرا ومدحني أسيرا
وقال سري بن عبد الرحمن الرفاء في
خالد بن حاتم

يا واحد العرب الذي دانت له ... قحطان)
(قاطية وساد نزاراً
إني لأرجوا إن لقيتك سالماً ... أن لا أعالج)
(بعدك الاسفاراً
وقال كعب بن مالك الأنصاري في آل
هاشم
يا آل هاشم الإله حباكم ... ما ليس يبلغه)
(اللسان المفصل
قوم لأصلهم السيادة كلها ... قدما)
(وفرعهم النبي المرسل
وقال الحسين بن دعل الخزامي
ملك الامور بجودة وحسامه ... شرفا يقود)
(عدوه بزمامه
فأطاع أمر الجود في أمواله ... وأطاع أمر)
(الله في أحكامه

المستطرف [جزء 1 - صفحة 496]

وقال آخر
يلقي السيوف بصدرة وبنحره ... ويقيم)
(هامته مقام المغفر
ويقول للطرف اصطبر لسني القنا ...)
(فعقرت ركن المجد إن لم تعقر
وإذا تراءى شخص ضيف مقبل ...)

(مستربل أثواب محل أغبر
أومي إلى الكوماء هذا طارق ... نحررتني)
(الاعداء إن لم تنحر
وقال شاعر بني تميم
إذا لبسوا عمائمهم طووها ... على كرم
(وإن سفروا أناروا
يبيع ويشتري لهم سواهم ... ولكن)
(بالطعان هم تجار
إذا ما كنت جار بني تميم ... فأنت لأكرم
الثقلين جار
وقالت امرأة من بني نمير وقد حضرتها
الوفاة وأهلها مجتمهون من ذا الذي يقول
لعمري ما رماح بني نمير ... بطائشة)
(الصدور ولا قصار
قالوا زياد الأعجم قالت أشهدكم أن له
الثلث من مالي وكان مالا كثيرا وأثني
رجل على رجل فقال هو أفصح أهل زمانه
إذا حدث وأحسنهم استماعا إذا حدث
وأمسكهم عن الملاحاة إذا خولف يعطي
صديقه النافلة ولا يسأله الفريضة له نفس
عن الفحشاء محصورة وعلى المعالي
مقصورة كالذهب الإبريز الذي يعز كل
أوان والشمس المنيرة التي لا تخفى بكل
مكان هو النجم المضيء للحيوان والمنهل
البارد العذب للعطشان وقال الحسن بن

هانيء
إذا نحن أثينا عليك بصالح ... فأنت كما
(نشئ وفوق الذي نشئ
وإن جرت الألفاظ يوما بمدحه ... لغيرك)
(إنسانا فأنت الذي نعني

المستطرف [جزء 1 - صفحة 497]

وله في الفضل بن الربيع
لقد نزلت أبا العباس منزلة ... ما إن ترى
خلفها الابصار مطرعا
وكلت بالدهر عينا غير غافلة ... بجود)
(كفك تأسو كل ما جرحا
وقال زياد الأعجم في محمد بن القاسم
الثقفي
إن المنابر أصبحت مختالة ... بمحمد بن
(القاسم بن محمد
قاد الجيوش لسبع عشرة حجة ... يا قرب)
(سورة سؤدد من مولد
ومن بدائع مدائح المتنبي قوله
ليت المدائح تستوفي مناقبه ... فما كليب)
(وأهل العصر الأول
خذ ما تراه ودع شيئا سمعت به في طلعة
البدر ما يغنيك عن زحل وقد وجدت مكان

القول ذا سعة فإن وجدت لسانا قائلا فقل
ومدح أبو العتاهية عمرو بن العلاء فأعطاه
سبعين ألفا وخلع عليه خلعا سنية حتى إنه
لم يستطع أن يقوم فغار الشعراء منه
فجمعهم وقال يا لله العجب ما أشد حسد
بعضكم لبعض إن أحدكم يأتينا ليمدحنا
فيتغزل في قصيدته بخمسين بيتا فما
يبلغنا حتى يذهب رونق شعره وقد تشبب
أبو العتاهية بأبيات يسيرة ثم قال
إني أمنت من الزمان وصرفه ... لما
(علقت من الأمير حبالا
لو يستطيع الناس من إجلاله ... جعلوا له)
(حر الوجوه نعلا
إن المطايا تشتكيك لأنها قطعت إليك)
(سباسبها ورمالا
فإذا وردن بنا وردن خفافا ... وإذا صدرن)
(بنا صدرن ثقالا
ووفد أبو نواس على الخصيب بمصر فأذن)
له وعنده الشعراء فأنشد الشعراء
أشعارهم فلما فرغوا قال أبو نواس أنشد
إيها الأمير

قصيدة هي كعصا موسى تلقف ما صنعوا
قال أنشدها فأنشده قصيدته التي منها
قوله

إذا لم تزر أرض الخصب ركابنا ... فأى
(فتى بعد الخصب نزور
فتى يشتري حسن الثناء بماله ... ويعلم
(أن الدائرات تدور
فما فاته جود ولا ضل دونه ... ولكن يسير
(الجود حيث يسير

فاهتز الخصب لها طربا وأمر له بألف
دينار ووصيف ووصيفة
حكى أن أبا دلف سار يوما مع أخيه معقل
فرأيا امرأتين تتماشيان فقالت إحداهما
للأخرى هذا أبو دلف قالت نعم الذي يقول
فيه الشاعر

إنما الدنيا أبو دلف ... بين بادية ومحتضره
(
فإذا ولى أبو دلف ... ولت الدنيا على أثره
(

فبكى أبو دلف حتى جرت دموعه فقال له
معقل ملك يا أخي تبكي فقال لأنني لم
أقض حق الذي قال هذا قال أولم تعطه
مائة ألف درهم قال والله ما في نفسي
حسرة إلا لكوني لم أعطه مائة ألف دينار
ويقال هذه المدحة فأين المنحة قال
بعضهم

(إذا ما المدح صار بلا نوال ... من الممدوح)
(كان هو الهجاء)
وامتدح محمد بن سلطان المعروف بابن
جيوش محمد بن نصر صاحب حلب فأجازه
بألف دينار ثم مات محمد بن نصر وقام
ولده نصر مقامه فقصده محمد بن سلطان
بقصيدة مدحة بها منها
تباعدت عنكم حرمة لازهادة ... وسرت)
(إليكم حين مسني الضر
فجاء أبو نصر بألف تصرمت ... وإني عليم)
(أن سيخلفها نصر
فلما فرغ من إنشادها قال نصر والله لو
قال سيضعفها نصر

المستطرف [جزء 1 - صفحة 499]

لاضعفتها له وأعطاه ألف دينار في طبق
فضة ومدح بعض الشعراء وقيل هو البديع
الهمداني إنسانا فقال
يكاد يحكيه صوب الغيث منسكبا ... لو كان)
(طلق المحيا يمطر الذهب
والدهر لم لم يخن والشمس لو نطقت ...)
(والليث لو لم يصد والبحر لو عذبا
وقال آخر

أخو كرم يفضي الوري من بساطة ... إلى)
(روض مجد بالسماح مجود
وكم لجباه الراغبين لديه من ... مجال)
(سجود في مجالس جود
ويقال فلان رقيق الجود ودخيله وزميل
الكرم ونزيله وغزة الدهر وتحجيلة مواهبه
الانواء وصدره الدهناء عونه موقوف على
اللهيف وغوثه مبذول للضعيف يطفو
جوده على موجوده وهمته على قدرته
ينابيع الجود تتفجر من أنامله وربيع
السماح يضحك عن فواضله إن طلبت
كريما في جوده مت قبل وجوده أو ماجدا
في أخلاقه مت ولم تلاقه باسل تعود
الاقدام حيث تزل الاقدام وشجاع يرى
الاحجام عارا لا تمحوه الايام له خلق لو
مازح البحر لنفي ملوحته وصفى كدورته
خلق كنسيم الاشجار على صفحات الانهار
واطيب من زمن الورد في الايام وأبهج
من نور البدر في الظلام خلق يجمع
الاهواء المتفرقة على محبته ويؤلف الآراء
المتشعبة في مودته هو ملح الأرض إذا
فسدت وعمارة الدنيا إذا خربت يحل دقائق
الأشكال ويزيل جلائل الاشكال البيان
أصغر صفاته والبلاغة عنوان خطراته كأنما
أوحى التوفيق إلى صدره وحبس الصواب

بين طبعه وفكره فهو يبعث بالكلام
ويقوده بألين زمام حتى كأن الالفاظ
تتحاسد في التسابق إلى خواطره
والمعاني تتغاير في الإمثال لأوامره يوجز
فلا يخل ويطنب فلا يمل كلامه يشدد مرة
حتى تقول الصخر أو أيبس ويلين

المستطرف [جزء 1 - صفحة 500]

تارة حتى تقول الماء أو اسلس فهو إذا
أنشأ وشى وإذا عبر حبر وإذا أوجز اعجز
تاهت به الايام وباهت في يمينه الاقلام له
أدب لو تصور شخصا لكان بالقلوب مختصا
قال الشاعر
له خلق على الايام يصفو ... كما تصفو
وقال آخر (على الزمن العقار
لو كان يحوي الروض ناضر خلقه ... ما
(كان يذبل نوره بشتائه
أو قابل الافلاك طالع سعه ... ماصار)
وقال آخر (نحس في نجوم سمائه
ووجهك بدر في الغياهب مشرق ... وكفك)
(في شهب السنين غمام
عجيب لبدر لا يزال أمامه ... سحب ولا
يغشاه منه ظلام واعجب من هذا غمام إذا

(سطا ... تلظى مكان البرق منه حسام
وقال الحسين بن مطير الأسدي
له يوم بؤس فيه الناس أبؤس ... ويوم)
(نعيم فيه للناس انعم
فيمطر يوم الجود من كفه الندى ...)
(ويمطر يوم البؤس من كفه الدم
فلو أن يوم البؤس خلى عقابه ... على)
(الناس لم يصبح على الارض مجرم
ولو ان يوم الجود خلى يمينه ... عن المال)
(لم يصبح على الارض معدم
وللشيخ جمال الدين بن نباته
والله ما عجبى لقدرك إنه ... قدر على)
(باغي مداه بعيد
إلا لكونك لست تشكو وحشة ... في هذه)
(الدنيا وأنت وحيد

المستطرف [جزء 1 - صفحة 501]

ولصفي الدين الحلي
أثني فتنيني صفاتك مظهرا ... عيا وكم)
(أعيت صفاتك خاطبا
لو أنني والخلق جميعا ألسن ... نشي)
(عليك لما قضينا الواجا
وللشيخ برهان الدين القيراطي

اوصافكم تجري أحاديثها ... مجرى النجوم)
(الزهر في الافق
كما أحاديث الندى عنكم ... تسندها)
(الركبان من طرق
وللشيخ جمال الدين بن نباته
روت عنك اخبار المعالي محاسنا ... كفت)
(بلسان الحال عن السن الحمد
فوجهك عن بشر وكفك عن عطا ...)
(وخلقك عن نبل ورأيك عن سعد
وقال غيره
من زار بابك لم تبرح جوارحه ... تروي)
(أحاديث ما أوليت من ممن
فالعين عن قره والكف عن صلة ...)
(والقلب عن جابر والسمع عن حسن
ولأبي فراس بن حمدان
لئن خلق الانام لحب كأس ... ومزمار)
(وطنبور وعود
فلم يخلق بنو حمدان الا ... لمجد او لبأس)
(أو لجود
وقال آخر
إن الهبات التي جاد الكرام بها ...)
(مطروقة وندى كفيك مبتكر
ما زلت تسبق حتى قال حاسدكم ... له)
(ولمحمد بن) طريق إلى العلياء مقتصر
مناذر في آل برمك

أتانا بنو الأملاك من آل برمك ... فيا طيب)
(أخبار وأحسن منظر
لهم رحلة في كل عام إلى الندا ... وأخرى)
(إلى البيت العتيق المنور

المستطرف [جزء 1 - صفحة 502]

إذا نزلوا بطحاء مكة أشرقتم ... يحيى)
(وبالفصل بن يحيى وجعفر
فما خلقت إلا لجود أكفهم ... واقدمهم)
(إلا لسعي مظفر
إذا رام يحيى الامر ذلت صعابه ... وناهيك)
(من داع له ومدبر
ولما عزل إبراهيم بن المنذر عن صدقات
البصرة تلقاء مجنون وأنشد
ليت شعري اي قوم أجذبوا ... فأغيثوا بك)
(من بعد العجف
نظر الله لهم من بيننا ... وحرمناك بذنوب)
(قد سلف
يا ابا إسحاق سر في دعه ... وامض)
(مصحوبا فما منك خلف
إنما أنت ربيع باكر ... حيثما صرفه الله)
(وقال آخر) انصرف
لو كان يقعد فوق الشمس وارتفعوا ...)

(قوم لقليل اقعدوا يا آل عباس
ثم ارتقوا في شعاع الشمس وارتفعوا ...)
(إلى السماء فأنتم سادة الناس
وللحسين بن مطير الاسدي في المهدي
ويعبد الناس يا مهدي افضلهم ... ما كان
في الناس إلا أنت معبود
أضحت يمينك من وجود مصورة ... لا بل
يمينك منها صور الجود
لو أن من نوره مثقال خردلة ... في)
وقال آخر (السود طرا إذن لابيضت السود
أوليتني نعمًا وفضلاً زائداً ... وبررتني)
(حتى رأيتك والدا
أقسمت لو جاز السجود لمنعم ... ما كنت
(إلا راکعاً لك ساجداً
وقال آخر ثناؤك في الدنيا من المسك
(أعطر ... وحظك في الدنيا جزيل موقر
وكفك بحر والانا مل أنهر ... وعى الله كفا)
(فيه بحر وأنهر

المستطرف [جزء 1 - صفحة 503]

أعيزك بالرحمن من كل حاسد ... فلا زالت
(الحساد تغبي وتصغر
لساني قصير في مديحك سيدي ... لأنني)

(فقير والفقير مقصر
الفصل الثاني من هذا الباب

في شكر النعمة

أما الشكر الواجب على جميع الخلائق
فشكر القلب وهو ان يعلم العبد أن النعمة
من الله عز وجل وأن لا نعمة على الخلق
من أهل السموات والارض إلا وبدايتها من
الله تعالى حتى يكون الشكر لله عن
نفسك وعن غيرك والدليل على ان الشكر
محله القلب وهو المعرفة قوله تعالى (وما بكم من نعمة فمن الله) أيقنوا أنها
من الله وقيل الشكر معرفة العجز عن
الشكر وقد روى أن داود عليه السلام قال
إلهي كيف أشكرك وشكري لك نعمة من
عندك فأوحى الله تعالى إليه الآن قد
شكرتني وفي هذا يقال الشكر على
الشكر أتم الشكر ولمحمود الوراق
إذا كان شكري نعمة الله نعمة ... علي له (

في مثلها يجب الشكر

فكيف بلوغ الشكر إلا بفضله ... وإن (

طالت الايام واتصل العمر

إذا مس بالسراء عم سرورها ... وإن مس (

بالضراء أعقبها الاجر

فما منهما إلا له فيه نعمة ... تضيق بها (

الأوهام والسر والجهر

وفي مناجاة موسى عليه السلام إلهي
خلقت آدم بيدك وفعلت وفعلت فكيف
شكرك فقال أعلم إن ذلك مني فكانت
معرفته بذلك شكره لي وأما شكر اللسان
فقد قال الله تعالى (وأما بنعمة ربك
فحدث) ويروي عن النعمان بن بشير
رضي الله عنه أنه قال قال رسول الله من
لم يشكر القليل لم يشكر الكثير

المستطرف [جزء 1 - صفحة 504]

ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله
والتحدث بالنعم شكر وقال عمر ابن
عبد العزيز رضي الله عنه تذكروا النعم فإن
ذكرها شكر وأما الشكر الذي في الجوارح
فقد قال الله تعالى (اعملوا آل داود
شكرا) الآية فجعل العمل شكرا وروي ان
النبي قام حتى تورمت قدماه فقبل له يا
رسول الله أتفعل هذا بنفسك وقد غفر
الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال
أفلا أكون عبدا لله شكورا وقال أبو هرون
دخلت على أبي حازم فقلت له يرحمك الله
ما شكر العينين قال إذا رأيت بهما خيرا
ذكرته وإذا رأيت بهما شرا سترته قلت فما

شكر الأذنين قال إذا سمعت بهما خيرا
حفظته وإذا سمعت بهما شرا نسيتته وفي
حكمه إدريس عليه الصلاة والسلام لن
يستطيع أحد أن يشكر الله على نعمة بمثل
الأنعام على خلقه ليكون صانعا إلى الخلق
مثل ما صنع الخالق إليه فإذا أردت تحرس
دوام النعمة من الله تعالى عليك فأدم
مواصلة الفقراء وقد وعد الله تعالى عباده
بالزيادة على الشكر فقال تعالى (لئن
شكرتم لأزيدنكم) وقد جعل لعبادة علامة
يعرف بها الشاكر فمن لم يظهر عليه
المزيد علمنا أنه لم يشكر فإذا رأينا الغني
يشكر الله تعالى بلسانه وماله في نقصان
علمنا أنه قد خل بالشكر إما أنه لا يزكى
ماله أو يزكيه لغير أهله أو يؤخره عن وقته
أو يمنع حقا واجبا عليه من كسوة عريان
أو إطعام جائع أو شبه ذلك فيدخل في
قول النبي لو صدق السائل ما أفلح من رده
قال الله تعالى (إن الله لا يغير ما بقوم
حتى يغيروا ما بأنفسهم) وإذا غيروا
ما بهم من الطاعات غير الله ما بهم من
الإحسان وقال بعض الحكماء من أعطى
أربعا لم يمنع من أربع من أعطى الشكر لا
يمنع المزيد ومن أعطى التوبة لا يمنع
القبول ومن أعطى الإستخارة لم يمنع

الخيرة ومن أعطى المشورة لم يمنع
الصواب وقال المغيرة بن شعبة أشكر من
أنعم عليك وأنعم على من شكرك فإنه لا
بقاء

المستطرف [جزء 1 - صفحة 505]

للنعم إذا كفرت ولا زوال لها إذا شكرت
وكان يقول الحسن ابن آدم متى تنفك من
شكر النعمة وأنت مرتهن بها كلما شكرت
نعمة تجد ذلك بالشكر أعظم منها عليك
فأنت لا تنفك بالشكر من نعمة إلا إلى ما
هو أعظم منها
وروى ان عثمان بن عفان رضي الله عنه
دعى إلى أقوام ليأخذهم على رية
فافترقوا قبل أن يأخذهم عثمان فأعتق
رقبة شكرا لله تعالى إذ لم يجر على يديه
فضيحة مسلم ويروى أن نملة قالت
لسليمان بن داود عليهما السلام يا نبي
الله أنا على قدرتي أشكر لله منك وكان
راكبا على فرس ذلول فخر ساجدا لله
تعالى ثم قال لولا أني أبجلك لسألتك عن
أن تنزع مني ما أعطيتني وقال صدقة بن
يسار بينما داود عليه السلام في محرابه إذ

مرت به دودة فتفكر في خلقها وقال ما
يعبأ الله بخلق هذه فأنطقها الله تعالى له
فقال له يا داود تعجبك نفسك وأنا على
قدر ما آتاني الله تعالى أذكر لله وأشكر له
منك على ما آتاك وقال علي رضي الله
عنه احذروا انفار النعم فما كل شارد
مردود وعنه عليه السلام إذا وصلت إليكم
أطراف النعم فلا تنفروا اتصالها بقلة
الشكر وقيل إذا قصرت يداك عن المكافأة
فليطل لسانك بالشكر وقال حكيم الشكر
ثلاث منازل ضمير القلب ونشر اللسان
ومكافأة اليد قال الشاعر
أفادتكم النعماء مني ثلاثة ... ידי
(ولساني والضمير المحجبا)
وقال ابن عائشة كان يقال ما أنعم الله
على عبد نعمة فظلم بها إلا كان له حقا
على الله تعالى أن يزيلها عنه وأنشد أبو
العباس بن عمار في المعنى

المستطرف [جزء 1 - صفحة 506]

أعارك ماله لتقوم فيه ... بواجبه وتقضي
(بعض حقه)
فلم تقصد لطاعته ولكن ... قويت على

وقال آخر ولو ان لي في (معاصيه برزقه
كل منبت شعرة ... لسانا يطيل الشكر
(كنت مقصرا

وقال محمد بن حبيب الراوية إذا قل
الشكر خسر المن وروي إذا جحدت
الصنيعة خسر الإمتنان وسئل بعض
الحكماء ما أضيع الاشياء قال مطر الجود
في أرض سبخه لا يجف ثراها ولا ينبت
مرعاها وسراج يوقد في الشمس وجارية
حسنة تزف إلى اعمى وصنيعة تسدي إلي
من لا يشكرها وقال عبد الأعلى بن حماد
دخلت على المتوكل فقال يا أبا يحيى قد
هممنا أن نصلك بخير فتدافعه الامور
فقلت يا أمير المؤمنين بلغني عن جعفر
بن محمد الصادق أنه قال من لم يشكر
الهمة لم يشكر النعمة وأنشدته
لأشكرن لك معروفا هممت به ... فإن

(همك بالمعروف معروف
ولألومك إن لم يمضه قدر ... فالشر)
(بالقدر المحتوم مصروف
وقال أبو فراس بن حمدان
وما نعمة مكفورة قد صنعتها ... إلى غير)
(ذي شكر تمانعني اخرى
سأتي حميلا ما حييت فإنني ... إذا لم أفد)
(شكرا أفدت به أجرا

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه من
امتطى الشكر بلغ به المزيد وقيل من
جعل الحمد خاتمه النعمة جعله الله فاتحة
للمزيد وقال ابن السماك النعمة من الله
تعالى على عبده مجهولة فإذا فقدت
عرفت وقيل من لم يشكر على النعمة
فقد استدعى زوالها وكان يقال إذا كانت
النعمة وسيمة فاجعل الشكر لها تميمة
وقال حكيم لا تصطنعوا ثلاثة اللئيم فإنه
بمنزلة الأرض السبخة والفاحش فإنه يرى
أن الذي

المستطرف [جزء 1 - صفحة 507]

صنعت إليه إنما هو لمخافة فحشه
والاحمق فإنه لا يعرف قدر ما أسديت إليه
وإذا اصطنعت الكريم فازرع المعروف
واحصد الشكر ودخل أبو نخيلة على
السفاح لينشده فقال ما عسيت أن تقول
بعد قولك لمسلمة
أمسلمة يا فخر كل خليفة ... ويا فارس)
(الدنيا ويا جبل الأرض
شكرتك إن الشكر دين على الفتى ... وما)
(كل من أوليته نعمة يقضي

وأحييت لي ذكري وما كان خاملا ... ولكن
(بعض الذكر أنه من بعض)

وسمعه الرشيد فقال هكذا يكون شعر
الأشراف مدح صاحبه ولم يضع نفسه وعن
نصر بن سيار عن عكرمة عن ابن عباس
رضي الله عنهما عن النبي أنه قال من
أنعم على رجل نعمة فلم يشكر له فدعا
عليه استجيب له ثم قال نصر اللهم إني
أنعمت علي بني سام فلم يشكروا اللهم
اقتلهم فقتلوا كلهم وعن علي ابن
الحسين رضي الله عنهما قال قال رسول
الله إن المؤمن ليشبع من الطعام فيحمد
الله تعالى فيعطيه من الاجر ما يعطي
الصائم القائم إن الله شاكر يحب
الشاكرين وعن محمد بن علي ما أنعم الله
على عبد نعمة فعلم أنها من الله إلا كتب
الله له شكرها قبل أن يحمده عليها ولا
أذنب عبد ذنبا فعلم أن الله قد أطلع عليه
إن شاء غفر له وإن شاء أخذه قبل أن
يستغفره إلا غفر الله له قبل أن يستغفره
وأولى رجل رجلا إعرابيا خيرا فقال لا
أبلاك الله ببلاء يعجز عنه صبرك وأنعم
عليك نعمة يعجز عنها شكرك وأنشد
بعضهم وأحاد

سأشكر لا أني أجازيك منكما ... بشكري)

(ولكن كي يزداد لك الشكر
واذكر أياما لدي اصطنعتها ... وآخر ما)
(يبقى على الشاكر الذكر)

المستطرف [جزء 1 - صفحة 508]

وقال آخر
أوليتني نعماً أبوح بشكرها ... وكفيتني)
(كل الأمور بأسرها
فلأشكرنك ما حييت وإن أمت ...)
(فلتشكرنك أعظمي في قبرها
وقال آخر
أي رب قد أحسنت عودا وبدأة ... إلي فلم)
(ينهض بإحسانك الشكر
فمن كان ذا عذر لديك وحجة ... فعذري)
(إقرارى بأن ليس لي عذر
وقال محمود الوراق
إلهي لك الحمد الذي أنت أهله ... على)
(نعم ما كنت قط لها أهلا
إن زدت تقصيرا تزدني تفضلا ... كأني)
(بالتقصير أستوجب الفضلا
وقد أحسن نصيب في وصف الثناء والشكر
بقوله
فعاوجوا وأثنوا بالذي أنت أهله ... ولو)

(سکنوا أثنت علیک الحقائق
وقال رجل من غطفان
الشکر افضل ما حاولت ملتمسا ... به)
(الزیادة عند الله والناس
وقیل شکر المنعم علیک وأنعم علی
الشاکر لک تستوجب من ربک الزیادة ومن
أخیک المناصحة
الفصل الثالث من هذا الباب
فی المكافأة
قال رسول الله من أسدی إلیکم معروفًا
فکافئوه فإن لم تقدروا فادعوا له ولما
قدم وفد النجاشی علی رسول الله قام

المستطرف [جزء 1 - صفحة 509]

یخدمهم بنفسه فقیل له یا رسول الله لو
ترکتنا کفیناک فقال کانوا لأصحابی
مکرمین وقیل أتى رجل من الانصار إلی
عمر بن الخطاب رضی الله عنه فقال
أذکر صنيعی إذ فاجأک ذو سفه ... يوم)
(السقیفة والصدیق مشغول
فقال عمر بأعلى صوته ادن منی فدنا منه
فأخذ بذراعہ حتی استشرفه الناس وقال
إلا إن هذا رد عني سفيها من قومه يوم

السقيفة ثم حمله على نجيب وزاد في
عطائه وولاه صدقة قومه وقرأ (هل جزاء
الإحسان إلا الإحسان) وقال رجل لسعيد
بن العاص وهو امير الكوفة لي يد عندك
بيضاء قال وما هي قال كبت بك فرسك
فتقدمت إليك قبل غلمانك فأخذت بعضدك
وأركبتك وأسقيتك ماء قال فأين كنت إلى
الآن قال حجت عن الوصول إليك قال قد
أمرنا لك بمائتي ألف درهم وبما يملكه
الحاجب إذ مجبك عنا
وقال قطري بن الفجاءة الخارجي أسره
الحجاج ثم من عليه فأطلقه فقيل له عاود
قتال عدو الله فقال أهيهات شديدا
مطلقها وأرق رقبة معتقها ثم قال
أقاتل الحجاج عن سلطانه ... بيد تقرر
(بأنها مولاته)
ماذا أقول إذا وقفت إزاءه ... في الصف)
(واحتجت له فعلاته
أقول جار علي لا إني إذا ... لأحق من)
(جارت عليه ولاته
وتحدث الاقوام أن صنائعا ... غرست لدي)
(فحنظلت نخلاته
واجتاز الشافعي رحمه الله تعالى بمصر
في سوق الحدادين فسقط

المستطرف [جزء 1 - صفحة 510]

سوطه فقام إنسان فأخذه ومسحه وناوله
إياه فقال لغلامه كم معك قال عشرة
دنائير قال ادفعها إليه واعتذر له واستنشد
عبد الملك عامر الشعبي فأنشده لغير ما
شاعر حتى أنشد لحسان
من سره شرف الحياة فلم يزل ... في)
(عصابة من صالحى الانصار
البائعين نفوسهم لنبيهم ... بالمشرفي)
(وبالقنا الخطار
الناظرين بأعين محمرة ... كالجمر غير)
(كليلة الابصار
فقام أنصاري فقال يا أمير المؤمنين
استوجب عامر الصلة على ستون من الابل
كما أعطينا حسان يوم قالها فقال عبد
الملك وله عندي ستون ألفا وستون من
الإبل وعن علي كرم الله وجهه احسنوا
في عقب غيركم تحفظوا في عقبكم
وقال المدائني رأيت رجلا يطوف بين
الصفاء والمروة على بغلة ثم رأته ماشيا
في سفر فسأله عن ذلك فقال ركبت
حيث يمشي الناس فكان حقا على الله أن
يرجلني حيث يركب الناس

ومما جاء في المكافأة
ما حكى عن الحسن بن سهل قال كنت
يوما عند يحيى بن خالد البرمكي وقد خلا
في مجلسه لأحكام أمر من أمور الرشيد
فبينما نحن جلوس إذ دخل عليه جماعة من
أصحاب الحوائج فقضاها لهم ثم توجهوا
لشأنهم فكان آخرهم قياما أحمد بن أبي
خالد الأحوال فنظر يحيى إليه والتفت إلى
الفضل ابنه وقال يا بني إن لأبيك مع أبي
هذا الفتى حديثا فإذا فرغت من شغلي
هذا فاذكرني أحدثك به فلما فرغ شغله
وطعم قال له ابنه الفضل أعزك الله يا أبي
امررتني أن

المستطرف [جزء 1 - صفحة 511]

أذكرك حديث أبي خالد الاحوال قال نعم يا
بني لما قدم أبوك من العراق أيام المهدي
كان فقيرا لا يملك شيئا فاشتد بي الأمر
إلى أن قال لي من في منزلي إنا فقد
كتمنا حالنا وزاد ضررنا ولنا اليوم ثلاثة أيام
ما عندنا شيء نقتات به قال فبكيت يا بني
لذلك بكاء شديدا وبقيت ولهان وحيران
مطرقا مفكرا ثم تذكرت منديلا كان عندي

فقلت لهم ما حال المنديل فقالوا هو باق
عندنا فقلت ادفعوه لي فأخذه ودفعته
إلى بعض أصحابي وقلت له بعه بما تيسر
فباعه بسبعة عشر درهما فدفعتها إلى
أهلي وقلت أنفقوها إلى أن يرزق الله
غيرها ثم بكرت من الغد إلى باب أبي خالد
وهو يومئذ وزير المهدي فإذا الناس وقوف
على داره ينتظرون خروجه فخرج عليهم
راكبا فلما رأي سلم علي وقال كيف
حالك فقلت يا أبا خالد ما حال رجل يبيع
من منزله بالأمس منديلا بسبعة عشر
درهما فنظر إلي نظرا شديدا وما أجابني
جوابا فرجعت إلى أهلي كسير القلب
وأخبرتهم بما اتفق لي مع أبي خالد فقالوا
بئس والله ما فعلت توجهت إلى رجل كان
يرتضيك لأمر جليل فكشفت له سر
وأطلعت على مكنون أمر فأزريت عنده
بنفسك وصغرت عنده منزلتك بعد أن كنت
عنده جليلا فما يراك بعد اليوم إلا بهذه
العين فقلت قد قضى الأمر الآن بما لا
يمكن استدراكه فلما كان من الغد بكرت
إلى باب الخليفة فلما بلغت الباب
استقبلني رجل فقال لي قد ذكرت
الساعة بباب أمير المؤمنين فلم ألتفت
لقوله فاستقبلني آخر فقال لي كمقالة

الأول ثم استقبلني حاجب أبي خالد فقال
لي أين تكون قد امرني أبو خالد باجلاسك
إلى أن يخرج من عند أمير المؤمنين
فجلست حتى خرج فلما راني دعاني وأمر
لي بمركب فركبت وسرت معه إلى منزله
فلما نزل قال علي بفلان وفلان الحناطين
فأحضرا فقال لهما ألم تشتريا مني غلات
السواد بثمانية عشر ألف ألف درهم قالوا
نعم قال ألم اشترط عليكما شركة رجل
معكما قالوا بلى قال هو هذا الرجل الذي
اشترطت شركته لكما ثم قال لي قم
معهما فلما خرجنا قالوا لي ادخل معنا بعض
المساجد حتى نكلمك في أمر يكون لك فيه

المستطرف [جزء 1 - صفحة 512]

الريح الهنيء فدخلنا مسجدا فقالوا لي إنك
تحتاج في هذا الامر إلى وكلاء وأمناء
وكياليين وأعوان ومؤن لم تقدر منها على
شيء فهل لك أن تبيعن شركتك بمال
نعجله فتنفع به ويسقط عنك التعب
والكلف فقلت لهما وكم تبذلان لي فقالوا
مائة ألف درهم فقلت لا أفعل فما زالا
يزيداني وأنا لا أرضى إلى ان قالوا لي

ثلاثمائة ألف درهم ولا زيادة عندنا على
هذا فقلت حتى أشاور أبا خالد قال ذلك لك
فرجعت إليه وأخبرته فدعا بهما وقال لهما
هل وافقتماه على ما ذكر قال نعم قال
أذهبا فاقبضاه المال الساعة ثم قال لي
أصلح أمرك وتهيأ فقد قلدتك العمل
فأصلحت شأني وقلدني ما وعدني به فما
زلت في زيادة حتى صار أمري إلي ما صار
ثم قال لولده الفضل يا بني فما تقول في
ابن من فعل بأبيك هذا الفعل وما جزاؤه
قال حق لعمرى وجب عليك له فقال والله
يا ولدي ما أجد له مكافأة غير أني أعزل
نفسي وأوليه ففعل ذلك رضي الله عنه
وهكذا تكون المكافأة

ومن ذلك ما حكى عن العباس صاحب
شرطة المأمون قال دخلت يوما مجلس
أمير المؤمنين ببغداد وبين يديه رجل مكبل
بالحديد فلما رأيته قال لي عباس قلت
لبيك يا أمير المؤمنين قال خذ هذا إليك
فاستوثق منه واحتفظ به وبكر بهإلي في
غد واحترز عليه كل الإحتراز قال العباس
فدعوت جماعة فحملوه ولم يقدر أن
يتحرك فقلت في نفسي مع هذه الوصية
التي أوصاني بها أمير المؤمنين من
الأحتفاظ به ما يجب إلا أن يكون معي في

بيتي فأمرتهم فتركوه في مجلس لي في
داري ثم أخذت أسأله عن قضيته وعن حاله
ومن أين هو فقال أنا من دمشق فقلت
جزى الله دمشق وأهلها خيرا فمن أنت من
أهلها قال وعمن تسأل قلت أتعرف فلانا
قال ومن أين تعرف ذلك الرجل فقلت
وقع لي معه قضية فقال ما كنت بالذي
أعرفك خبره حتى تعرفني قضيتك معه
فقال ويحك ما كنت مع بعض الولاة
بدمشق فبغى أهلها وخرجوا علينا حتى أن
الوالي تدلى في زنبيل من قصر الحجاج
وهرب هو وأصحابه وهربت في جملة
القوم فبينما أنا هارب في بعض الدروب
وإذا بجماعة يعدون خلفي فما

المستطرف [جزء 1 - صفحة 513]

زلت أعدو أمامهم حتى فتهم فمررت بهذا
الرجل الذي ذكرته لك وهو جالس على باب
داره فقلت أغثني أغاثك الله قال لا بأس
عليك أدخل الدار فدخلت فقالت زوجته
أدخل تلك المقصورة فدخلتها ووقف
الرجل على باب الدار فما شعرت إلا وقد
دخل والرجال معه يقولون هو والله عندك

فقال دونكم الدار ففتشوها حتى لم يبق
سوى تلك المقصورة وامراته فيها فقالوا
هو ههنا فصاحت بهم المرأة ونهرتهم
فانصرفوا وخرج الرجل وجلس على باب
داره ساعة وأنا قائم أرجف ما تحملني
رجلاي من شدة الخوف فقالت المرأة
اجلس لا بأس عليك فجلست فلم ألبث
حتى دخل الرجل فقال لا تخف قد صرف
الله عنك شرهم وصرت إلى الامن والدعة
إن شاء الله تعالى فقلت له جزاك الله
خييرا فما زال يعاشرني احسن معاشرة
وأجملها وأفرد لي مكانا في داره ولم
يحوجني إلى شيء ولم يفتر عن تفقد
أحوالي فأقمت عنده أربعة أشهر في أرغد
عيش وأهنئه إلى ان سكنت الفتنة وهدأت
وزال أثرها فقلت له أتأذن لي في الخروج
حتى أتفقد حال غلماني فلعلي أقف منهم
على خبر فأخذ علي الموائيق بالرجوع إليه
فخرجت وطلبت غلماني فلم أر لهم أثرا
فرجعت إليه وأعلمته الخبر وهو مع هذا
كله لا يعرفني ولا يسألني ولا يعرف
اسمي ولا يخاطبني إلا بالكنية فقال علام
تعزم فقلت عزمتم على التوجه إلى بغداد
فقال القافلة بعد ثلاثة أيام تخرج وها أنا
قد أعلمتك فقلت له إنك تفضلت علي هذه

المدة ولك علي عهد الله أني لا أنسى لك
هذا الفضل ولأوفينك مهما أستطعت قال
فدعا غلاما له أسود وقال له اسرج الفرس
الفلاني ثم جهز آلة السفر فقلت في
نفسي أظن أنه يريد أن يخرج إلى ضيعة أو
ناحية من النواحي فأقاموا يومهم ذلك في
كد وتعب فلما كان يوم خروج القافلة
جاءني السحر وقال لي يا فلان قم فإن
القافلة تخرج الساعة وأكره أن تنفرد عنها
فقلت في نفسي كيف أصنع وليس معي
ما أتزود به ولا ما أكرى به مركوبا ثم قمت
فإذا هو وامراته

المستطرف [جزء 1 - صفحة 514]

يحملان بقجة من أفخر الملابس وخفين
جديدين وآلة السفر ثم جاءني بسيف
ومنطقة فشدهما في وسطلي ثم قدم بغلا
فحمل عليه صندوقين وفوقها فرش ودفع
إلي نسخة ما في الصندوقين وفيهما
خمسة آلاف درهم وقدم إلي الفرس الذي
كان جهزه وقال اركب وهذا الغلام الاسود
يخدمك ويسوس مركوبك وأقبل هو
وامراته يعتذران إلي من التقصير في

أمري وركب معي يشيعني وانصرفت إلى
بغداد وأنا أتوقع خبره لأفي بعهدي له في
مجازاته ومكافأته وأشغلت مع أمير
المؤمنين فلم أتفرغ أن أرسل إليه من
يكشف خبره فلهذا أنا أسأل عنه
فلما سمع الرجل الحديث قال لقد أمكنك
الله تعالى من الوفاء ومكافأته على فعله
ومجازاته على صنيعه بلا كلفة عليك ولا
مؤنة تلزمك فقلت وكيف ذلك قال أنا ذلك
الرجل وإنما الضر الذي أنا فيه غير عليك
حالي وما كنت تعرفه مني ثم لم يزل يذكر
لي تفاصيل الأسباب حتى أثبت معرفته
فما تمالكت أن قمت وقبلت رأسه ثم قلت
له فما الذي أصارك إلى ما أرى فقال
هاجت بدمشق فتنة مثل الفتنة التي كانت
في أيامك فنسبت إلي وبعث أمير
المؤمنين بجيوش فأصلحوا البلد وأخذت
أنا وضربت إلى أن اشرفت على الموت
وقيدت وبعث بي إلي أمير المؤمنين
وأمرني عنده عظيم وخطبي لديه جسيم
وهو قاتلي لا محالة وقد أخرجت من عند
أهلي بلا وصية وقد تبعني من غلماني من
ينصرف إلي أهلي بخبري وهو نازل عند
فلان فإن رأيت أن تجعل من مكافأتك لي
أن ترسل من يحضره لي حتى أوصيه بما

أريد فإن أنت فعلت ذلك فقد جاوزت حد
المكافأة وقمت لي بوفاء عهدك قال
العباس قلت يصنع الله خيرا ثم أحضر
حدادا في الليل فك قيوده وأزال ما كان
فيه من الأنكال وأدخله حمام داره وألبسه
من الثياب ما احتاج إليه ثم سير من أحضر
إليه غلامه فلما رآه جعل يبكي ويوصيه
فاستدعى العباس نائبه وقال علي
بالفرس

المستطرف [جزء 1 - صفحة 515]

الفلااني والفرس الفلااني والبغل الفلااني
والبغلة الفلانية حتى عد عشرة ثم عشرة
من الصناديق ومن الكسوة كذا وكذا ومن
الطعام كذا وكذا قال ذلك الرجل وأحضر
لي بدرة عشرة الاف درهم وكيسا فيه
خمسة الاف دينار وقال لنائبه في
الشرطة خذ هذا الرجل وشيعه الى حد
الانبار فقلت له ان ذنبي عند امير
المؤمنين عظيم وخطبي حسيم وان انت
احتججت بأني هربت بعث أمير المؤمنين
في طلبي كل من على بابه فأرد وأقتل
فقال لي أنج بنفسك ودعني أدبر أمري

فقلت والله ما أبرح من بغداد حتى أعلم ما يكون من خبرك فإن احتجت الى حضوري حضرت فقال لصاحب الشرطة إن كان الامر على ما يقول فليكن في موضع كذا فإن أنا سلمت في غداة غد أعلمته وإن أنا قتلت فقد وقيته بنفسي كما وقاني بنفسه وأنشدك الله أن لا يذهب من ماله درهم وتجتهد في إخراجك من بغداد قال الرجل فأخذني صاحب الشرطة وصيرني في مكان أثق به وتفرغ العباس لنفسه وتحنط وجهه له كفنا قال العباس فلم أفرغ من صلاة الصبح إلا وأرسل المأمون في طلبي ويقولون يقول لك أمير المؤمنين هات الرجل معك وقم قال فتوجهت الى دار أمير المؤمنين فاذا هو جالس وعليه ثيابه وهو ينتظرنا فقال أين الرجل فسكت فقال ويحك أين الرجل فقلت يا أمير المؤمنين اسمع مني فقال لله علي عهد لئن ذكرت إنه هرب لأضربن عنقك فقلت لا والله يا أمير المؤمنين ما هرب ولكن اسمع حديثي وحديثه ثم شأنك ما تريد أن تفعله في أمري قال قل فقلت يا أمير المؤمنين كان من حديثي معه كيت وكيت وقصصت عليه القصة جميعها وعرفته انني أريد أن أفي له وأكافئه على

ما فعله معي وقلت أنا وسيدي ومولا
أمير المؤمنين بين أمرين إما ما فعله معي
إما أن يصفح عني فأكون قد وفيت
وكافأت وإما أن يقتلني فأقيه بنفسي
وقد تحنطت وها كفني يا أمير المؤمنين
فلما سمع المأمون الحديث قال ويلك لا
جراك الله عن نفسك خيرا انه فعل بك ما
فعل من غير معرفة وتكافئه بعد المعرفة
والعهد بهذا لا غير هلا عرفتني خبره فكنا
نكافئه عنك ولا نقصر في وفائك له فقلت
يا أمير المؤمنين إنه ههنا قد حلف

المستطرف [جزء 1 - صفحة 416]

أن يبرح حتى يعرف سلامتي فإن احتجت
إلى حضوره حضر فقال المأمون وهذه
منه أعظم من الأولى اذهب الآن إليه
فطليب نفسه وسكن روعه واثنتي به حتى
أتولى مكافأته قال العباس فأتيت إليه
وقلت له ليزل خوفك إن أمير المؤمنين قال
كيت وكيت فقال الحمد لله الذي لا يحمده
على السراء والضراء سواء ثم قام فصلى
ركعتين ثم ركب وجئنا فلما مثل بين يدي
أمير المؤمنين أقبل عليه وأدناه من

مجلسه وحده حتى حضر الغداء وأكل معه
وخلع عليه وعرض عليه أعمال دمشق
فاستعفى فأمر له المأمون بعشرة أفراس
بسروجها ولجمها وعشرة أبغال بالاتها
وعشر بدر وعشرة آلاف دينار وعشرة
ممالك بدوابهم وكتب إلى عامله بدمشق
بالوصية به وإطلاق خراج وأمره بمكاتبتة
بأحوال دمشق فصارت كتبه تصل إلى
المأمون وكلما وصلت خريطة البريد وفيها
كتابة يقول لي يا عباس هذا كتاب صديقك
والله تعالى أعلم

ومن عجائب هذا الأسلوب وغرائبه
ما أورده محمد بن القاسم الأنباري رحمه
الله تعالى أن سوارا صاحب رجة سوار
وهو من المشهورين قال انصرفت يوما
من دار الخليفة المهدي فلما دخلت منزلي
دعوت بالطعام فلم تقبله نفسي فأمرت
به فرفع ثم دعوت جارية كنت أحبها وأحب
حديثها واشتغل بها فلم تطب نفسي
فدخل وقت القائلة فلم يأخذني النوم
فنهضت وأمرت ببغلة فأسرجت واحضرت
فركبته فلما خرجت من المنزل
استقبلني وكيل لي ومعه مال فقلت ما
هذا فقال ألفا درهم جبيتها من مستغلك
الجديد قلت أمسكها معك واتبعني

فأطلقت رأس البغلة حتى عبرت الجسر
ثم مضيت في شارع دار الرقيق حتى
انتهيت إلى الصحراء ثم رجعت إلى باب
الأنبار وانتهيت إلى باب دار نظيف عليه
شجرة وعلى الباب خادم فعطشت فقلت
للخادم أعندك ماء

المستطرف [جزء 1 - صفحة 517]

تسفينيه قال نعم ثم دخل وأحضر قلة
نظيفة طيبة الرائحة عليها منديل فناولني
فشربت وحضر وقت العصر فدخلت
مسجدا على الباب فصليت فيه فلما
قضيت صلاتي إذ أنا بأعمى يلتمس فقلت
ما تريد يا هذا قال إياك أريد قلت فما
حاجتك فجاء حتى جلس إلى جانبي وقال
شممت منك رائحة طيبة فظننت أنك من
أهل النعم فاردت أن أحدثك بشيء فقلت
قل قال ألا ترى إلى باب هذا القصر قلت
نعم قال هذا قصر كان لأبي فباعه وخرج
إلى خراسان وخرجت معه فرالت عنا
النعم التي كنا فيها وعميت فقدفت هذه
المدينة فأتيت صاحب هذا الدار لأسأله
شيئا يصلني به وأتوصل إلى سوار فإنه

كان صديقا لأبي فقلت ومن ابوك قال
فلان بن فلان فعرفته فإذا هو كان من
أصدق الناس إلي فقلت له يا هذا ان الله
تعالى قد أتاك بسوار منعه من الطعام
والنوم والقرار حتى جاء به فأقعه بين
يديك ثم دعوت الوكيل فأخذت الدراهم منه
فدفعتها إليه وقلت له إذا كان الغد فسر
إلى منزلي ثم مضيت وقلت ما أحدث أمير
المؤمنين بشيء أظرف من هذا فأتيته
فاستأذنت عليه فأذن لي فلما دخلت عليه
حدثته بما جرى لي فأعجبه ذلك وأمر لي
بألقي دينار فأحضرت فقال ادفعها إلى
الاعمى فنهضت لأقوم فقال اجلس
فجلست فقال أعليك دين قلت نعم قال
كم دينك قلت خمسون ألفا فحادثني ساعة
وقال امض إلى منزلك فمضيت إلى منزلي
فإذا بخادم معه خمسون ألفا وقال يقول
لك أمير المؤمنين اقض بها دينك قال
فقبضت منه ذلك فلما كان من الغد أبطأ
على الاعمى وأتاني رسول المهدي
يدعوني فجئته فقال قد فكرت البارحة
في أمرك فقلت يقضي دينه ثم يحتاج إلى
القرض أيضا وقد أمرت لك بخمسين ألفا
أخرى قال فقبضتها وانصرفت فجاءني
الاعمى فدفعته إليه الألفي دينار وقلت له

قد رزقك الله تعالى بكرمه وكافأك على
إحسان أبيك وكافأني على إسداء المروف
إليك ثم أعطيته شيئاً آخر من مالي فأخذه
وانصرف والله سبحانه وتعالى أعلم

المستطرف [جزء 1 - صفحة 518]

ومما هو أوضح حسنا وأرجح معنى ما حكاه
القاضي يحيى بن أكرم رحمة الله عليه
قال دخلت يوما على الخليفة هرون
الرشيد ولد المهدي وهو مطرق مفكر
فقال لي أتعرف قائل هذا البيت
الخير أبقي وإن طال الزمان به ... والشر
(أخبث ما أوعيت من زاد
فقلت يا أمير المؤمنين إن لهذا البيت شأنًا
مع عبيد بن الأبرص فقال علي بعبيد فلما
حضر بين يديه قال له أخبرني عن قضية
هذا البيت فقال يا أمير المؤمنين كنت في
بعض السنين حاجا فلما توسطت البادية
في يوم شديد الحر سمعت ضجة عظيمة
في القافلة ألحقت أولها بآخرها فسألت
عن القصة فقال لي رجل من القوم تقدم
تر ما بالناس فتقدمت إلى أول القافلة
فإذا أنا بشجاع أسود فاغر فاه كالجدع وهو

يخور كما يخور الثور ويرغو كرها البعير
فها لني أمره وبقيت لا أهتدي إلى ما أصنع
في أمره فعدلنا عن طريقه إلى ناحية
أخرى فعارضنا ثانيا فعلمت أنه لسبب ولم
يجسر أحد من القوم أن يقربه فقلت
أفدي هذا العالم بنفسي وأتقرب إلى الله
تعالى بخلاص هذه القافلة من هذا فأخذت
قربة من الماء فتقلدتها وسللت سيفي
وتقدمت فلما رأني قربت منه سكن
وبقيت متوقعا منه وثبة يبتلعني فيها فلما
رأى القربة فتح فاه فجعلت فم القربة فيه
وصببت الماء كما يصب في الإناء فلما
فرغت القربة تسبب في الرمل ومضى
فتعجبت من تعرضه لنا وانصرافه عنا من
غير سوء لحقنا منه ومضينا لحجنا ثم عدنا
في طريقنا ذلك وحططنا في منزلنا ذلك
في ليلة مظلمة مدلهمة فأخذت شيئا من
الماء وعدلت إلى ناحية عن الطريق
فقضيت حاجتي ثم توضأت وصليت
وجلست أذكر الله تعالى فاخذتني عيني
فنمت مكاني فلما استيقظت

من النوم لم اجد للقافلة حسا وقد ارتحلوا
وبقيت منفردا لم أر أحدا ولم أهتد إلى ما
أفعله وأخذتني حيرة وجعلت أضطرب وإذا
بصوت هاتف أسمع صوته ولا أرى شخصه
يقول

يا أيها الشخص المضل مركبة ... ما عنده

(من ذي رشاد يصحبه

دونك هذا البكر منا تركبه ... وبكرك)

(الميمون حقا تجنبه

حتى إذا ما الليل زال غيبه ... عند)

(الصباح في الفلا تسببه

فنظرت فإذا أنا ببكر قائم عندي وبكري

إلى جانبي فأنخته وركبته وجنبت بكري

فلما سرت قدر عشرة أميال لاحت لي

القافلة وانفجر الفجر ووقف البكر

فعلمت أنه قد حان نزولي فتحولت إلى

بكري وقلت

يا أيها البكر قد أنجيت من كرب ... ومن)

(هموم تضل المدلج الهادي

ألا تخبرني بالله خالقنا ... من ذا الذي جاد)

(بالمعروف في الوادي

وارجع حميدا فقد بلغتنا منا ... بوركت)

(من ذي سنام رائح غادي

فالتفت البكر إلي وهو يقول

أنا الشجاع الذي الفيتني رمضا ... والله)

(يكشف ضر الحائر الصادي
فجدت بالماء لما صن حاملة ... تکرما منك)
(لم تمنن بانکاد
فالخير أبقي وإن طال الزمان به ...)
(والشر أخبث ما أوعيت من زاد
هذا جزاؤك مني لا أمن به ... فاذهب)
(حميدا رعاك الخالق الهادي
فعجب الرشيد من قوله وامر بالقصة
والأبيات فكتبت عنه وقال لا يضيع
المعروف أين وضع والله سبحانه وتعالى
أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب
تم الجزء الاول من كتاب المستطرف
ويليه الجزء الثاني وأوله الباب الثالث
والأربعون

المستطرف [جزء 2 - صفحة 3]

بسم الله الرحمن الرحيم
الباب الثالث والأربعون في الهجاء
ومقدماته
القصد من الهجاء الوقوف على ملحه وما
فيه من ألفاظ فصيحة ومعان بديعة لا
التشفي بالاعراض والوقوع فيها وليس
الهجاء دليلا على إساءة المهجو ولا صدق

الشاعر فيما رماه به فما كل مذموم بزميم
وقد يهجي الانسان بهتانا وظلما أو عبثا أو
ارهابا

قال المتوكل لأبي العيناء كم تمدح الناس
وتذمهم قال ما أحسنوا وأساءوا

وقد رضي الله تعالى على عبد من عبده
فمدحه فقال نعم العبد إنه أراب وغضب
على آخر فقال مناع للخير معتد أثيم عتل
بعد ذلك زنيم قيل الزنيم الملتصق بالقوم
وليس منهم وقال دعبل في المأمون بعد
البيعة له وقتل الأمين

إني من القوم الذين همو همو ... قتلوا
(أخاك وشرفوك بمقعد

شادوا لذكرك بعد طول خموله ...)

(واستنقذوك من الحضيض الأوهـد

فقال المأمون ما أبهته ليت شعري متى
كنت حاملا وفي حجر الخلافة ربيت وبدرها
غذيت

ولما قتل جعفر بن يحيى بكى عليه أبو
نواس فقليل له أتبكي على جعفر وأنت
هجوته فقال كان ذلك لركوب الهوى وقد
بلغه والله أني قلت

ولست وإن أطنبت في وصف جعفر ...)
(بأول إنسان خري في ثيابه
فكتب يدفع إليه عشرة آلاف درهم يغسل
بها ثيابه
ومن العبث بالهجو ما روي أن الحطيئة هم
بهجاء فلم يجد من يستحقه فقال
أبت شفتاي اليوم إلا تكلما ... بسوء فلا)
(أدري لمن أنا قائله
أرى بي وجهها قبح الله خلقه ... فقيح من)
(وجه وقبح حامله
وعبث بأمه فقال
تنحي فاجلسي عنا بعيدا ... أراح الله منك)
(العالمينا
أغربالا إذا استودعت سرا ... وكانونا على)
(المتحدثينا
حياتك ما علمت حياة سوء ... وموتك قد)
(يسر الصالحينا
وقال رجل ما أبالي أهجيت أم مدحت
فقال له الأحنف أرحت نفسك من تعب
الكرام
وقال رجل لآخر إن هجوتني أتموت ابنتي
قال لا قال أفتخرب ضيعتي قال لا قال
فرجلي مع ساقبي إلى حلقي في حر أمك
قال ولم تركت رأسك قال لأنظر ما تصنع

وأنا أقول إنما يخشى من الهمجو من يخاف
على عرضه وأما من لا يخاف على عرضه
فقد يستوي عنده المدح والذم وبئس
الرجل ذاك

وكان الرجل من نمير إذا قيل له ممن
الرجل يقول من نمير وأمال بها عنقه
فلما هجاهم جرير بقوله
فغض الطرف إنك من نمير ... فلا كعبا
(بلغت ولا كلابا)

صار إذا قيل لأحدهم ممن الرجل يقول من
بني عامر وما لقيت قبيلة من العرب بهجو
ما لقيت نمير بهجو جرير
وهجا ابن سام رجلا فقال
يا طلوع الرقيب من غير إلف ... يا غريما
(أتى على ميعاد)
يا ركودا في وقت غيم وصيف ... يا وجوه
(التجار يوم كساد)

المستطرف [جزء 2 - صفحة 5]

وقصد ابن عينة قبضة المهلبى
واستماحه فلم يسمح له بشيء فانصرف
مغضبا فوجه إليه داود بن يزيد بن حاتم
فترضاه وأحسن إليه فقال في ذلك

داود محمود وأنت مذمم ... عجا لذاك
(وأنتما من عود
ولرب عود قد يشق لمسجد ... نصفا)
(وباقيه لحش يهودي
فالحش أنت له وذاك بمسجد ... كم بين)
(موضع مسلح وسجود
هذا جزاؤك يا قبيص لأنه ... جادت يداه)
(وأنت قبل حديد
وله هجاء في خالد
أبوك لنا غيث يغيث بوبله ... وأنت جراد)
(لست تبقي ولا تذر
له أثر في المكرمات يسرنا ... وأنت)
(تعفي دائما ذلك الأثر
وقال المبرد في حقه لم يجتمع لأحد من
المحدثين في بيت واحد هجاء رجل ومدح
أبيه إلا له
ولما قعد حماد عجرد لتأديب ولد الأمين
قال بشار بن برد
قل للأمين جزاك الله صالحه ... لا يجمع)
(الله بين السخل والذئب
السخل يعلم أن الذئب آكله ... والذئب)
(يعلم ما بالسخل من طيب
وقال فيه أيضا
يا أبا الفضل لا تنم ... وقع الذئب في)
(الغنم)

(إن حماد عجرد ... شيخ سوء قد اغتتم)
(بين فخديه حربة ... في غلاف من الأدم)
(إن رأى ثم غفلة ... يجمع الميم بالقلم)
فشاعت الأبيات فأمر الأمين باخراج حماد
وقال رجل لأخيه لأبويه لأهجونك هجاء
يدخل معك في قبرك قال كيف تهجوني
وأبوك أبي وأمك أمي قال أقول

المستطرف [جزء 2 - صفحة 6]

ذ 6

(بني أمية هبوا طال نومكمو ... إن الخليفة)
(يعقوب بن داود
ضاعت خلافتكم يا قوم فالتمسوا ...)
(خليفة الله بين الماء والعود
فدخل يعقوب على المهدي فأخبره أن
بشارا هجاه فاغتاظ المهدي وانحدر إلى
البصرة لينظر في أمرها فسمع أذانا في
ضحى النهار فقال انظروا ما هذا وإذا به
بشار وهو سكران فقال له يا زنديق عجب
أن يكون هذا من غيرك ثم أمر به فضربه
سبعين سوطا حتى أتلفه بها وألقي في
سفينة فقال عين الشمقمق تراني حيث
يقول ألقى في سفينة فقال عين

الشمقمق تراني حيث يقول
(إن بشار بن برد ... تيس أعمى في سفينة)

فلما مات ألقيت جثته في الماء فحمله
الماء فأخرجه إلى الدجلة فجاء بعض أهله
فحملوه إلى البصرة وأخرجت جنازته فما
تبعه أحد وتباشر عامة الناس بموته لما
كان يلحقهم من الأذى منه
وخاصم أبو دلامة رجلا فارتفعا إلى عافية
القاضي فلما رآه أبر دلامة أنشد يقول
لقد خاصمتني دهاة الرجال ... وخاصمتها
(سنة وافية)

فا أدحض الله لي حجة ... ولا خيب الله لي
(قافية)

ومن خفت من جوره في القضاء ...
(فليست أخافك يا عافية)
فقال عافية لأشكونك إلى أمير المؤمنين
ولأعلمنه أنك هجوتني قال له أبو دلامة إذا
والله يعزلك

قال ولم قال لأنك لا تعرف الهجاء من
المدح قال فبلغ ذلك المنصور فضحك وأمر
له بجائزة

ودخل أبو دلامة على المهدي وعنده
إسماعيل بن علي وعيسى بن موسى
والعباس بن محمد وجماعة من بني هاشم

فقال له المهدي والله لئن لم تهج واحدا
ممن في هذا البيت لأقطعن لسانك
فنظر إلى القوم وتحير في أمره وجعل
ينظر إلى كل واحد فيغمزه بأن عليه رضاه
قال

المستطرف [جزء 2 - صفحة 7]

أبو دلامة فازددت حيرة فما رأيت أسلم لي
من أن أهجو نفسي فقلت
ألا أبلغ لديك أبا دلامة ... فلست من
(الكرام ولا كرامه)
جمعت دمامة وجمعت لؤما ... كذاك اللؤم
(تتبعه الدمامه)
إذا لبس العمامة قلت قردا ... وخنزيرا إذا
(نزع العمامه)
فضحك القوم ولم يبق منهم أحدا إلا أجازه
وقال ابن الأعرابي إن أهجى بيت قاله
المحدثون قول محمد بن وهب في محمد
بن هاشم
لم تند كفاك من بذل النوال كما ... لم يند
(سيفك مذ قلده بدم)
وهجا بعضهم القمر فقال يهدم العمر
ويوجب أجرة المنزل ويشجب الألوان

ويقرض الكتان ويضل الساري ويعين
السارق ويفضح العاشق
ولابن منقذ في أبي طليب المصري وقد
احترقت داره
أنظر إلى الأيام كيف تسوقنا ... قسرا
(إلى الأقدار بالأقدار
ما أوقد ابن طليب قط بداره ... نارا وكان)
(خرابها بالنار
وكان للوجيه بن صورة المصري دلال
الكتب دار بمصر موصوفة بالحسن
فاحترقت فقال فيها ابن المنجم
أقول وقد عاينت دار ابن صورة ... وللنار)
(فيها وهجة تتضرم
فما هو إلا كافر طال عمره ... فجاءته لما)
(استبطأته جهنم
وقد أحسن الأديب كمال الدين علي بن
محمد بن المبارك الشهير بابن الأعمى في
ذم دار كان يسكنها حيث قال
دار سكنت بها أقل صفاتها ... أن تكثر)
(الحشرات في جنباتها
الخير عنها نازح متباعد ... والشر دان من)
(جميع جهاتها
من بعض ما فيها البعوض عدمته ... كم)
(أعدم الاجفان طيب سناتها

المستطرف [جزء 2 - صفحة 8]

- (وتبيت تسعدها براغيث متى ... غنت لها)
(رقصت على نغماتها)
(رقص بتنقيط ولكن قافه ... قد قدمت)
(فيه على أخواتها)
(وبها ذباب كالضباب يسد عين ... الشمس)
(ما طربي سوى غناها)
(أين الصوارم والقنا من فتكها ... فينا)
(وأين الأسد من وثباتها)
(وبها من الخطاف ما هو معجز ... أبصارنا)
(عن وصف كيفياتها)
(وبها خفافيش تطير نهارها ... مع ليلها)
(ليست على عاداتها)
(وبها من الجردان ما قد قصرت ... عنه)
(العتاق الجرد في حملاتها)
(وبها خفافس كالطنافس أفرشت ... في)
(أرضها وعلت على جنباتها)
(لو شم أهل الحرب منتن فسوها ... أردى)
(الكماء الصيد عن صهواتها)
(وبنات وردان وأشكال لها ... مما يفوت)
(العين كنه ذواتها)
(أبدا تمص دماءن ا فكأنها ... حجارة لبدت)
(على كاساتها)

وبها من النمل السليمانى ما ... قد قل)
(ذو الشمس عن ذراتها
وما راعنى شيء سوى وزغانها ...)
(فتعودوا الله من لدغاتنا
سجعت على أوكارها فظننتها ... ورق)
(الحمام سجعن فى شجراتها
وبها زنابير تظن عقاربها ... حر السموم)
(أخف من زفراتها
وبها عقارب كالأقارب رتع ... فىنا حمانا)
(اله لدغ حماتها
كيف السبيل إلى النجاة ولا نجاه ... ولا)
(حياة لمن رأى حياتها
منسوجة بالعنكبوت سماؤها ... والأرض)
(قد نسجت على أفاتها
فضجيجها كالرعد فى جنباتها ... وترابها)
(كالرمل فى خشنائها
والبوم عاكفة على أرجائها ... والدود)
(يبحث فى ثرى عرصاتها
والجن تأتيها إذا جن الدجى ... تحكى)
(الخيول الجرد فى حملاتها
والنار جزء من تلهب حرها ... وجهنم)
(تعزى إلى لفحاتها
شاهدت مكتوبا على أرجائها ... ورأيت)
(مسطورا على جنباتها

المستطرف [جزء 2 - صفحة 9]

- (لا تقربوا منها وخافوها ولا ... تلقوا)
(بأيديكم إلى هلكاتها)
(أبدا يقول الداخلون ببابها ... يا رب نج)
(الناس من آفاتنا)
(قالوا إذا ندب الغراب منازلنا ... يتفرق)
(السكان من ساحاتها)
(وبنارنا ألقا غراب ناعق ... كذب الرواة)
(فأين صدق روايتها)
(صبرا لعل الله يعقب راحة ... للنفس إذ)
(غلبت على شهواتها)
(دار تبث الجن تحرس نفسها ... فيها)
(وتندب باختلاف لغاتها)
(كم بت فيها مفردا والعين من ... شوق)
(الصباح تسح من عبراتها)
(وأقول يا رب السموات العلا ... يا رازقا)
(للوحش في فلواتها)
(أسكنتني بجهنم الدنيا ففي ... أخراي)
(هب لي الخلد في جناتها)
(واجمع بمن أهواه شملي عاجلا ... يا)
(جامع الأرواح بعد شتاتها)
(ولبعضهم في بلان)
(أشكوا إلى الله بلانا بليت به ... مست)

(أنامله ظهري فأدما ني
فلا يد لك تدليكا بمعرفة ... ولا يسرح)
(تسريحا باحسان
وللشيخ شمس الدين البدوي في بلان
أيضا
وبلان له ظهر يباهي ... به حد الشفار
المرهفات)
(هري جسمي فالبسّه نجيعا ... على حلل
الستور السابلات
ورام يلين أعضائي برفق ... فأيبسها)
(وكسر فوقحاني
ولم أنظر له أبدا جميلا ... وذلك من)
(عظيم المهلكات
وأعمى مقلتي بصنان أبط ... يفوح به)
(على كل الجهات
فلا تجعل إلهي مثل هذا ... يغسلني إذا)
(حانت وفاتي
ولبعضهم في حمام
وحمام دخلناه لأمر ... حكى سقرا وفيها)
(المجرمونا

المستطرف [جزء 2 - صفحة 10]

فيصطرخوا يقولوا أخرجونا ... فإن عدنا

(فانا ظالمونا
وللشريف أبي على الهاشمي البغدادي
في نظام الملك يهدده بالهجاء يقول
أجمل يا نظام الملك أني ... أعاود من)
(ذراك كما قدمت
وأصدر عن حياضك وهي نهب ... فأفواه)
(السقاة وما وردت
يدل على فعالك سوء حالي ... ويخبر عن)
(نوالك إن كتمت
إذا استخبرت ماذا نلت منه ... وقد عم)
(الوري كرما سكت
وممن عرض بالهجو في شعره الخوارزمي
قال في أبي جعفر
أبا جعفر لست بالمنصف ... ومثلك إن)
(قال قولا يفي
فإن أنت أنجزت لي ما وعدت ... وإلا)
(هجيت وأدخلت في
وقد علم الناس ما بعد في ... فغط)
(الحديث ولا تكشف
ومدح السراج الوراق إنسانا فلم يجزه
فكتب يعرض له بالهجاء ويهدده يقول
أعد مدحي علي وخذ سواه ... فقد)
(أتعبتني يا مستريح
ولا تغضب إذا أنشدت يوما ... سواه وقيل)
(لي هذا صحيح

وله أيضا يقول
أعد مدحا كذبت عليك فيه ... وقد عوفيت
(بالحرمان عنه
ولكني سأصدق فيك قولا ... فلا يصعب)
(عليك الحق منه)

المستطرف [جزء 2 - صفحة 11]

وقال بعضهم في حجاج قدموا ولم يهدوا
إليه شيئا
مضوا ليحجوا والوجوه كأنها ... تكاد
(لفرط البشر أن توضح السبلا
وعادوا كأن القار فوق وجوههم ... فلا)
(مرحبا بالقادمين ولا سهلا
وجاؤا وما جادوا بعود أراكة ... ولا وضعوا)
(في كف طفل لنا نقلا
وقال آخر
إذا رمت هجوا في فلان تصدني ... خلائق)
(قبح عنه لا تتزحزح
تجاوز قدر الهجو حتى كأنه ... بأقبح ما)
(يهجي به المرء يمدح
وهجا بعضهم امرأة فقال
لها جسم برغوث وساق بعوضة ... ووجه)
(كوجه القرد بل هو أقبح)

تبرق عينيها إذا ما رأيتها ... وتعبس في (وجه الضجيع وتكلج
لها منظر كالنار تحسب أنها ... إذا ضحكت)
في أوجه الناس تلفح
إذا عاين الشيطان صورة وجهها ... تعود)
منها حين يمسي ويصبح
ولبعضهم في عظيم أنف
لك وجه وفيه قطعة أنف ... كجدار قد)
دعموه ببغله
وهو كالقبر في المتال ولكن ... جعلوا)
نصفه على غير قبله
وفيه أيضا
رأينا للزكي جدار أنف ... يضاهي في)
تشامخه الجبالا
تصدى للهلاك لكي يراه ... فلولا عظمه)
لرأى الهلالا
ولبعضهم في أبخر مخنث
قالوا فلان به نتن فقلت لهم ... يا قوم)
قد حار فكري في مساويه

المستطرف [جزء 2 - صفحة 12]

يا قوم لا تعجبوا من نتن نكهته ... فالأير)
يدفع ما فيه إلى فيه

ولصفي الدين الحلي
رأى فرسي اصطبل عيسى فقال لي ...
(قفا نيك من ذكرى حبيب ومنزلي
به لم أذق طعم الشعير كأنني ... بسقط
(اللوى بين الدخول فحومل
تقعقع من برد الشتاء أضالعي ... لما
(نسجتها من جنوب وشمال
وله أيضا
ليهتك إن لي ولداً وعبدا ... سواء في
(المقال وفي المقام
فهذا سابق من غير سين ... وهذا عاقل
(من غير لام
وله في طبيب يدعى إسحاق
مباضع إسحق الطبيب كأنها ... لها بفناء
(العالمين كفيل
معودة أن لا تسل نصالها ... فتغمد حتى
(يستباح قتيل
وله في أحرق طويل اللسان
لو أن قوة وجهه في قلبه ... قنص الأسود
(وجندل الأبطال
أو كان طول لسانه بيمينه ... أفنى الكنوز
(وأنفذ الأموال
وهجا اعرابي رجلا ثم مدحه فقال
إني مدحتك من فساد قريحتي ... وعلمت
(أن المدح فيك يضيع

لكن رأيت المسك عند فسادہ ... يدني)
(إلى بيت الخلا فيضوع
وقيل لبعضهم ما تقول في فلان وفلان
قال هما الخمر والميسر إثمهما أكبر من
نفعهما
وقيل لرجل كيف وجدت فلانا قال طویل
اللسان في اللؤم قصير الباع في الكرم
وثابا على الشر مناعا للخير
وسمع أعرابي قوله تعالى (الأعراب أشد
كفرا ونفاقا) فانتفض ثم سمع قوله
تعالى

المستطرف [جزء 2 - صفحة 13]

ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر)
فقال الله أكبر هجانا ثم مدحنا وكذلك قال
الشاعر
هجوت زهيرا ثم إني مدحته ... وما زالت)
(الأشراف تهجى وتمدح
استب رجلان فقال أحدهما للآخر لو قطع
زبك وعلق لم تبق زانية بالكوفة إلا عرفته
وقال أبو زيد العبدی
ولقد قتلتك بالهجاء فلم تمت ... إن)

(الكلاب طويلة الأعمار
وقال المتوكل لأبي العيناء ما بقي أحد
في المجلس إلا هجاك وذمك غيري فقال
إذا رضيت عني كرام عشيرتي ... فلا زال)
غضبانا علي لئامها

المستطرف [جزء 2 - صفحة 14]

الباب الرابع والأربعون في الصدق والكذب
وفيه فصلان
الفصل الأول
في الصدق
قال الله تعالى مبشرا للصادقين (هذا يوم
ينفع الصادقين صدقهم) وقال تعالى (
والصادقين والصادقات) فمدحهم وبين
لهم المغفرة والأجر العظيم
وقال عمر رضي الله عنه عليك بالصدق
وإن قتلك
وما أحسن ما قيل في ذلك
عليك بالصدق ولو أنه ... أحرقك الصدق)
(بنار الوعيد
وابغ رضا المولى فأغبي الورى ... من)
(أسخط المولى وأرضى العبيد
وقال إسماعيل بن عبيد الله لما حضرت

أبي الوفاة جمع بنيه فقال لهم يا بني
عليكم بتقوى الله وعليكم بالقرآن
فتعاهدوه وعليكم بالصدق حتى لو قتل
أحدكم قتيلا ثم سئل عنه أقربيه
والله ما كذبت كذبة قط مذ قرأت القرآن
وعن عائشة رضي الله عنها قالت سألت
رسول الله بم يعرف المؤمن قال بوقاره
ولين كلامه وصدق حديثه وقيل لكل شيء
حلية وحلية النطق بالصدق

المستطرف [جزء 2 - صفحة 15]

وقال محمود الوراق
الصدق منجاة لأربابه ... وقربة تدني من
(الرب)

وقيل الصدق عمود الدين وركن الأدب
وأصل المروءة فلا تتم هذه الثلاثة إلا
به وقال أرسطاطاليس أحسن الكلام ما
صدق فيه قائله وانتفع به سامعه
وقال المهلب بن أبي صفرة ما السيف
الصارم في يد الشجاع بأعزله من الصدق
وكان يقال على الصدوق فلان وقف
لسانه على الصدق ويقال الصدق محمود
من كل أحد إلا من الساعي

ويقال لو صدق عبد فيما بينه وبين الله
تعالى حقيقة الصدق لأطلع على خرائن
الغيب ولكان أمينا في السماوات والأرض
وقيل من لزم الصدق وعود لسانه به وفق
ويقال الصدق بالحر أخرى
وقال عتبة بن أبي سفيان إذا اجتمع في
قلبك أمران لا تدري أيهما أصوب فانظر
أيهما أقرب إلى هواك فخالفه فان
الصواب أقرب إلى مخالفة الهوى
وقال أرسطا طاليس الموت مع الصدق
خير من الحياة مع الكذب
وكان نقش خاتم ذي يزن وضع الخد للحق
عز وامتدح ابن ميادة جعفر بن سليمان
فأمر له بمائة ناقة فقبل يده وقال والله
ما قبلت يد قرشي غيرك إلا واحد فقال
أهو المنصور قال لا والله قال فمن هو
قال الوليد بن يزيد قال فغضب
وقال والله ما قبلتها لله تعالى فقال والله
ولا يدك ما قبلتها لله تعالى ولكن قبلتها
لنفسي فقال والله لا ضرك الصدق عندي
أعطوه مائة أخرى
وقال عامر العدواني في وصيته إني
وجدت صدق الحديث طرفا من الغيب
فاصدقوا يعني من لزم الصدق وعود
لسانه وفق فلا يكاد ينطق بشيء يظنه إلا

جاء على ظنه
وخطب بلال لأخيه امرأة قرشية فقال
لأهلها نحن من قد عرفتم كنا عبيد
فأعتقنا الله تعالى وكنا ضالين فهدانا الله
تعالى وكنا فقيرين فأغنانا الله تعالى وأنا
أخطب إليكم فلانة لأخي فان تنكحوها له
فالحمد لله تعالى وإن تردونا فالله أكبر
فأقبل بعضهم على بعض فقالوا بلال ممن
عرفتم سابقته ومشاهدته ومكانه من
رسول الله فزوجوا أخاه فزوجوه فلما

المستطرف [جزء 2 - صفحة 16]

انصرفوا قال له أخوه يغفر الله لك أما
كنت تذكر سوابقنا ومشاهدنا مع رسول
الله وتترك ما عدا ذلك فقال مه يا أخي
صدقت فأنكحك الصدق
وخطب الحجاج فأطال فقام رجل فقال
الصلاة فان الوقت لا ينتظرك والرب لا
يعذرك فأمر بحبسه فأتاه قومه زعموا أنه
مجنون وسألوه أن يخلي سبيله فقال إن
أقر بالجنون خليته ف قيل له فقال معاذ
الله لا أزعم أن الله ابتلاني وقد عافاني
فبلغ ذلك الحجاج فعفا عنه لصدقه

الفصل الثاني من هذا الباب
في الكذب وما جاء به
قال الله تعالى في الكاذبين (ولهم عذاب
أليم بما كانوا يكذبون) وقال تعالى (
ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله
وجوههم مسودة) وقال رسول إياكم
والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور
والفجور يهدي إلى النار وتحروا الصدق
فإن الصدق يهدي إلى البر والبر يهدي إلى
الجنة وعن عبد الله بن عمر رضي الله
تعالى عنهما قال قال رسول الله إذا كذب
العبد كذبة تباعد الملكان عنه مسيرة ميل
من تن ما جاء به ويقال راوي الكذب أحد
الكاذبين
ويقال رأس المآثم الكذب وعمود الكذب
البهتان
وقيل أمران لا ينفكان من الكذب كثرة
المواعيد وشدة الاعتذار
وقال الحسن في قوله تعالى (ولكم
الويل مما تصفون)
وهي لكل واصف كذب إلى يوم القيامة
وقال الأصمعي قلت لكذاب أصدق قط
قال لولا أنني أخاف أصدق في هذا لقلت
لك لا فتعجب

المستطرف [جزء 2 - صفحة 17]

وقال محمود بن أبي الجنود
لي حلية فيمن ينم ... وليس في الكذاب
(حيلة)

من كان يخلق ما يقول ... فحيلتي فيه
(قليلة)

ويقال فلان أكذب من لمعان السراب ومن
سحاب تموز وكان بفارس محتسب يعرف
بجرب الكذب وكان يقول إن منعت الكذب
انشقت مرارتي وإني والله لأجد به مع ما
يلحقني من عاره من المسرة ما لا أجده
بالصدق مع ما ينالني من نفعه
وقال فيلسوف من عرف من نفسه الكذب
لم يصدق الصادق فيما يقوله
ولبعضهم

حسب الكذوب من البلية ... بعض ما
(يحكى عليه)

فمتى سمعت بكذبة ... من غيره نسبت
(إليه)

وأضاف صيرفي قوما فأقبل يحدثهم
فقال بعضهم نحن كما قال تعالى (
سماعون للكذب أكالون للسحت)
وعن عبد الله ابن السدي قال قلت لابن

المبارك حدثنا حديثا قال ارجعوا فليست
أحدثكم فليل له إنك لم تحلف فقال لو
حلفت لكفرت وحدثتكم ولكن لست أكذب
فكان هذا أحب إلينا من الحديث وقال
مجاهد يكتب على ابن آدم كل شيء حتى
أنينه في سقمه وحتى أن الصبي ليبكي
فتقول له أمه اسكت وأشتري لك كذا ثم لا
تفعل فتكتب كذبة
وقال الفضيل ما من مضغة أحب إلى الله
تعالى من اللسان إذا كان صدوقا ولا
مضغة أبغض إلى الله تعالى من اللسان إذا
كان كذوبا
وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه
مرفوعا أعظم الخطايا اللسان الكذوب
قال الشاعر
لا يكذب المرء إلا من مهانته ... أو فعله
(السوء أو من قلة الأدب)

المستطرف [جزء 2 - صفحة 18]

لبعض جيفة كلب خير رائحة ... من كذبة
(المرء في جد وفي لعب)
ولما نصب معاوية رضي الله تعالى عنه ابنه
يزيد لولاية العهد أقعده في قبة حمراء

وجعل الناس يسلمون على معاوية ثم
يسلمون على يزيد حتى جاء رجل ففعل
ذلك ثم رجع إلى معاوية فقال يا أمير
المؤمنين أعلم إنك لو لم تول هذا أمور
المسلمين لأضعتها والأحنف ساكت فقال
معاوية مالك لا تقول يا أبا بحر فقال أخاف
الله تعالى إن كذبت وأخافكم إن صدقت
فقال جزاك الله خيرا عما تقول ثم أمر له
بألوف فلما خرج الأحنف لقيه ذلك الرجل
بالباب فقال له يا أبا بحر إني لأعلم أن هذا
من شرار خلق الله تعالى ولكنهم
استوثقوا من الأموال بالأبواب والأقفال
فلسنا نطمع في إخراجها إلا بما سمعت
فقال له الأحنف يا هذا أمسك فان ذا
الوجهين خليك أن لا يكون عند الله وجهها
وقيل إن الكذب يحمي إذا وصل بين
المتقاطعين أو أصلح بين الزوجين ويذم
الصدق إذا كان غيبة
وقد رفع الحرج عن الكاذب في الحرب
وعن المصلح بين المرء وزوجه
وكان المهلب في حرب الخوارج يكذب
لأصحابه يقوي بذلك جأشهم فكانوا إذا
رأوه مقبلا إليهم قالوا جاءنا بكذب
وقال يحيى بن خالد رأينا شارب خمر نزع
ولصا أقلع وصاحب فواحش رجع ولم نر

كذابا صار صادقا
وكان عمر بن معد يكره مشهورا بالكذب
وقيل لخلف الأحمر وكان شديد التعصب
لليمن أكان ابن معد يكره يكذب فقال كان
يكذب في المقال ويصدق في الفعال
قيل إن بلالا لم يكذب مذ أسلم رضي الله
تعالى عنه والحمد لله وحده

المستطرف [جزء 2 - صفحة 19]

الباب الخامس والأربعون في بر الوالدين
وذم العقوق وذكر الأولاد وما يحب لهم
وعليهم وصلة الرحم والقربات وذكر
الأنساب وفيه فصول
الفصل الأول في بر الوالدين وذم العقوق
قال الله تعالى (واعبدوا الله ولا تشركوا
به شيئا وبالوالدين إحسانا)
وقال تعالى (وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا
إياه وبالوالدين إحسانا)
وقال تعالى (أن أشكر لي ولوالديك إلي
المصير)
وقال تعالى (فلا تقل لهما أف ولا
تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض
لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب

ارحمهما كما ربياني صغيرا) وعن علي
رضي الله تعالى عنه لو علم الله شيئا في
العقوق أدنى من أف لحرمه فليعمل العاق
ما شاء أن يعمل فإن يدخل الجنة وليعمل
البار ما شاء أن يعمل فلن يدخل النار
وقيل إن رضا الرب في رضا الوالدين
وسخط الرب في سخط الوالدين
وحكى أبو سهل عن أبي صالح عن أبي
نجيح عن ربيعة عن عبد الرحمن عن عطاء
بن أبي مسلم أن رسول الله قال من حج
عن والده بعد وفاته كتب الله لوالده حجة
وكتب له براءة من النار

المستطرف [جزء 2 - صفحة 20]

رسول الله إياكم وعقوق الوالدين فان
ريح الجنة يوجد من مسيرة خمسمائة عام
ولا يجد ريحها عاق
وكان رجل من النساك يقبل كل يوم قدم
أمه فأبطأ يوما على أخوته فسألوه فقال
كنت أتمرغ في رياض الجنة فقد بلغنا أن
الجنة تحت أقدام الأمهات وبلغنا أن الله
تعالى كلم موسى عليه السلام ثلاثة آلاف
وخمسمائة كلمة فكان آخر كلامه يا رب

أوصيني قال أوصيتك بأمر حسن قال له
سبع مرات
قال حسبي ثم قال يا موسى ألا إن رضاها
رضاي وسخطها سخطي
وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى
عنه لابن مهران لا تأتين أبواب السلاطين
وإن أمرتهم بمعروف أو نهيتهم عن منكر
ولا تخلون بامرأة وإن علمتها سورة من
القرآن ولا تصحبن عاقا فإنه لن يقبلك
وقد عق والديه
وقال فيلسوف من عق والديه عقه ولده
وقال المأمون لم أر أحدا أبر من الفضل
بن يحيى بأبيه بلغ على بره له إنه كان لا
يتوضأ إلا بماء سخن فمنعهم السجن من
الوقود في ليلة باردة فلما أخذ يحيى
مضجعه قام الفضل إلى قمقم نحاس
فملأه ماء وأدناه من المصباح فلم يزل
قائما وهو في يده إلى المصباح حتى
استيقظ يحيى من منامه
وقيل طلب بعضهم من ولده أن يسقيه ماء
فلما أتاه بالشربة نام أبوه فما زال الولد
واقفا بالشربة في يده إلى الصباح حتى
استيقظ أبوه من منامه
وقال رجل لعمر بن الخطاب رضي الله
تعالى عنه إن لي أما بلغ منها الكبر إنها لا

تقضي حاجتها إلا وظهري لها مطية فهل
أدبت حقها قال لا
لأنها كانت تصنع بك ذلك وهي تتمنى
بقاءك وأنت تصنعه وتتمنى فراقها
وقال ابن المنكدر بت أكبس رجل أبي
وبات آخر يصلي ولا يسرني ليلته بليتي
وقيل إن محمد بن سيرين كان يكلم أمه
كما يكلم الأمير الذي لا ينتصف منه وقيل
لعلي ابن الحسين رضي الله تعالى عنه
إنك من أبر الناس ولا تأكل مع أمك في
صحفة فقال نخاف أن تسبق يدي يدها ما
تسبق عيناها إليه فأكون قد عقتها

المستطرف [جزء 2 - صفحة 21]

الفصل الثاني في الأولاد وحقوقهم وذكر
النجباء والأذكىاء والبلداء والأشقياء
قال رسول الله الولد ريحانة من الجنة
وقال الفضل ربح الولد من الجنة
وكان يقال ابنك ريحانتك سبعا ثم حاجبك
سبعا ثم عدو أو صديق
وعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى
عنه قال قلت لسيدي رسول الله يا رسول
الله هل يولد لأهل الجنة قال والذي نفس

بيده إن الرجل يشتهي أن يكون له ولد
فيكون حمله ووضع وشبابه الذي ينتهي
إليه في ساعة واحدة
وقيل من حق الولد على والده أن يوسع
عليه حاله كي لا يفسق
وقال عمر رضي الله تعالى عنه إني لأكره
نفسي على الجماع رجاء أن يخرج الله
مني نسمة تسبحه وتذكره
وقال رضي الله تعالى عنه أكثروا من
العيال فأنكم لا تدرون بمن ترزقون
وقال شبيب ابن شبة ذهب اللذات إلا من
ثلاثة شم الصبيان وملاقة الأحران
والخلوة مع النسوان
ودخل عمرو بن العاص على معاوية وعنده
ابنته عائشة فقال من هذه يا أمير
المؤمنين قال هذه تفاحة القلب فقال
انبذها عنك فإنهن يلدن الأعداء ويقربن
البعداء ويورثن الضغائن قال لا تقل يا
عمرو ذلك فوالله ما مرض المرضى ولا
ندب الموتى ولا أعان على الإخوان إلا هن
فقال عمرو يا أمير المؤمنين إنك حبيتهم
إلي وقيل لرجل أي ولدك أحب إليك قال
صغيرهم حتى يكبر ومريضهم حتى يبرأ
وغائبهم حتى يحضر وقال ابن عامر
لامراته أمانة بنت الحكم الخزاعية إن

ولدت غلاما فلك حكمك فلما ولدت قالت
حكمي أن تطعم سبعة أيام كل يوم على
ألف خوان من فالودج وإن تعق بألف شاة
ففعل لها ذلك وغضب معاوية على يزيد
فهجره فقال الأحنف يا أمير المؤمنين
أولادنا ثمار قلوبنا وعماد ظهورنا ونحن
لهم سماء ظليلة وأرض ذليلة وبهم نصول
على كل جليلة فإن غضبوا فارضهم وإن
سألوا فاعطهم وإن لم يسألوا فابتدئهم
ولا تنظر إليهم شزرا فيملوا حياتك
ويتمنوا وفاتك فقال معاوية يا غلام إذا
رأيت يزيد فاقرأه السلام

المستطرف [جزء 2 - صفحة 22]

واحمل إليه مائتي ألف درهم ومائتي ثوب
فقال يزيد من عند أمير المؤمنين فقبل له
الأحنف فقال يزيد بن معاوية علي به
فقال يا أبا بحر كيف كانت القصة فحكها
له فشكر صنيعه وشاطره الصلة
حكى الكسائي أنه دخل على الرشيد يوما
فأمر باحضار الأمين والمأمون ولديه قال
فلم يلبث أن قليلا أن أقبلا ككوكبي أفق
يزينهما هداهما ووقارهما وقد غضا

أبصارهما حتى وقفا في مجلسه فسلما
عليه بالخلافة ودعوا له بأحسن الدعاء
فاستدناهما وأسند محمدا عن يمينه وعبد
الله عن يساره ثم أمرني أن ألقى عليهما
أبوابا من النحو فما سألتهما شيئا إلا
أحسننا الجواب عنه فسرره ذلك سرورا
عظيما وقال كيف تراهما فقلت
أرى قمري أفق وفرعين شامة ... يزينهما
(عرق كريم ومحتد
سليبي أمير المؤمنين وحائزي ... مواريث
(ما أبقي النبي محمد
يسدان انفاق النفاق بشيمة ... يزينهما
(حرم وسيف مهند
ثم قلت ما رأيت أعز الله أمير المؤمنين
أحدا من أبناء الخلافة ومعدن الرسالة
وأغصان هذه الشجرة الزلالية آدب منهما
اللسان ولا أحسن ألفاظا ولا أشد اقتدارا
على الكلام روية وحفظا منهما أسأل الله
تعالى أن يزيد بهما الإسلام تأييدا وعزا
ويدخل بهما على أهل الشرك ذلا وقمعا
وأمن الرشيد على دعائه ثم ضمهما إليه
وجمع عليهما يديه فلم يبسطهما حتى
رأيت الدموع تنحدر على صدره ثم أمرهما
بالخروج وقال كأني بهما وقد دهم القضاء
ونزلت مقادير السماء وقد تشتت أمرهما

وافترقت كلمتهما بسفك الدماء وتهتك
الستور
وكان يقال بنو أمية دن خل أخرج الله منه
زق غسل يعني عمر بن عبد العزيز رضي
الله تعالى عنه
وسب أعرابي ولده وذكر له

المستطرف [جزء 2 - صفحة 23]

حقه فقال يا أبتاه إن عظيم حقك علي لا
يبطل صغير حقي عليك
قال سيدي عبد العزيز الديريني رحمه الله
تعالى
أحب بنيتي ووددت أني ... دفنت بنيتي (
في قاع لحد
وما بي أن تهون علي لكن ... مخافة أن)
(تذوق الذل بعدي
فان زوجها رجلا فقيرا ... أراها عنده)
(والهم عندي
وإن زوجها رجلا غنيا ... فيلطم خدها)
(ويسب جدي
سألت الله يأخذها قريبا ... ولو كانت أحب)
(الناس عندي
وقال هرون بن علي بن يحيى المنجم

أرى ابني تشابه من علي ... ومن يحيى)
(وذاك به خليق)
وإن يشبههما خلقا وخلقاً ... فقد تسري)
(إلى الشبه العروق)
وقال أبو النصر مولي بني سليم
ونفرح بالمولود من آل برمك ... ولا سيما)
(إن كان من ولد الفضل)
وقال الحسن بن زيد العلوي
قالوا عقيم لم يولد له ولد ... والمرء)
(يخلفه من بعده الولد)
فقلت من علقت بالحرب همته ... عاف)
(النساء ولم يكثر له عدد)
وكان الزبير بن العوام رضي الله عنه
يرقص ولده ويقول
(... أزهر من آل بني عتيق)
(... مبارك من ولد الصديق)
(... أذه كما أذ ريفي)

المستطرف [جزء 2 - صفحة 24]

وكانت اعرابية ترقص ولدها وتقول
يا حبذا ريح الولد ... ريح الخزامى في)
(البلد)
(أهكذا كل ولد ... أم لم يلد مثلي أحد)

وكان أعرابي يرقص ولده ويقول
(... أحبه حب الشحيح ماله)
(... قد ذاق طعم الفقر ثم ناله)
(... إذا أراد بذله بدا له)
وكان لأعرابي امرأتان فولدت أحدهما
جارية والأخرى غلاما فرقصته أمه يوما
وقالت معايرة لضررتها
الحمد لله الحميد العالي ... أنقذني العام
(من الجوالي)
(من كل شوهاء كشن بالي ... لا تدفع)
(الضيم عن العيال)
فسمعتها ضررتها فأقبلت ترقص ابنتها
وتقول
وما علي أن تكون جارية ... تغسل رأسي
(وتكون الغالية)
وترفع الساقط من خمارية ... حتى إذا ما
(بلغت ثمانية)
أزرتها بنقبة يمانية ... أنكحتها مروان أو
(معاوية)
(... أصهار صدق ومهور غالية)
قال فسمعها مروان فتزوجها على مائة
ألف مثقال وقال إن أمها حقيقة أن لا
يكذب ظنها ويخان عهدها فقال معاوية
لولا مروان سبقنا إليها لأضعفنا لها المهر
ولكن لا نحرم الصلة فبعث إليها بمائتي

ألف درهم والله أعلم

المستطرف [جزء 2 - صفحة 25]

ومما جاء في الأولاد البلاء القليلي
التوفيقي
قيل نظر أعرابي إلى ولد له قبيح المنظر
فقال له يا بني إنك لست من زينة الحياة
الدنيا
وقال رجل لولده وهو في المكتب في أي
سورة أنت قال لا أقسم بهذا البلد ووالدي
بلا ولد فقال لعمرى من كنت أنت ولده
فهو بلا ولد
وأرسل رجل ولده يشتري له رشاء للبئر
طوله عشرون ذراعاً فوصل إلى نصف
الطريق ثم رجع فقال يا أبت عشرون في
عرض كم قال في عرض مصيبتى فيك يا
بني
وكان لرجل من الأعراب ولد اسمه حمزة
فبينما هو يوماً يمشي مع أبيه إذا برجل
يصيح بشاب يا عبد الله فلم يجبه ذلك
الشاب فقال ألا تسمع فقال يا عم كلنا
عبيد الله فأى عبد تعني فالتفت أبو حمزة
إليه وقال يا حمزة ألا تنظر إلى بلاغة هذا

الشباب فلما كان من الغد إذا برجل ينادي
شابا يا حمزة فقال حمزة بن الأعرابي كلنا
حامير الله فأى حمزة تعني فقال له أبوه
ليس يعنك يا من أحمد الله به ذكر أبيه
وكان لمحمد بن بشير الشاعر ابن جسيم
فأرسله في حاجته فأبطأ عليه ثم عاد ولم
يقضها فنظر إليه ثم قال
عقله عقل طائر ... وهو في خلقه الجمل)

فأجابه

(مشبه بك يا أبي ... ليس لي عنك منتقل)
ونهى اعرابي ابنه عن شرب النبيذ فلم
ينته وقال

أمن شربة من ماء كرم شربتها ... غضبت)
(علي الآن طابت لي الخمر

سأشرب فاسخط لأرضيت كلاهما ...)
(حبيب إلى قلبي عقوقك والسكر

وقيل قال ذلك يزيد بن معاوية لأبيه حين
نهاه عن شرب الخمر

ومما جاء في صلة الرحم

قال رسول الله صلة الرحم منهاه للولد
مثراة للمال

وقيل وجد حجر حين حفر ابراهيم الخليل
عليه السلام أساس البيت

المستطرف [جزء 2 - صفحة 26]

عليه بالعبرانية أنا الله ذوبكة خلقت الرحم
وشققت لها إسمًا من أسمائي فمن
وصلها وصلته ومن قطعها بتته أي قطعته
وقال رسول الله أعجل الخير ثوابًا صلة
الرحم

وحدثنا أبو سهل عن صالح بن جرير بن عبد
الحميد عن منصور عن عطاء بن أبي
مروان عن أبيه كعب الأحبار أنه قال والذي
فلق البحر لموسى بن عمران إن في
التوراة لمكتوبا يا ابن آدم اتق ربك وبر
والديك وصل رحمك أزد في عمرك وأيسر
لك في يسيرك وأصرف عنك عسيرك
وعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه عن
النبي أنه قال صنائع المعروف تقي
مصارع السوء وصدقة السر تطفئ غضب
الرب جلا وعلا وصلة الرحم تزيد في العمر
وذكر تمام الحديث

الفصل الثالث من هذا الباب في ذكر
الأنساب والأقارب والعشيرة

قال عمر رضي الله عنه تعلموا أنسابكم
تعرفوا بها أصولكم فتصلوا بها أرحامكم
وقيل لو لم يكن من معرفة الأنساب إلا

اعتزازها من صولة الأعداء وتنازع الأكفاء
لكان تعلمها من أحزم الرأي وأفضل
الثواب ألا ترى إلى قول قوم شعيب عليه
السلام حيث قالوا ولولا رهطك لرجمناك
فأبقوا عليه لرهطه

وقال عمر رضي الله عنه تعلموا العربية
فإنها تزيد في المروءة وتعلموا النسب
فرب رحم مجهولة قد وصلت بعرفان
نسبها

وسئل عيسى عليه السلام أي الناس
أشرف فقبض قبضتين من تراب وقال أي
هاتين أشرف ثم جمعهما وطرحهما وقال
الناس كلهم من تراب إن أكرمكم عند الله
أتقاكم

كان أبو كبشة جد رسول الله من قبل أمه
فلما خالف رسول الله دين قريش

المستطرف [جزء 2 - صفحة 27]

قالوا نزع عرق أبي كبشة حيث خالفهم
في عبادة الشعري
وقال خالد بن عبد الله القشيري سألت
واصل بن عطاء عن نسبه فقال نسبي
الإسلام الذي من ضيعة فقد ضيع نسبه

ومن حفظه فقد حفظ نسبه فقال خالد
وجه عبد وكلام حر
ومن كلام علي كرم الله وجهه أكرم
عشيرتك فإنهم جناحك الذي به تطير فإنك
بهم تصول وبهم تطول وهم العدة عند
الشدة أكرم كريمهم وعد سقيمهم
وأشركهم في أمورك ويسر عن معسرهم
وكان يقال إذا كان لك قريب فلم تمش
إليه برجلك ولم تعطه من مالك فقد
قطعته
ويقال حق الأقارب إعظام الأصغر للأكبر
وحنو الأكبر على الأصغر
قال رسول الله حق كبير الأخوة على
صغيرهم كحق الوالد على ولده قال
بعضهم
وإذا رزقت من النوافل ثروة ... فامنح
(عشيرتك الأداني فضلها
واعلم بأنك لم تسود فيهم ... حتى ترى)
(دمت الخلائق سهلها

المستطرف [جزء 2 - صفحة 28]

**الباب السادس والأربعون في الخلق
وصفاتهم وأحوالهم وذكر الحسن والقبح**

والقصر والألوان والثياب وما أشبه ذلك
وفيه فصول
الفصل الأول

في الحسن ومحاسن الأخلاق
وإلى سيدنا محمد رسول الله ينتهي
الحسن والجمال

كان سيدنا محمد ربعة من القوم لا بائنا
من طول ولا تقطحه عين من قصر أبيض
اللون مشربا بحمرة أدعج العينين مفلج
الثنايا دقيق المسربة أزهر الجبين واضح
الخد أقنى الأنف كأن عنقه إبريق فضة
ظاهر الوضاعة يتلأأ وجهه تلالؤ القمر
شثن الكفين مسبح القدمين واسع الصدر
من لبتة إلى سرته شعر يجري كالقضب
ليس في بطنه ولا صدره شعر غير أشعر
الذراعين والمنكبين لم يبلغ شبيهه في
رأسه ولحيته عشرين شعرة ضخمة
الكراديس أنور المتجرد إذا مشى كأنما
ينحط من صلب وإذا التفت التفت جميعا
بين كتفيه خاتم النبوة كأنه زر حجلة أو
بيض حمامة لونه كلون جسده أبلج

حسن الخلق وسيما قسيما في جبينه زجج
وفي عينيه دعج وفي عنقه سطمع وفي
لحيته كثافة إن صمت فعليه الوقار وإن
تكلم سما وعلاه البهاء أجمل الناس
وأبهاهم من بعيد وأحسنهم وأكملهم من
قريب كأنما منطقهم خرزات نظم يتحدثون
قال أنس رضي الله عنه ما رأيت من ذي
لمة سوداء في حلة حمراء أحسن من
رسول الله ومدحه حسان بن ثابت رضي
الله عنه فقال

وأحسن منك لم تر قط عيني ... وأجمل
(منك لم تلد النساء

خلقت مبرأ من كل عيب ... كأنك قد
(خلقت كما تشاء

اللهم صلى وسلم عليه واجعله شفيعا لمن
يصلي عليه

وقال ما حسن الله خلق عبد وخلقته إلا
استحيا أن يطعم لحمه النار وقد كان
المتوكل رحمه الله من أحسن الخلفاء
العباسية وجهها وأبهاهم منظرا وكان
مصعب بن الزبير من أحسن الناس وجهها
حكى إنه كان جالسا بفناء داره يوما
بالبصرة فإذا جاءت امرأة فوقفت تنظر
إليه فقال لها ما وقوفك يرحمك الله
ف قالت طفئ مصباحنا فجئنا نقتبس من

وجهك مصباحا
وقيل لإعرابية ظريفة ما بال شفتيك
مشفقة فقالت إن التين إذا حلا تشقق
والورد يتشقق إذا مسه الندی وكانت لبابة
بنت عبد الله بن عباس رضي الله تعالى
عنهم من أجمل الناس وجهها وكانت عند
الوليد بن عتبة بن أبي سفيان فكانت
تقول ما نظرت وجهي في مرآة مع إنسان
إلا رحمته من حسن وجهي إلا الوليد فكنت
إذا نظرت إلى وجهي مع وجهه رحمت
وجهي من حسن وجهه قال الشاعر
ولو أنها في عهد يوسف قطعت ... قلوب
(رجال لا أكف نساء
وقال كثير
لو أن عزة حاکمت شمس الضحى ... في
(الحسن عند موفق لقضى لها

المستطرف [جزء 2 - صفحة 30]

ومما جاء في محاسن الخلق منظوما على
الترتيب من الفرق إلى القدم
ما قيل في الشعر كان يقال من تزوج
امرأة أو اتخذ جارية فليتحسن من شعرها
فإن الشعر الحسن أحد الوجهين قال بكر

بن النطاح

بيضاء تسحب من قيام شعرها ... وتغيب)

(فيه وهو وجه أسحم

فكأنها فيه نهار ساطع ... وكأنه ليل)

(عليها مظلم

وللمتنبي

نشرت ثلاث ذوائب من شعرها ... في ليلة)

(فأرت ليالي أربعا

واستقبلت قمر السماء بوجهها ...)

(فأرتني القمرين في وقت معا

وله أيضا

لبسن الوشي لا متجمات ... ولكن كي)

(يصن به الجمالا

وصفرن الغدائر لا لحسن ... ولكن خفن)

(في الشعر الضللا

وقال الصفدي

لولا شفاعة شعره في صبه ... ما كان زار)

(ولا أزال سقاما

لكن تنازل في الشفاعة عنده ... فعدا)

(على أقدامه يترامى

وقال ابن الصائغ

ثنى غصنا ومد عليه فرعا ... كحظ حين)

(أطلب منه وصلا